

هَبْتِ السَّالِمِينَ

شَرْحُ

بُلُوغُ الْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ

المجلد العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

مكتبة الصحابة بالغيضة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

هَبْتِ السَّيِّدَةَ

شَرْحُ

بُلُوغُ الْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الْأَحْكَامِ

تَأَلَّفَ

الْأَبِي مُحَمَّدٍ عَمْرٍو الْحَمْدِيُّ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْحَمْدِيُّ الرَّبَّاعِي

كَاتِبَ الْبَيْتِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْفَرْقَةِ

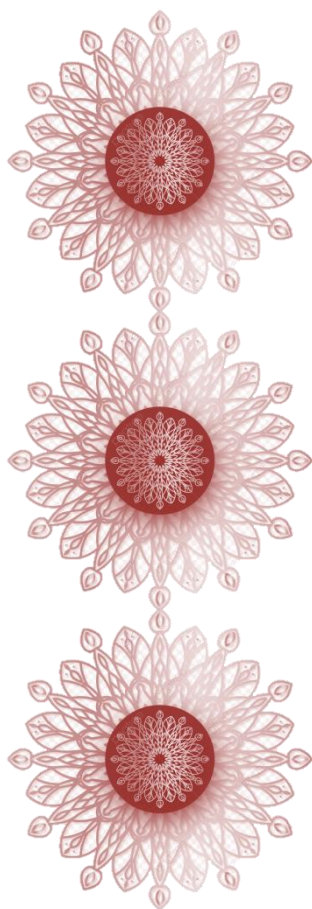
المجلد العاشر

كتاب الجامع



کتاب

الجامع



كتاب الجامع - باب الأدب

[بَابُ الْأَدَبِ]

شرح الشرح:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذا كتاب الجامع من بلوغ المرام، وسمي بذلك لأنه **الْجَامِعُ لِأَبْوَابِ سِتَّةٍ**: الْأَدَبِ، الْبِرِّ، وَالصَّلَاةِ، وَالزُّهْدِ، وَالْوَرَعِ، وَالتَّزْهِيْبِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ، وَالتَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالدُّعَاءِ. اهـ

ويأتي العلماء بهذا الكتاب في مصنفاتهم لتتمة المصنف، فإن أبواب العلم كثيرة، فإذا أراد المصنف أن يكتب في كل باب؛ طال الكتاب، وخرج المصنف عن المقصود، ووقع في الاسهاب والاطناب ولكنه في الغالب يذكر جملاً تشير إلى ما سواها، يستفيد منها المبتدي، ولا يستغني عنها المنتهي.

وهذا الذي ينبغي لكل عالم، أو طالب علم، أن يحرص على دلالة الناس على جوامع العلوم فإن النبي ﷺ قال: **«أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ»** أخرجه مسلم^(١) عن أبي هريرة.

«وجوامع الكلم»: الكلمات اليسيرات التي يدخل تحتها معاني بليغات،

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣).

والأحاديث القصيرات التي تدل على علوم كثيرات، فالسداد هو المطلوب .

وكما قيل:

إنما العلم كبحر زاخر فاتخذ من كل شيء أحسنه

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ولو مارسه ألف سنة

باب الآداب: ذكر هذا الباب في بعض نسخ بلوغ المرام، وترتيب الأحاديث يدل

على ذلك .

وقل أن يترك الكلام في هذا الباب سواء في الكتب الجوامع:

كصحيح الإمام البخاري رحمه الله، وصحيح الإمام مسلم رحمه الله، وما في بابها من كتب

الأمهات.

أو الكتب المفردة: ككتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله، وهو من أنفسها

وأجمعها، وإن لم يكن هو الوحيد في بابها.

ومن أنفسها أيضاً رياض الصالحين للنووي رحمه الله فقد جاء بخير كثير في كل باب من

أبواب الأدب، سواء كان مع الله ﷻ، أو ما يكون بين المكلفين

والله الموفق.



بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم

١٤٥٢ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ^(١) وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ^(٢)». رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم. والحديث في الصحيحين: عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ^(٣)».

ثم إن أحسن ما يتأدب به، ما جاء عن النبي ﷺ.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ^(٤)».

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث ابنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لِأَخِيهِ: ازْكَبْ إِلَيَّ هَذَا الْوَادِي فَأَعْلَمَ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ

(١) «التسميت» بالسین المهملة، وأيضاً بالمعجمة لغتان مشهورتان، وهو أن يقول للعاطس: یرحمک الله. یعنی: بعد قول العاطس: الحمد لله.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٢)، واتفقا عليه، بلفظ "خمس" أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (٨٩٥٢)، وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٣٧٤).

الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْثَنِي، فَانْطَلَقَ الْأَخُّ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ،...»^(١).

وقد زكاه الله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من طريق سعد بن هشام، أنه جاء إلى عائشة رضي الله عنها يسألها، فقال: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - أَنْثَنِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٢).

وفي الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَمِيرٍ - قَالَ: أَحْسَبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ» نَعْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرَبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أنس - رضي الله عنه -، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمَرَ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمَا يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أَنَسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

الله (١).

فما من خير إلا ولدنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَنَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُوتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنْ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُقَّتِ الْآخِرِ " (٢).

قوله: «حَقٌّ»: تشمل الواجبات والمستحبات.

فما دلت الأدلة على الوجوب، وجب تأديته إلى الغير.

وما دلت على الاستحباب فعلى ما جاء.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي أمامة رضي الله عنه -، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِرِثٍ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "أَخَى النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، فَرَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ - رضي الله عنه - قُمْ الْآنَ، فَصَلِّ يَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ - رضي الله عنه -: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَآتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»^(٢).

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦١١-٦١٤): وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ.

وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ: مَا لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَيَكُونُ فِعْلُهُ إِمَّا وَاجِبًا، أَوْ مَنُذُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا؛ شَبِيهَا بِالْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ.

وَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَعْنَيْنِ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنِيهِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْوَاجِبِ كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ. اهـ

قوله: «الْمُسْلِمُ» المسلم: هو المستسلم لله ﷻ بالتوحيد، والمنقاد له بالطاعة،

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (١٦٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

والمبتدئ من الشرك، وأهله.

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٠٨).

قوله: «عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»: لا يُراد به الحصر للحقوق، وإنما به النبي ﷺ على أهم وأشهر هذه الحقوق.

قوله: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»: في الطريق ونحوه، فليبادر بقوله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم:

وهذا اللفظ يدل على وجوب الابتداء بالسلام.

والذي ذهب إليه جمهور العلماء أن الابتداء بالسلام مستحب، وليس بواجب بينما الرد على المسلم واجب.

لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا حِيتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦).

بيان أفضل صيغة للسلام:

أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ:

«عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخِرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»^(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «عَشْرُ حَسَنَاتٍ»، فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ حَسَنَةً»، فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَوْشَكَ مَا نَسِيَ صَاحِبُكُمْ، إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَجْلِسَ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، وَإِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، مَا الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(٢).

بيان حكم زيادة: "ومغفرتي"، على لفظ السلام:

وزيادة: "ومغفرتي"، لم تثبت عن النبي ﷺ، فلا يؤتى بها.

واستدل بعض أهل العلم على زيادتها بقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾.

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله في التاريخ الكبير: عن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- قال: «كنا إذا

سلم النبي ﷺ علينا قلنا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرتي»^(٣).

وفي مصنف عبد الرزاق (٣٠٦٢) عن إبراهيم جاء الربيع لن خيثم إلى علقمة

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود وغيره. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي (١٠٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٨٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٧٦٢ / ٩٨٧)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي (١٤١٤).

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١ / ١ / ٣٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني (١٤٤٩).

يستشير أن يزيد فيها ومغفرته قال علقمة «إنما ننهي إلى ما علمناه»

﴿بيان أن السلام من أحد المأمرات تجزئ عنهم:

ولو مر أناس أكثر من جانب أناس، وسلم أحدهم، ورد عليه أحدهم، فإن هذا يجزئ عن الباقيين .

بخلاف العطاس، فإن الرجل إذا عطس فحمد الله ﷻ، لزم جميع من سمعه أن يشمتوه .

﴿بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمأمر على القاعد، والقليل على الكثير:

لما جاء في الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: «يُسَلَّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَأْمُرُ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١).

﴿بيان أن الركب يسلم على الماشي:

كما جاء ذلك أيضًا في الصحيحين: «يُسَلَّمُ الرَّكَّابُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٢).

بيان حكم إجابة الدعوة:

قوله: «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ»: إجابة الدعوة في حق الوليمة واجب، وما سواها على

الاستحباب.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١)، ومسلم (٢١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٣٣)، ومسلم (٢١٦٠).

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيْمَةِ، يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ»^(١).

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، -، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُكُّوا الْعَانِي، وَأَجِيبُوا الدَّاعِي، وَعُودُوا الْمَرِيضَ»^(٢).

وفي الصحيحين: من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه، -، قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنِ الشُّرْبِ فِي الْفِضَّةِ، أَوْ قَالَ: آيَةِ الْفِضَّةِ، وَعَنِ الْمَيَاثِرِ وَالْقَسِيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَالْإِسْتَبْرَقِ»^(٣).

بيان حكم النصيحة لمن طلبها:

قوله: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ»: من طلب منك النصيحة وأنت قادر على ذلك فيجب نصحه وتوجيهه.

والمستشار مؤتمن ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٣٥)، ومسلم (٢٠٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٨٢٢)، وابن ماجه (٣٧٤٥)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في

صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمته الله (١٤٠٤).

وشأن النصيحة عظيم، ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث تميم الداري - رحمه الله -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه رضي الله عنهم على النصيحة، ففي الصحيحين: من حديث جرير بن عبد الله البجلي - رحمه الله -، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(٢).

وإذا لم يطلب النصح فبحسبه، فقد يكون واجباً أو مستحباً .

لقول الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رحمه الله -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(٣).

ولو قام الناس بهذا الأمر لفشا الخير وانتشر في المجتمع.

ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قامت على النصيحة .

يقول الله ﷻ عن نوح: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَكَ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

نَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ .

ويقول الله ﷻ عن هود: ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ ﴿٦٨﴾ .

ويقول الله ﷻ عن صالح: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوِرْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾ ﴿٧٩﴾ غير ذلك .

﴿حكم تسميت العاطس

قوله: «وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمَّتُهُ» .

يقال التسميت والتسميت: وكلاهما بمعنى واحد، وهو أن يقول لمن عطس فحمد الله تعالى، يرحمك الله .

﴿وتحب الله ﷻ العطاس ويكره التأوب:

ففي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَّاسَ وَيَكْرَهُ التَّأَوُّبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّأَوُّبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا تَنَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(١) .

﴿بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت:

في صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ:

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٦) .

يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بَالَكُمْ»^(١).

❦ بيان أن من عطس فلم تحمد الله ﷻ فلا يشمت:

في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: «عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَمَّتْ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من طريق أبي بردة، قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه - وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أَشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ، فَحَمِدَتِ اللَّهُ فَشَمَّتْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»^(٣).

❦ بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين:

فإن كان العاطس من أهل الذمة، أو المعاهدين، وغيرهم.

فتشमितه إن حمد الله يكون بقولنا: يهديكم الله.

ففي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أبي موسى - رضي الله عنه -، قال: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٥)، ومسلم (٢٩٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

وَيُضْلِحُ بِالْكُفِّ»^(١).

بيان حكم عيادة المريض:

قوله: «وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ»: عيادة المريض مستحبة لما في ذلك من إدخال السرور

على المسلم، والدعاء له وتطيب خاطره، وإذا كان المريض معدياً فلا تلزم زيارته.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدَوِي وَلَا طِيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفَرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفَرُّ مِنَ

الْأَسَدِ»^(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢١٣/١٤-٢١٤):

قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَهُمَا صَحِيحَانِ.

قَالُوا: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنَّ حَدِيثَ: «لَا عَدَوِي»، الْمُرَادُ بِهِ نَفْيُ مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ

تَزْعُمُهُ وَتَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْمَرَضَ وَالْعَاهَةَ تَعْدِي بِطَبْعِهَا لَا بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «لَا يَبْرُدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، فَأُرْشِدَ فِيهِ إِلَى مُجَانِبَةِ مَا يَحْصُلُ

الضَّرَرُ عِنْدَهُ فِي الْعَادَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ.

فَنَفَى فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْعَدَوِي بِطَبْعِهَا وَلَمْ يَنْفِ حُصُولَ الضَّرَرِ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَدْرِ

اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِهِ.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٣٨)، والترمذي (٢٧٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٠)، وصححه الإمام

الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وفي صحيح الأدب المفرد (٧٢٣/٩٤٠). وهو في الصحيح المسند للإمام

الوادعي رحمه الله (٨١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٧) وأخرجه مسلم (٢٢٣١).

وَأَرْشَدَ فِي الثَّانِي إِلَى الْإِحْتِرَازِ مِمَّا يَحْصُلُ عِنْدَهُ الضَّرَرُ بِفَعْلِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدَرِهِ.
فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَصْحِيحِ الْحَدِيثَيْنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ
جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

ولا يؤثر نسيان أبي هريرة لحديث: «**لا عدوى**» لَوْجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ نِسْيَانَ الرَّاوي لِلْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ لَا يَقْدَحُ فِي صِحَّتِهِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ
الْعُلَمَاءِ بَلْ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ ثَابِتٌ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - فَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ هَذَا
مِنْ رِوَايَةِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأُسْ بْنُ مَالِكٍ وَبْنُ عُمَرَ - رضي الله عنه - عَنِ
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

وَحَكَى الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ حَدِيثَ: «**لا يورد ممرض**
على مصح» منسوخ بحديث: «**لا عدوى**» وَهَذَا غَلَطٌ لَوْجْهَيْنِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ النَّسْخَ يُشْتَرَطُ فِيهِ تَعَدُّرُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ وَلَمْ يَتَعَدَّرْ بَلْ قَدْ جَمَعْنَا
بَيْنَهُمَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ مَعْرِفَةُ التَّارِيخِ وَتَأَخُّرُ النَّاسِخِ وَلَيْسَ ذَلِكَ موجوداً هنا.
وقال آخرون: حديث: «**لا عدوى**» عَلَى ظَاهِرِهِ.
وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ إِبْرَادِ الْمُمْرِضِ عَلَى الْمُصِحِّ، فَلَيْسَ لِلْعُدْوَى بَلٌّ لِلتَّأْدِي بِالرَّائِحَةِ
الْكُرْهِيَةِ وَقَبْحُ صُورَتِهِ وَصُورَةُ الْمَجْذُومِ.
وَالصَّوَابُ مَا سَبَقَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم.

اتباع الجنائز:

قوله: «وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»: فاتبع جنازته وصل عليها والأفضل أن يكون معها حتى تدفن، فإن في ذلك أجر عظيم.
كما تقدم في كتاب الجنائز، والله المستعان.



بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة الله عليه

١٤٥٣ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب شكر الله تعالى على نعمه.

وأن على الإنسان له أن يتأدب بالآداب الشرعية.

فينظر إلى من هو دونه: في الرزق، والجمال، والقوة، وفي جميع شأنه الدنيوي .

فإنه يعرف مقدار ما أنعم الله تعالى به عليه من النعم الكثيرة الجليلة.

أما إذا نظر إلى من فوقه، فربما ازدري تلك النعمة التي هو عليها، وجعل يتطلع

إلى غيرها والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَتِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(١٣).

ويجوز للإنسان أن يتمنى الخير بدون ازدراء النعمة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ

رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٧).

قوله: «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ»: في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣)، واللفظ المتفق عليه: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر

إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه» أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ ﴿طه: ١٣١﴾

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦١٤-٦١٥):

قوله: «فَهُوَ أَجْدَرُ»: بِالْجِيمِ وَالذَّالِ الْمُثَمَّلَةِ فَرَاءٍ أَحَقُّ.

قوله: «أَنْ لَا تَزْدُرُوا»: تَحْتَقِرُوا.

قوله: «نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»: عِلَّةٌ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعًا.

الْحَدِيثُ إِرْشَادٌ لِلْعَبْدِ إِلَى مَا يَشْكُرُ بِهِ النُّعْمَةَ.

وَالْمُرَادُ بِمَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنَ النَّازِلِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إِلَى الْمُبْتَلَى بِالْأَسْقَامِ وَيَنْتَقِلُ مِنْهُ

إِلَى مَا فَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ إِنْعَامٍ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ فِي خَلْقِهِ نَقْصٌ مِنْ عَمَى أَوْ صَمَمٍ أَوْ بَكَمٍ وَيَنْتَقِلُ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ

السَّلَامَةِ عَنْ تِلْكَ الْعَاهَاتِ الَّتِي تَجْلِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَا أُبْتُلِيَ بِالدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَالْإِمْتِنَاعِ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا مِنَ الْحُقُوقِ

وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ فَضِّلَ بِالْإِفْلَالِ وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِقِلَّةِ تَبَعَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ.

وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ أُبْتُلِيَ بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ أَوْ بِالذِّينِ الْمُفْطَعِ وَيَعْلَمُ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ

السَّلَامَةِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ وَتَقَرُّ بِمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ الْعَيْنُ.

وَمَا مِنْ مُبْتَلَى فِي الدُّنْيَا بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا وَيَجِدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بَلِيَّةً فَيَسْأَلُ بِهِ

وَيَشْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَرَى غَيْرَهُ أُبْتُلِيَ بِهِ.

وَيَنْظُرُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ الْمُفْرِطِينَ فَبِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ يَشْكُرُ مَا لِلَّهِ مِنْ

النُّعْمِ.

وَبِالنَّظَرِ الثَّانِي يَسْتَحْيِي مِنْ مَوْلَاهُ وَيَقْرَعُ بَابَ الْمَتَابِ بِأَنَامِلِ النَّدَمِ.

فَهُوَ بِالْأَوَّلِ مَسْرُورٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ.

وَفِي الثَّانِي مُنْكَسِرُ النَّفْسِ حَيَاءً مِنْ مَوْلَاهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - مَرْفُوعًا: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ

فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ». اهـ



بيان البر والإثم

١٤٥٤ - (وَعَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان البر والإثم .

وهذا من أعظم الآداب، التي ينبغي للمسلم معرفتها إذ أن البر يقرب من الله ﷻ، ويكرم صاحبه في الدنيا والآخرة، وأعظم البر التوحيد، والإثم من أسباب البعد عن الله ﷻ، وأشدّه الشرك، ثم هو متفاوت كثيراً، والله المستعان .

قوله: «عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .» .

النَّوَاسِ: بِفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَسِينِ مُهْمَلَةٍ.

ابْنُ سَمْعَانَ: بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِهَا وَبِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ.

وَرَدَ سَمْعَانُ الْكِلَابِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَرَوَّجَهُ ابْنَتُهُ وَهِيَ الَّتِي تَعَوَّذَتْ مِنْ

النَّبِيِّ - ﷺ - .

سَكَنَ النَّوَاسُ الشَّامَ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْهُمْ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: نَسَبَتْهُ إِلَى الْأَنْصَارِ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي الْقَاضِي عِيَّاضٌ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ كِلَابِيٌّ وَلَعَلَّهُ حَلِيفُ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

الأنصار. أفاده الإمام الصنعاني رحمته الله في السبل.

قوله: «قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -» فيه: سؤال أهل العلم فيما يشكل.

قوله: «عَنِ الْبِرِّ» البر: اسم جامع لكل خير يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

قوله: «وَالْإِثْمُ؟» الإثم: اسم جامع لكل ما يَأْثُمُ به الإنسان إذا فعله.

وسؤال النواس بن سمعان رحمته الله للنبي صلى الله عليه وسلم ليس عن أعمال البر، وأعمال الإثم، وإنما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفية معرفة البر، ومعرفة الإثم؟

قوله: "فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ»".

بيان أقسام حسن الخلق:

وحسن الخلق، ينقسم إلى قسمين:

الأول: حسن خلق مع الله تعالى.

ويكون ذلك بتوحيده وعدم الشرك به، وبطاعته وعدم معصيته.

وهذا هو معنى الإحسان المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

الثاني: حسن الخلق مع الخلق ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة

الوجه.

بيان أن الصدق أساس البر.

والصدق هو أساس البر ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله ﷻ:

وهنيئاً لمن كان حسن الأخلاق، فإن صاحب حسن الخلق من أثقل الناس ميزاناً يوم القيامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رضي الله عنه: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١٠٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

﴿ بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي صلى الله عليه وسلم :

وصاحب الخلق الحسن من أقرب الناس مجلساً للنبي ﷺ يوم القيامة .

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله : من حديث جابر - رضي الله عنه - ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيِّهُونَ » ، قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ ؟ قَالَ : « الْمُتَكَبِّرُونَ » ^(١) .
وَالثَّرَاوُ : هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ ، وَالمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ .

﴿ بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس :

ففي الصحيحين : من طريق مسروق ، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - ، يُحَدِّثُنَا ، إِذْ قَالَ : « لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » ^(٢) .

﴿ بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق :

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله : من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : « تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) ، وصححه الإمام الألباني رحمه الله ضعيف الترمذي . وفي صحيح الترغيب

والترهيب (٢٨٩٧) : وحسنه في الصحيحة (٧٩١) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٥) ، ومسلم (٢٣٢١) .

مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ»^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦١٥): قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصَّلَاةِ، وَبِمَعْنَى الصَّدَقَةِ، وَبِمَعْنَى اللَّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ؛ وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: حُسْنُ الْخُلُقِ مُخَالَقَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ وَاحْتِمَالُهُمْ وَالْحَمْلُ عَنْهُمْ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ وَتَرْكُ الْكِبَرِ وَالْإِسْطَالَةِ عَلَيْهِمْ وَمُجَانِبَةُ الْغِلْظَةِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ.

وَحَكَى فِيهِ خِلَافًا هَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ أَوْ مُكْتَسَبٌ؟

قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَةٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّخَلُّقِ وَالْإِفْتِدَاءِ بِغَيْرِهِ. وَقَالَ الشَّرِيفُ فِي التَّعْرِيفَاتِ: قِيلَ حُسْنُ الْخُلُقِ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْمَحْمُودَةُ بِسُهُولَةٍ وَتَيْسَّرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى إِعْمَالٍ فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ. اهـ. قِيلَ وَيَجْمَعُ حُسْنُ الْخُلُقِ قَوْلُهُ - ﷺ -: «طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَكَفُّ الْأَدَى وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وقوله: «وَالِإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»:

أَيُّ تَحَرُّكِ الْخَاطِرِ فِي صَدْرِكَ وَتَرَدَّدَتْ هَلْ تَفَعَّلَهُ لِكُونِهِ لَا لَوْمْ فِيهِ أَوْ تَتَرَكُهُ خَشْيَةَ اللَّوْمِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمِنْ النَّاسِ لَوْ فَعَلْتَهُ؟ فَلَمْ يَنْشَرْحْ بِهِ الصَّدْرُ وَلَا حَصَلَتِ الطَّمَأْنِينَةُ بِفِعْلِهِ خَوْفَ كَوْنِهِ ذَنْبًا.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، والحاكم (٣٢٤ / ٤)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في

صحيح وضعيف الترمذي. وفي الصحيحة (٩٧٧).

وَيُفْهِمُ مِنْهُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي تَرْكُ مَا تُرَدَّدُ فِي إِبَاحَتِهِ.

وَفِي مَعْنَاهُ حَدِيثُ: «دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَّا مَا لَا يَرِيكَ»^(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ

الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكًا لِمَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ وَزَاجِرًا عَنْ

فِعْلِهِ. اهـ



(١) الحديث لم يخرج به البخاري في صحيحه، وقد جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: الحسن بن علي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. والحديث صحيحه في الإرواء الإمام الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١٢) وقال فيه: أما حديث الحسن: فأخرجه النسائي (٢٣٤/٢) والترمذي (٨٤/٢) والحاكم (٩٩/٤) والطيالسي (١١٧٨) وأحمد (٢٠٠/١) وأبو نعيم في "الحلية" (٢٦٤/٨) وزادوا جميعا إلا النسائي "فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة". وإسناده صحيح، وسكت عليه الحاكم. وقال الذهبي: "قلت: سنده قوى".

بيان أنه لا يتناجى اثنان دون الثالث

١٤٥٥ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان النهي عن تناجي اثنين دون الثالث لعله إدخال الحزن عليه.

وهذا حسن خلق رفيع تراعي فيه المشاعر، وأهمية إدخال السرور على المسلمين والنهي هنا للتحريم؛ لأنه الأصل في النهي، ولا صارف يصرفه إلى الكراهة. ولأن أذية المسلم محرمة، فلا يحوز للمسلم أن يؤدي أخاه، أو يتسبب في حزنه، وأذيته، يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَسُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

المُسْلِم، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دُمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»^(١).

والمناجاة: هي المحادثة على السرار، أي بصوت خافت لا يسمعه إلا من كان بجانبه .

قوله: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً»: خرج بهذا القيد: ما إذا كانوا اثنين، أو أكثر من ثلاثة، فلا يشملهم الحكم.

قوله: «فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ» أي: لا بد من إقبال بعضهم على البعض، والتحدث فيما بينهم جميعاً، وهذا إذا كانوا ثلاثة .

قوله: «حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ»: والعلة في ذلك من أجل أن ذلك يحزنه، أي يدخل عليه الحزن، ويؤدي إلى إساءة الظن.

ولا سيما إذا كانوا في مفازة، ربما ظن أنهم يتآمرون على قتله، أو ضربه.

أو أخذ ماله؛ فيبقى منهم على تخوف، وحذر شديد.

وفيه: سد ذرائع الشر، والحفاظ على الأخوة.

قوله: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» أي: يدخل عليه الحزن.

فهذه هي العلة من النهي عن تناجي الاثنين دون الثالث؛ إن لم يكن غيرهم .

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/٦١٦): فِيهِ النَّهْيُ عَنْ تَنَاجِي الْإِثْنَيْنِ

إِذَا كَانَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ.

إِلَّا إِذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةٍ لِإِتِّفَاعِ الْعِلَّةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّهُ يُحْزِنُهُ انْفِرَادُهُ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

وإِيهَامُ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا يُؤْهَلُ لِلْسَّرِّ، أَوْ يُوْهِمُهُ أَنَّ الْخَوْصَ مِنْ أَجْلِهِ.
وَدَلَّتِ الْعِلَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا أَرْبَعَةً فَلَا نَهْيَ عَنْ انْفِرَادِ اثْنَيْنِ بِالْمُنَاجَاةِ لِفَقْدِ
الْعِلَّةِ.

وَوَظَاهِرُهُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ فِي سَفَرٍ أَوْ حَضَرٍ:
وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ عُمرَ وَمَالِكٌ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ.
وَادَّعَى بَعْضُهُمْ نَسْخَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.
وَأَمَّا الْآيَاتُ فِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ فَهِيَ فِي نَهْيِ الْيَهُودِ عَنِ التَّنَاجِيِ.
كَمَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ: عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نُهِوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨] قَالَ: "الْيَهُودُ".

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: «كَانَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَبَيْنَ النَّبِيِّ - ﷺ -
- مُوَادَعَةٌ. فَكَانُوا إِذَا مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ
بَيْنَهُمْ حَتَّى يَظُنُّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ أَوْ بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ
خَشِيَهِمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ. فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ - ﷺ - عَنِ النَّجْوَى فَلَمْ يَنْتَهُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهِوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة: ٨].»



بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه

١٤٥٦ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفْسَحُوا، وَتَوَسَّعُوا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/٦١٦-٦١٧):

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: "لَا يُقِيمَنَّ" بِصِيغَةِ النَّهْيِ مُؤَكَّدًا فَلَفْظُ الْخَبَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي أَتَى بِهِ الْمُصَنِّفُ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَظَاهِرُهُ التَّحْرِيمُ. فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَوْضِعٍ مُبَاحٍ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ غَيْرِهِ لَصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الطَّاعَاتِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَفَادَ حَدِيثٌ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَ فِيهِ حَقٌّ لِأَحَدٍ بِقُعودِهِ فِيهِ مِنْ مُصَلٍّ أَوْ غَيْرِهِ ثُمَّ فَارَقَهُ لِأَيِّ حَاجَةٍ ثُمَّ عَادَ وَقَدْ قَعَدَ فِيهِ أَحَدٌ أَنْ لَهُ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَقَالُوا: لَا فَرْقَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ أَنْ يَقُومَ وَيَتْرَكَ فِيهِ سَجَادَةً، أَوْ نَحْوَهَا، أَوْ لَا، فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) واللفظ له.

قَالُوا: وَإِنَّمَا يَكُونُ أَحَقُّ بِهِ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ وَحَدَهَا دُونَ غَيْرِهَا.
وَالْحَدِيثُ يَشْمَلُ مَنْ قَعَدَ فِي مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ لِتِجَارَةٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا.
قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَنْ اعْتَادَ فِي الْمَسْجِدِ مَحَلًّا يُدْرَسُ فِيهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ.
قَالَ الْغَزَالِيُّ: إِلَى الْأَبَدِ مَا لَمْ يُضْرَبْ.
وَأَمَّا إِذَا قَامَ الْقَاعِدُ مِنْ مَحَلِّهِ لِغَيْرِهِ؛ فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ جَوَازُهُ.
وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه -: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ لَهُ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ لَا يَقْعُدُ فِيهِ".
وَحُمِلَ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَهُ تَوَرُّعًا لِحَوَازِ أَنَّهُ قَامَ لَهُ حَيَاءٌ مِنْ غَيْرِ طَيِّبَةِ نَفْسٍ. اهـ



بيان بعض آداب الأكل

١٤٥٧ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا» ^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أدب من آداب الطعام، وهو لعق الأصابع .
وبيانه أن لا يمسح الأكل يده حتى يلعقها بنفسه، أو يلعقها غيره؛ إن كان لا يحصل له التقزز والأذى من اللعق.

بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد:

ذكر أهل العلم أن الحكمة في ذلك طلب بركة الطعام تكون في هذا الطعام الذي في يده، فإذا لعقها وقعت البركة فيه.

والنهي للتنزيه .

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا» أي: يلعقها بنفسه.

قوله: «أَوْ يُلْعِقَهَا» أي: غيره ممن لا يتقذر منه: كالزوجة، أو الابن، أو الخادم، وما أشبه ذلك.

والشاهد من الحديث: أن الإنسان يحافظ على النعمة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.
وفيه: أنه ينبغي الحرص على طلب البركة، سواء كان ذلك بلعق يديه بعد الطعام

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٦)، ومسلم (٢٠٣١)، وهو عند البخاري بدون لفظ: «طعاما» وفي رواية أخرى

لمسلم: «من الطعام».

أو بلعق الصفحة التي أكل فيها أو الأكل من جوانب الصفحة .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث ابن عباس رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلی الله علیه و آله قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلْ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ، وَلَكِنْ لِيَأْكُلْ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَهَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا»^(١).

ولفظ الإمام ابن ماجه في سننه بذكر الوسط: من حديث ابن عباس رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله: «إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ، فَخُذُوا مِنْ حَافَتِهِ، وَذَرُوا وَسْطَهُ، فَإِنَّ الْبَرَكَهَ تَنْزِلُ فِي وَسْطِهِ».

بيان حكم الأطعمة التي تكون جافة:

وأما الأطعمة الجافة التي لا يعلق بالأيدي منها شيء، فلا سبيل إلى لعق الأصابع.

بيان أن عادة النبي صلی الله علیه و آله أنه كان يأكل بثلاث أصابع:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه و آله يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا»^(٢).

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦١٧-٦١٨): وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى

عَدَمِ تَعْيِينِ غَسْلِ الْيَدِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَنَّهُ يُجْزَى مَسْحُهَا.

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ لَعْقُ الْيَدِ أَوْ إِلْعَاقُهَا الْغَيْرِ.

وَعَلَّلَهُ فِي الْحَدِيثِ: «بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَهَ».

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، وابن ماجه (٣٢٧٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وهو في

الإرواء (١/١٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٢).

كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «أَنَّهُ - ﷺ - أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَذُرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةَ».

وَكَذَلِكَ أَمَرَ - ﷺ - بِالتَّقَاطِ اللَّقْمَةِ وَمَسْحِهَا وَأَكْلِهَا.

كَمَا فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا بِلَفْظٍ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ».

وَهَذِهِ الْأُمُورُ: مِنَ اللَّعَقِ وَالْإِلْعَاقِ وَلَعَقِ الصَّحْفَةِ وَأَكْلِ مَا يَسْقُطُ ظَاهِرُ الْأَوَامِرِ وَجُوبُهَا.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ، وَقَالَ: إِنَّهَا فَرَضٌ.

وَالْبَرَكَةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ وَتُبُوْتُ الْخَيْرِ.

وَالْمُرَادُ هُنَا: مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّغْذِيَةُ وَتَسْلَمُ عَاقِبَتُهُ مِنْ أَذَى وَيُقَوِّي عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ قَدْ تَكُونُ: فِي لَعَقِ يَدِهِ، أَوْ لَعَقِ الصَّحْفَةِ، أَوْ أَكْلِ مَا يَسْقُطُ مِنْ لُقْمَةٍ؛ وَإِنْ كَانَ عَلَّلَ أَكْلَ السَّاقِطِ بِأَنَّهُ لَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ.

وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ يَدُهُ هُوَ أَصَابِعُ يَدِهِ الثَّلَاثُ: كَمَا وَرَدَ «أَنَّهُ - ﷺ - كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ وَلَا يَزِيدُ الرَّابِعَةَ وَالْخَامِسَةَ إِلَّا إِذَا احتَاجَهَا»، بِأَنْ يَكُونَ الطَّعَامُ غَيْرَ مُشْتَدٍّ وَنَحْوَهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: «أَنَّهُ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَكَلَ أَكَلَ بِخَمْسٍ»، وَهُوَ مُرْسَلٌ.

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالْعَاقِ الْغَيْرِ أَصَابِعُهُ مِنْ زَوْجَةٍ، وَخَادِمٍ وَوَلَدٍ وَغَيْرِهِمْ.

بيان بعض آداب الأكل

فَإِنْ تَنَجَّسَتْ اللَّقْمَةُ السَّاقِطَةُ فَيُزِيلُ مَا فِيهَا مِنْ نَجَاسَةٍ إِنْ أَمَكَنَ، وَإِلَّا أَطْعَمَهَا
حَيَوَانًا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ.
كَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ بِنَاءً عَلَى جَوَازِ إِطْعَامِ الْمُتَنَجِّسِ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأَمَّةِ فِعْلًا خَلْفًا
عَنْ سَلَفٍ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ. اهـ



بيان بعض آداب السلام

١٤٥٨ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: [قَالَ] رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لِیَسْلَمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض آداب السلام.

وقد تقدم شيء من ذكر آدابه في شرح حديث حق المسلم على المسلم .

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦١٨-٦١٩): وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: إِنَّهُ لِلنَّدْبِ. قَالَ: فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُورُ بِالْإِبْتِدَاءِ فَبَدَأَ الْآخَرُ كَانَ الْمَأْمُورُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ وَالْآخَرُ فَاعِلًا لِلْسُّنَّةِ.

(قُلْتُ) وَالْأَصْلُ فِي الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَكَأَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْهُ الْإِتِّفَاقُ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِ الْبُدْءِ بِالسَّلَامِ.

وَالْحَدِيثُ فِيهِ شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مِنَ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ.

قال ابن بطال: عَنْ الْمُهَلَّبِ: الْمَارِّينَ مَعَ كَثَرَتِهِمْ فَسَقَطَتِ الْبُدْءُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ. وَفِيهِ: شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الْقَلِيلِ بِالسَّلَامِ عَلَى الْكَثِيرِ؛ وَذَلِكَ لِفَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ أَوْ لِأَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣١ - ٦٢٣٤)، وهذا لفظه، وليس عند مسلم تسليم الصغير على الكبير.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٠) والبخاري (٦٢٣٢، ٦٢٣٣).

الْجَمَاعَةَ وَلَوْ ابْتَدَأُوا لَخِيفَ عَلَى الْوَاحِدِ الزَّهْوُ فَاحْتِيطَ لَهُ.

فَلَوْ مَرَّ جَمْعٌ كَثِيرٌ عَلَى جَمْعٍ قَلِيلٍ أَوْ مَرَّ الْكَبِيرُ عَلَى الصَّغِيرِ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ: لَمْ أَرِ فِيهِ نَصًّا، وَاعْتَبَرَ النَّوَوِيُّ الْمُرُورَ.

فَقَالَ: الْوَارِدُ يُبْدَأُ سَوَاءً كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ: أَنَّ مَنْ مَشَى فِي الشَّوَارِعِ الْمَطْرُوقَةِ كَالسُّوقِ أَنَّهُ لَا يُسَلِّمُ إِلَّا عَلَى

الْبَعْضِ لِأَنَّهُ لَوْ سَلَّمَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيَ لَتَشَاغَلَ بِهِ عَنِ الْمُهِّمِّ الَّذِي خَرَجَ لِأَجْلِهِ؛ وَخَرَجَ بِهِ عَنِ الْعُرْفِ.

وفيه: شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الرَّاكِبِ عَلَى الْمَاشِي، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ لِلرَّاكِبِ مَزِيَّةً عَلَى الْمَاشِي؛

فَعَوَّضَ الْمَاشِي بِأَنْ يُبْدَأَ الرَّاكِبُ بِالسَّلَامِ احْتِيَاظًا عَلَى الرَّاكِبِ، مِنَ الزَّهْوِ لَوْ حَازَ الْفَضِيلَتَيْنِ.

وَأَمَّا إِذَا تَلَاقَى رَاكِبَانِ أَوْ مَاشِيَانِ:

فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا الْمَازِرِيُّ فَقَالَ: يُبْدَأُ الْأَدْنَى مِنْهُمَا عَلَى الْأَعْلَى قَدْرًا فِي الدِّينِ

إِجْلَالًا لِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ فَضِيلَةَ الدِّينِ مُرَغَّبٌ فِيهَا فِي الشَّرْعِ.

وَعَلَى هَذَا لَوْ تَلَقَّى رَاكِبَانِ وَمَرْكُوبٌ أَحَدُهُمَا أَعْلَى فِي الْجِنْسِ مِنْ مَرْكُوبِ الْآخَرِ

كَالْجَمَلِ وَالْفَرَسِ فَيُبْدَأُ رَاكِبُ الْفَرَسِ، أَوْ يَكْتَفِي بِالنَّظَرِ إِلَى أَعْلَاهُمَا قَدْرًا فِي الدِّينِ.

فَيُبْدَأُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ.

وَالثَّانِي أَظْهَرُ كَمَا لَا يُنْظَرُ إِلَى مَنْ يَكُونُ أَعْلَاهُمَا قَدْرًا مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ

سُلْطَانًا يُخْشَى مِنْهُ.

وَإِذَا تَسَاوَى الْمُتَلَاقِيَانِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ:

بيان بعض آداب السلام

فَكُلُّ مِنْهُمَا مَأْمُورٌ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْمُتَهَاجِرَيْنِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُنْفَرِدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ «الْمَاشِيَانِ إِذَا اجْتَمَعَا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أَفْضَلُ».

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنِ الْأَعْرَضِيِّ - رحمته الله - قَالَ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ - رحمته الله -: "لَا يَسْبِقُكَ أَحَدٌ بِالسَّلَامِ".

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ - رحمته الله - مَرْفُوعًا: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ»، وَقَالَ: حَسَنٌ.

وَالطَّبْرَانِيُّ فِي حَدِيثٍ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَلْتَقِي فَأَيُّنَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ قَالَ أَطَوَعُكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى».



١٤٥٩ - (وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «يُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزَى عَنِ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أدب من آداب السلام.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦١٩-٦٢٠):

فيه: أَنَّهُ يُجْزَى تَسْلِيمُ الْوَاحِدِ عَنِ الْجَمَاعَةِ ابْتِدَاءً وَرَادًّا.

قَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَشَى مِنْ عُمُومِ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مَنْ كَانَ يَأْكُلُ، أَوْ يَشْرَبُ، أَوْ يُجَامِعُ، أَوْ كَانَ فِي الْخَلَاءِ، أَوْ فِي الْحَمَامِ، أَوْ نَائِمًا، أَوْ نَاعِسًا، أَوْ مُصَلِّيًا، أَوْ مُؤَذِّنًا، مَا دَامَ مُتَلَبِّسًا بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ، إِلَّا أَنَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْحَمَامِ إِنَّمَا كُرِهَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إِزَارٌ وَإِلَّا فَلَا كَرَاهَةَ.

بيان حكم السلام حال الخطبة في الجمعة:

وَأَمَّا السَّلَامُ حَالَ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ فَيُكْرَهُ لِلْأَمْرِ بِالْإِنْصَاتِ، فَلَوْ سَلَّمَ لَمْ يَجِبِ الرَّدُّ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ قَالَ الْإِنْصَاتُ وَاجِبٌ. وَيَجِبُ عِنْدَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ سُنَّةٌ. وَعَلَى الْوُجْهَيْنِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرُدَّ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ.

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١٠)، والبيهقي (١٧٩٤٦)، وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي ضعيف. وليس هو

عند أحمد. وله شاهد: من مراسيل زيد بن أسلم، أخرجه مالك في الموطأ (٢٧٥٦). وآخر من حديث علي

رضي الله عنه أخرجه البزار (٥٣٤)، وأبو يعلى (٤٤١). وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (٧٧٨).

﴿ بيان حكم السلام على المشتغل بقراءة القرآن:

وَأَمَّا الْمُشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: الْأَوَّلَى تَرْكُ السَّلَامِ عَلَيْهِ فَإِنْ سَلَّمَ كَفَاهُ الرَّدُّ بِالْإِشَارَةِ.

وَأِنْ رَدَّ لَفْظًا اسْتَأْنَفَ الْإِسْتِعَاذَةَ وَقَرَأَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُشْرَعُ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ. اهـ

﴿ بيان حكم سلام من دخل بيتا ليس فيه أحد:

وَيُنْدَبُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] الْآيَةَ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ وَابْنُ شَيْبَةَ^(١): بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ -

- «يُسْتَحَبُّ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ». وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -

﴿ بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام:

فَإِنْ ظَنَّ الْمَارُ أَنَّهُ إِذَا سَلَّمَ عَلَى الْقَاعِدِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَتْرُكُ ظَنَّهُ وَيُسَلِّمُ فَلَعَلَّ ظَنَّهُ يَخْطِئُ.

فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ سَلَامُهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ. كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: لَا يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا لِتَأْثِيمِ الْآخَرِ

فَهُوَ كَلَامٌ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةَ لَا تُتْرَكُ بِمِثْلِ هَذَا، ذَكَرَ مَعْنَاهُ النَّوَوِيُّ.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٨٣٥).

بيان بعض آداب السلام

وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تَوَرُّطَ الْمُسْلِمِ فِي الْمَعْصِيَةِ أَشَدُّ مِنْ مَصْلَحَةِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَامْتِثَالَ حَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْإِفْشَاءِ يَحْصُلُ مَعَ غَيْرِ هَذَا. فَإِنْ قِيلَ هَلْ يَحْسُنُ أَنْ نَقُولَ: "رُدَّ السَّلَامَ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ"، قِيلَ نَعَمْ فَإِنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

فَيَجِبُ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِبْ، حَسُنَ أَنْ يُحْلَلَهُ مِنْ حَقِّ الرَّدِّ. اهـ



بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام

١٤٦٠ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى

بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم بدء أهل الذمة: من اليهود ومن النصارى

بالسلام.

وذلك لإظهار قوة الإسلام .

وحديث الباب يدل على تحريم بدء أهل الذمة من اليهود، ومن النصارى بالسلام؛

لأنهم غير مستحقين له.

ولكن لو بدأوا هم بالسلام فيرد عليه بقوله: "وعليكم".

دون أي زيادة؛ لأنهم ربما قصدوا الدعاء وسب المسلم، كما كانت اليهود تفعل

مع النبي ﷺ ويقولون: السام عليكم والسام الموت.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز بدء أهل الذمة بالسلام؛ لعموم أدلة السلام

والذي يظهر أن العموم خاص في حق المسلم، وحديث الباب يدل على عدم بدئهم

بالسلام.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس عن علي، فلعله سبق قلم.

إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفُسُّوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

وفي مسند الإمام البزار رحمه الله: من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِفْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ»^(٢).

ثم قال رحمه الله: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ عَمَّارٍ مَوْقُوفًا.

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).
قوله: «وَعَنَهُ» أي: عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «لَا تَبْدُؤُوا الْيَهُودَ» اليهود: هم أتباع موسى عليه السلام، ولكنهم قد حرفوا وبدلوا التوراة التي أنزلها الله ﷻ على نبيه موسى عليه السلام.
ولم يؤمنوا بنبينا محمد ﷺ، فهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا وقد وقعوا في الشرك الأكبر المخلد لأهله في نار جهنم.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ

(١) أخرجه مسلم (٥٤).

(٢) أخرجه البزار مرفوعاً (١٣٩٦)، وعلقه البخاري في صحيحه من قول عمار بن ياسر رضي الله عنه موقوفاً عليه (١٥/١)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٤٠) موقوفاً على عمار رضي الله عنهما، وصحح الإمام الألباني رحمه الله وقفه على عمار بن ياسر رضي الله عنه كما في تحقيق الإيمان لابن تيمية (ص ٩٣)، وفي تخريج الكلم الطيب (١٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

اللَّهُ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ
اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ
قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ،
ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»^(١).

قوله: «وَالنَّصَارَى» النصارى: هم أتباع عيسى عليه السلام، وقد حرفوا وبدلوا .
حتى أصبحت الأناجيل ثمانية وسبعين إنجيلًا.

وهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا؛ لأنهم كفروا بنبوة نبينا محمد ﷺ.

وقد وقعوا في الشرك وانقسموا في عيسى عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم قالوا بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو الله ﷻ.

الثاني: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله ﷻ.

الثالث: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام إله ثالث، مع الله ﷻ، ومع روح القدس
الذي هو أمه مريم الصديقة.

فجعلوا الآلة ثلاثة: الله ﷻ، وعيسى، ومريم.

قاتلهم الله ﷻ أنا يؤفكون.

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

يقول الله ﷻ ردًا عليهم في زعمهم الباطل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ إِسْرَءِيلَ اْعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥].

لهذا فلا يقال في حق اليهود والنصارى بأنهم أصحاب ديانة سماوية كما يقوله البعض من جهلة المسلمين.

فالتوراة المنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، قد حصل لهما التحريف، والتدويل، من قبل اليهود والنصارى. وما فيهما من الحق قد نسخ بالقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ.

إضافة إلى ما فيهم من الكفر، والشرك بالله ﷻ، في اعتقادهم في عزيز، وفي عيسى عليه السلام.

وإضافة إلى ذلك كفرهم بنبوة محمد ﷺ.

كل هذا يجعلهم من أهل النار خالدين فيها أبدًا.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ ، وغيرها من الآيات .

فالواجب على كل من أدرك زمن نبوة نبينا محمد ﷺ أن يؤمن به؛ وبقاؤه على دينه السابق كفر بمحمد ﷺ .

بيان أقسام أمة النبي صلى الله عليه وسلم :

وتنقسم أمة النبي ﷺ إلى قسمين:

الأول: أمة الإجابة.

وهي من آمن بالنبي ﷺ وبما أنزل إليه.

الثاني: أمة الدعوة.

وهم من بلغتهم دعوة نبينا محمد ﷺ ولم يؤمن به، وكفروا برسالته، ونبوته، ومنهم: اليهود، والنصارى، والمجوس، وسائر الكفار والمشركين، حتى الملحدين بالله ﷻ .

وقد لعن اليهود والنصارى على السنة أنبيائهم عليهم السلام.

يقول الله ﷻ : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى

ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ

مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ

خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ المائدة: ٧٨-٨١].

قوله: «بِالسَّلَام»: فلا يجوز بدء اليهود، والنصارى بالسلام.

سواء كانوا من أهل الذمة، والمعاهدين، أو كان المسلم يعيش في بلادهم. وإذا خشي على نفسه منهم، له أن يسلم عليهم بتحتيتهم المعروفة بلغتهم؛ حتى يدفع الشر، والأذى عن نفسه.

قوله: «وَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَأَضْطَرُّوهُمْ إِلَى أُضْيَاقِهِ».

وهذا يكون في حال قوة أهل الإسلام، وعزته.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢١): ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ابْتِدَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ. وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، إِذْ أَصْلُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ.

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ يَجُوزُ الْإِبْتِدَاءُ لَهُمْ بِالسَّلَامِ.

وَلَكِنْ يَقْتَصِرُ عَلَى قَوْلِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ.

وَرَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رحمه الله - وَغَيْرُهُ.

حَكَى الْقَاضِي عِيَّاضٌ عَنْ جَمَاعَةٍ جَوَّازَ ذَلِكَ لَكِنْ لِلضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ.

وَبِهِ قَالَ عَلْقَمَةُ وَالْأَوْزَاعِيُّ.

وَمَنْ قَالَ: لَا يَجُوزُ.

يَقُولُ: إِنْ سَلَّمَ عَلَى ذِمِّي ظَنَّهُ مُسْلِمًا ثُمَّ بَانَ لَهُ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: رُدَّ

عَلَيَّ سَلَامِي.

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رحمه الله - أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يُوحِشَهُ وَيُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ

لَيْسَ بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ.

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَرِدَّهُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. اهـ
وَفِي قَوْلِهِ: "فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ": دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ رَدِّهِمْ عَنْ وَسْطِ
الطَّرْفَاتِ إِلَى أَضْيَقِهَا وَتَقَدَّمَ فِيهِ الْكَلَامُ. اهـ



بيان بعض آداب العطاس

١٤٦١ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحْ بِالْكُم»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض آداب العطاس.

وإذا عطس في الأولى فحمد الله ﷻ؛ فإنه يشمت، ويقال له: يرحمك الله كما في حديث الباب.

وفي صحيح الإمام مسلم: من طريق أبي بردة، قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ فَشَمَّتْهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسْتُ، فَحَمَدَتِ اللَّهُ فَشَمَّتْهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمَدَ اللَّهَ، فَشَمَّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»^(٢)، ولغيره من الأدلة.

وإذا زاد على ثلاث لا يلزم تشميته

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث سلمة بن الأكوع - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٢).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ ثَلَاثًا، فَمَا زَادَ فَهُوَ مَرْكُومٌ»^(١).

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يشمت إلا في الأولى .

واستدلوا بما في صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، -رضي الله عنه- حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ» ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ مَرْكُومٌ»^(٢).

قوله: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ» أي: من المسلمين: سواء كانوا من الرجال، أو النساء، من الكبار، والصغار.

قوله: «فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ»: الأصل في الأمر الوجوب، ولكنه هنا للإرشاد، فالصحيح حمد العاطس: من المستحبات، وليس من الواجبات.

قوله: «وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ»: وهذا على الوجوب، لكل من سمعه .

ففي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّنَاوُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمَّتَهُ، وَأَمَّا التَّنَاوُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه. وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٢٥١)، وابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٢ / ٣٩١ / ٢)، بلفظ: " إذا عطس أحدكم فليشتمه جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مَرْكُومٌ، ولا يشمت بعد ذلك ". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (١٣٣٠)، وفي صحيح الجامع (٦٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٢٣).

قوله: «فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحْ بِالْكُم».

وفي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «هَذَا حَمْدُ اللَّهِ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ»^(١).

بيان حكم من عطس ولم تحمد الله:

وفي الحديث أن من عطس ولم يحمد الله، أنه لا يشمت.

وهل يذكر من عطس ولم تحمد الله؟

الذي يظهر أنه لا يلزم أن يذكر لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكره.

وإن ذكره، فمن باب التعاون على البر والتقوى.

واستدل العلماء بهذا الحديث الذي في الباب على فضيلة العطاس.

وأنه سبب لإزالة كثير من الجراثيم التي تخرج مع الرذاذ وقت العطاس وإذا كتم الإنسان العطاس ربما أصيب بجلطة.

وفيه: أن حال المسلم كله على خير فالعاطس يحمد الله تعالى على أن سلمه من هذا المرض.

وأخوه الذي سمعه يقول له: يرحمك الله.

فيدعو له بالرحمة، والسلامة من الأمراض والأسقام، وبمغفرة الذنوب، وستر

العيوب وهو يرد عليه، بقوله: «يهديكُم الله ويصلح بالكم».

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢١)، ومسلم (٢٩٩١).



بيان بعض آداب العطاس



قوله: «يهديكم الله» أي: يدعو له بالهداية إلى كل خير، وأن يجنبه الله كل شر وضير وضرر.

قوله: «ويصلح بالكم» أي: يصلح لكم الحال الذي أنتم عليه كما قال تعالى:

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥].



بيان النهي عن الشرب قائماً

١٤٦٢ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض آداب الشرب، ومنها: النهي عن الشرب قائماً، وفيه زيادة «فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ».

والحديث ضعفه بعض أهل العلم؛ ففي إسناده عمر بن حمزة ضعيف.

ففي صحيح مسلم: من حديث أنس - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا فَلَا أَكُلُ، فَقَالَ: «ذَاكَ أَشْرٌ أَوْ أَخْبَثُ»^(٢).

وفي صحيح مسلم: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه -: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا»^(٣).

بيان حكم الشرب جالساً:

قوله: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا»: المستحب الشرب جالساً، فقد صرف نهي النبي ﷺ بفعله، ففي صحيح مسلم: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢٤).

(٣) أخرجه مسلم باللفظين (٢٠٢٥).

شَرِبَ مِنْ زَمْزَمٍ مِنْ دَلْوٍ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث كَبْشَةَ - رحمها الله - قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قَرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهَا»^(٢).

وفعلت ذلك تبتغي بركة النبي ﷺ كما جاء ذلك مصرحاً به في سنن الإمام ابن ماجه رحمهم الله: من حديث كَبْشَةَ الْأَنْصَارِيَّةُ - رحمها الله -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا قَرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَشَرِبَ مِنْهَا، وَهُوَ قَائِمٌ، فَقَطَعْتُ فَمِ الْقَرْبَةِ تَبْتَغِي بَرَكَهَ، مَوْضِعٍ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٣).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن النهي عن الشرب قائماً للتحريم.
وما جاء في حديث ابن عباس، وكبشة رحمها الله، محمول على الحاجة.

وَلِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ رحمهم الله:

إِذَا رُمَتْ تَشْرَبُ فَأَقْعُدْ تَقْرُ
وَقَدْ صَحَّحُوا شُرْبَهُ قَائِمًا
بُسْنُهُ صَفْوَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ
وَلَكِنَّهُ لِيَّانِ الْجَوَازِ

وفي سنن الإمام الترمذي رحمهم الله: من حديث ابْنِ عُمَرَ - رحمهم الله - قَالَ: «كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ»^(٤).



(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٢)، وصححه الإمام الألباني رحمهم الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٤٢٣)، وصححه الإمام الألباني رحمهم الله في صحيح وضعيف ابن ماجه.

(٤) أخرجه الترمذي (١٨٨٠)، وابن ماجه (٣٣٠١)، وصححه الإمام الألباني رحمهم الله في صحيح السنن. وكان في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمهم الله ثم تراجع عنه في أحاديث معلقة ظاهرها الصحة (٢٧٢).

بيان بعض آداب اللبس

١٤٦٣ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلْتَكُنِ الْيَمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»^(١).
١٤٦٤ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُخْلَعْهُمَا جَمِيعًا»^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا).

شرح الشرح:

ساق المصنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحديث لبيان بعض آداب اللبس.

ومنها: لبس النعال، وخلعهما.

بيان حكم البدء باليمين في النعل، وبالشمال عند خلع النعال:

وحديث الباب يدل على استحباب البدء باليمين عند لبس النعال، وبالبدء بالشمال عند خلعهما والأمر في الحديث للإرشاد.

وذلك لإكرام اليمين في اللبس، والخلع؛ لما لها من الفضل، والتقديم.

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب التيمن.

وفي الصحيحين: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ، فِي تَنْعُلِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم (٢٠٩٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

قوله: «إِذَا ائْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ»: على سبيل الاستحباب، كما تقدم بيان ذلك.

قوله: «وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ، وَلْتَكُنِ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»: وفيه بيان لشرف اليمين وتقديمها عند اللبس، والنزع.

وقد تكلمنا على أحكام اليمين في شرحنا على عمدة الأحكام، عند حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «لَا يَمْسُكُنْ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ...» وهو متفق عليه.

بيان أن المنعَل كالرَأْس:

في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي غَزْوَةِ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النَّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا ائْتَعَلَ»^(١).

بيان أن لبس الحنف والخوة يلبسه وهو جالس:

لما جاء في سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَّعِلَ الرَّجُلُ وَهُوَ قَائِمٌ»^(٢).

لأن لبسه حال القيام قد يؤدي إلى سقوطه .

وهذا الحكم في الخفاف وما يقوم مقامها من الجوارب، والنعال الضيقة التي تحتاج إلى استخدام الأيدي في اللبس، ويشق لبسها للقائم.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٧٧٥)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف الترمذي.

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٢-٦٢٣):

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِنْتَعَالِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ». وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «اسْتَكَثِرُوا مِنَ النَّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ».

أَيُّ يُشْبِهُ الرَّاكِبَ فِي خِفَّةِ الْمَشَقَّةِ وَقِلَّةِ النَّصَبِ وَسَلَامَةِ الرَّجُلِ مِنْ أَذَى الطَّرِيقِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا لَمْ يُحْمَلْ عَلَى الْإِيجَابِ فَهُوَ لِلِاسْتِحْبَابِ. اهـ

قوله: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيُخْلَعْهُمَا جَمِيعًا».

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢-٦٢٣-٦٢٤): ظَاهِرُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ عَنْ الْمَشْيِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ.

وَحَمَلُهُ الْجُمُهورُ عَلَى الْكَرَاهَةِ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْقَرِينَةَ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ^(١) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «رُبَّمَا انْقَطَعَ شَيْعُ نَعْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَمَشَى فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ حَتَّى يُضْلِحَهَا». إِلَّا أَنَّهُ رَجَّحَ الْبُخَارِيُّ وَقَفَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ رَزِينٌ: عَنْهَا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَنْتَعِلُ قَائِمًا وَيَمْشِي فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ».

وَاخْتَلَفُوا فِي عِلَّةِ النَّهْيِ:

فَقَالَ قَوْمٌ: عَلَّتْهُ أَنَّ النَّعَالَ شَرِعتْ لِرِقَابَةِ الرَّجُلِ عَمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَوْكٍ وَنَحْوِهِ فَإِذَا انْفَرَدَتْ إِحْدَى الرَّجْلَيْنِ احْتَاجَ الْمَاشِي أَنْ يَتَوَقَّى لِإِحْدَى رِجْلَيْهِ مَا لَا يَتَوَقَّى لِلْأُخْرَى.

(١) أخرجه الترمذي (١٧٧٧).

فَيُخْرِجُ لِدَلِكْ عَنْ سَجِيَّةٍ مُشِيَّةٍ وَلَا يَأْمَنُ مَعَ ذَلِكَ الْعِثَارِ.
وَقِيلَ: إِنَّهَا مُشِيَّةُ الشَّيْطَانِ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْكَرَاهَةُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الشُّهْرَةِ فِي الْمَلَابِسِ.
وَقَدْ وَرَدَ فِي رِوَايَةِ لِمُسْلِمٍ: «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُضْلِحَهَا».

وَقَدَّمَ مَا يُعَارِضُهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَيَحْمِلُ عَلَى النَّدْبِ.
وَقَدْ أُلْحِقَ بِالنَّعْلَيْنِ كُلِّ لِبَاسٍ شَفْعٌ كَالْخُفَّيْنِ:
وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٗ^(١): مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا خُفٍّ وَاحِدٍ».

وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.
وَعِنْدَ أَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.
وَعِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.
وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَكَذَا إِخْرَاجُ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْكُمِّ دُونَ الْأُخْرَى وَالْإِرْتِدَاءُ عَلَى أَحَدِ الْمُنَكَّبَيْنِ دُونَ الْآخَرِ.

(قُلْتُ) وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ وَلَمْ تُعْلَمْ الْعِلَّةُ حَتَّى يُلْحَقَ بِالْأَصْلِ،
فَالْأَوَّلَى الْإِفْتِصَارُ عَلَى مَحَلِّ النَّصِّ. اهـ



(١) أخرجه ابن ماجه (٣٦١٧).

حكم الإِسْبَال والخِيَلَاء

١٤٦٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الإِسْبَال في الثياب والخِيَلَاء. فكلاهما من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بعدم نظر الله ﷻ إليه يوم القيامة.

بيان حكم الإِسْبَال:

الإِسْبَال له حالان:

الأولى: أن يجز إزاره تحت الكعبين، بغير خِيَلَاء فهذا محرم؛ لما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ»^(٢).

الثانية: أن يجمع مع الإِسْبَال الخِيَلَاء فيجتمع في حقه كبيرتان: كبيرة الإِسْبَال، وكبيرة الخِيَلَاء.

ومن لبسه فوق الكعبين بدون إِسْبَال لكن مع الخِيَلَاء يَأْثِم على الخِيَلَاء.

قوله: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ»: فيه إثبات النظر لله ﷻ إلا أنه لا ينظر إلى من هذا حاله .

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

📖 قال الإمام الشوكاني رحمته الله في النيل (٢/ ١٣٢ - ١٣٣): الْحَدِيثُ يُدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ جَرِّ الثَّوبِ خِيَلَاءً.

وَالْمُرَادُ بِجَرِّهِ: هُوَ جَرُّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِقَوْلِهِ - ﷺ -: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِرَارِ فِي النَّارِ» كَمَا سَيَأْتِي.

وظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِسْبَالَ مُحَرَّمٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِمَا فِي صِغَةِ مَنْ فِي قَوْلِهِ مَنْ جَرَّ مِنَ الْعُمُومِ.

وَقَدْ فَهِمْتُ أُمَّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - ذَلِكَ لَمَّا سَمِعْتُ الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟» قَالَ: يُرْخِيْنَهُ شِبْرًا فَقَالَتْ: إِذَا يَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: فَيُرْخِيْنَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدُنَ عَلَيْهِ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ^(١).

وَلَكِنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِ الْإِسْبَالِ لِلنِّسَاءِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ رَسْلَانَ فِي شَرْحِ السُّنَنِ.

وظَاهِرُ التَّقْيِيدِ بِقَوْلِهِ: «خِيَلَاءً»، يُدُلُّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّ جَرَّ الثَّوبِ لِغَيْرِ الْخِيَلَاءِ لَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي هَذَا الْوَعِيدِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: مَفْهُومُهُ أَنَّ الْجَارَّ لِغَيْرِ الْخِيَلَاءِ لَا يَلْحَقُهُ الْوَعِيدُ، إِلَّا أَنَّهُ مَذْمُومٌ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ الْبُؤَيْطِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ عَنِ الشَّافِعِيِّ: لَا يَجُوزُ السَّدْلُ فِي الصَّلَاةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا لِلْخِيَلَاءِ، وَلِغَيْرِهَا خَفِيفٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - لِأَبِي بَكْرٍ أَنْتَهَى.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ وَيَقُولَ: لَا أَجْرُهُ خِيَلَاءً، لِأَنَّ

(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥٣٣٦) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٧٣١).

النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا أَنْ يُخَالِفَهُ إِذْ صَارَ حُكْمُهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَمْتَثِلُهُ، لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي.

فَإِنَّهَا دَعْوَى غَيْرِ مُسَلِّمَةٍ، بَلْ إِطَالَةٌ ذَيْلُهُ دَالَّةٌ عَلَى تَكْبِيرِهِ أَنْتَهَى.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرَّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخِيْلَاءَ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَيَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اعْتِبَارِ التَّقْيِيدِ بِالْخِيْلَاءِ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ فِيهِ «وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ». اهـ

قوله: «خِيْلَاءٌ» خِيْلَاءٌ: بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمَدِّ الْبَطْرِ وَالْكَبْرِ.

وهذا شامل الرجال، والنساء.

ولكن رخص للنساء كما سبق في حديث أم سلمة رضي الله عنها: «أَنْ يَرْخِيَنَّهُ ذِرَاعًا، وَلَا يَزْدَنَ عَلَى ذَلِكَ».

والرد على من اسندل حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ففي صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيْلَاءً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه -: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَائِي إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَسْتُ بِمَنْ يَصْنَعُهُ خِيْلَاءً»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤).

فلا يدخل في هذا الحكم من يتعاهد إزاره.

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٤-٦٢٥):

وَالْمَرَادُ بِالذَّرَاعِ: ذِرَاعُ الْيَدِ وَهُوَ شِبْرَانِ بِالْيَدِ الْمُعْتَدِلَةِ.

وَالْمَرَادُ جَرُّ الثَّوْبِ: عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ «مَا أَسْفَلَ مِنْ

الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ».

وَتَقْيِيدُ الْحَدِيثِ بِالْخِيلَاءِ: دَالٌ بِمَفْهُومِهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَنْ جَرَّهُ غَيْرَ خِيَلَاءٍ دَاخِلًا فِي

الْوَعِيدِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ مَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ^(١) وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: أَنَّهُ «قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رضي الله عنه -

لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ اتَّعَاهَدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -:

إِنَّكَ لَسْتَ بِمَنْ يَفْعَلُهُ خِيَلَاءٌ».

وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِبَارِ الْمَفَاهِيمِ مِنْ هَذَا النَّوعِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إِنَّ جَرَّهُ لِغَيْرِ الْخِيلَاءِ مَذْمُومٌ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

وَقَدْ صَرَّحَتِ السُّنَّةُ أَنَّ أَحْسَنَ الْحَالَاتِ أَنْ يَكُونَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ كَمَا أَخْرَجَهُ

الترمذي والنسائي^(٢) عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ «كُنْتُ أَمْشِي وَعَلَيَّ بُرْدٌ أَجَرُهُ فَقَالَ لِي

رَجُلٌ: ارْفَعْ ثَوْبَكَ فَإِنَّهُ أَبْقَى وَأَنْقَى فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - فَقُلْتُ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ

مَلْحَاءٌ فَقَالَ: مَا لَكَ فِي أَسْوَةٍ؟ قَالَ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ».

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤) وأبو داود (٤٠٨٥) والنسائي (٥٣٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٦٨٢) والنسائي (٩٦٨٢).

وَأَمَّا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.
وَمَا دُونَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ حَرَامٌ إِنْ كَانَ لِلْخَيْلَاءِ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهَا فَقَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ:
إِنَّهُ مَكْرُوهٌ.

وَقَدْ يَتَجَهَّ أَنْ يُقَالَ إِنْ كَانَ الثَّوْبُ عَلَى قَدَرٍ لَا بِسِهِ لَكِنَّهُ يَسُدُّهُ فَإِنْ كَانَ لَا عَنْ قَصْدٍ
كَالَّذِي وَقَعَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْوَعِيدِ.
وَإِنْ كَانَ الثَّوْبُ زَائِدًا عَلَى قَدَرٍ لَا بِسِهِ فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ جِهَةِ الْإِسْرَافِ مُحَرَّمٌ لِأَجْلِهِ،
وَلِأَجْلِ التَّشَبُّهِ بِالنِّسَاءِ، وَلِأَجْلِ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ النَّجَاسَةُ.
وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ، فَيَقُولَ لَا أَجْرُهُ خَيْلَاءٌ؛
لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا، وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ اللَّفْظُ أَنْ يُخَالَفَهُ إِذَا صَارَ حُكْمُهُ أَنْ
يَقُولَ لَا أَمْتَلُهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي فَإِنَّهَا دَعَاوَى غَيْرُ مُسَلِّمَةٍ بَلْ إِطَالَةٌ ذِيلُهُ دَالَّةٌ
عَلَى تَكْبِيرِهِ. اهـ

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرَّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخَيْلَاءَ وَلَوْ لَمْ
يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَنِيْعٍ^(١): عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - فِي أَثْنَاءِ حَدِيثٍ رَفَعَهُ «إِيَّاكَ وَجَرَّ الْإِزَارِ
فَإِنْ جَرَّ الْإِزَارَ مِنَ الْمَخِيلَةِ».

وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ^(٢): مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ - رضي الله عنه - وَفِي قِصَّةٍ لِعَمْرِو بْنِ زُرَّارَةَ
الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلَ».

(١) (١٠ / ٢٦٤).

(٢) أخرجه الطبراني (٧٩٠٩).

وَحُكْمُ غَيْرِ الثَّوبِ وَالْإِزَارِ حُكْمُهُمَا:

وَكَذَلِكَ لَمَّا سَأَلَ شُعْبَةُ مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ قَالَ شُعْبَةُ أَذْكَرُ الْإِزَارَ؟ قَالَ مَا خَصَّ إِزَارًا وَلَا قَمِيصًا وَمَقْصُودُهُ أَنَّ التَّغْيِيرَ بِالثَّوبِ يَشْمَلُ الْإِزَارَ وَغَيْرَهُ.

وَأَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ^(١): عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ وَفِيهِ مَقَالٌ. قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَإِسْبَالُ الْعِمَامَةِ الْمُرَادُ بِهِ إِسْبَالُ الْعَذْبَةِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ^(٢): مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ حَرْثٍ - رضي الله عنه -: «أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - أَرْخَى طَرَفَ عِمَامَتِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

وَكَذَلِكَ تَطْوِيلُ أَكْمَامِ الْقَمِيصِ زِيَادَةٌ عَلَى الْمُعْتَادِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ إِسْبَالٌ مُحَرَّمٌ.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضُ عَنْ الْعُلَمَاءِ كَرَاهَةَ كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الْعَادَةِ وَعَلَى الْمُعْتَادِ فِي اللَّبَاسِ مِنَ الطُّوْلِ وَالسَّعَةِ.

(قُلْتُ) وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِالْمُعْتَادِ مَا كَانَ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ. اهـ



(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٤) والنسائي (٥٣٣٤) وابن ماجه (٣٥٧٦).

(٢) أخرجه النسائي وهو ضعيف (٥٣٤٦) وهو في مسلم (١٣٥٩).

بيان بعض آداب الأكل

١٤٦٦ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب الأكل والشرب باليمين، للمستطيع.
حديث الباب يدل على وجوب الأكل والشرب باليمين، وعلى تحريمه بالشمال؛ لأن في ذلك تشبهاً بالشیطان.

وفيه: بيان أن اليمين هي المقدمة في: الأكل، والشرب، والأخذ، والعطاء، والطهور، والغسل، والكتابة، واللباس، وفي جميع الشأن.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «يُعْجِبُهُ التَّيْمُنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا».

قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا».

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ - رضي الله عنه -، يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ^(٢).

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ»: والأكل باليمين واجب.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ - رضي الله عنه -، قَالَ: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ، قَالَ: «فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ»^(٣).

بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة:

ومن عجز أن يأكل، أو يشرب بيمينه؛ فيجوز له الأكل والشرب بشماله.

يقول الله ﷻ: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وغيرها من الأدلة.

وفي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - رضي الله عنه -: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِبَطْنِهِ وَشِرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ»^(٤).

قال النووي في رياض الصالحين: باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو

من باب التكريم

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود.

كالوضوء والغسل والتيمم، ولبس الثوب والنعل والخف والسرائيل ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وتنف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل، والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء، والأخذ والعطاء وغير ذلك مما هو في معناه. ويستحب تقديم اليسار في ضد ذلك، كالامتخاط والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف والنعل والسرائيل والثوب، والاستنجاء وفعل المستقذرات وأشباه ذلك.

قوله: «وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ» أي: أن الشرب حكمه حكم الأكل.

قوله: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ» فيه: دليل على أن الشيطان يأكل ويشرب.

وفيه: دليل على أنه لا يجوز التشبه بأهل الشر: لا بالشیاطين، ولا بالكفار والمشركين، ولا بالملحدين، ولا بالمبتدعة الضالة المنحرفين.

يقول الله ﷻ: ﴿مُذِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

﴿٣٢﴾ [الروم: ٣١-٣٢]..

فإذا كان التشبه بهم ممنوع في هذا الباب فمن باب أولى التشبه بهم في الشراكيات، والبدع والمحدثات، والخرافات والحكم بغير ما أنزل الله ﷻ، واللباس والزينة، ولا في شيء من المخالفات.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١).

قوله: «وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أي: أن حكم الشرب هو حكم الأكل.

📖 قال الإمام الصنعاني رحمته الله في السبل (٢/٦٢٦): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ

الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بِالشِّمَالِ.

فَإِنَّهُ عَلَّلَهُ بِأَنَّهُ فِعْلُ الشَّيْطَانِ وَخُلِقَ وَالْمُسْلِمُ مَأْمُورٌ بِتَجَنُّبِ طَرِيقِ أَهْلِ الْفُسُوقِ

فَضْلًا عَنِ الشَّيْطَانِ.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَالشُّرْبُ بِهَا لَا أَنَّهُ بِالشِّمَالِ

مُحَرَّمٌ.

وَقَدْ زَادَ نَافِعٌ: "الْأَخْذَ وَالْإِعْطَاءَ". اهـ



(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وقال فيه الإمام الألباني رحمته الله: حسن صحيح.

بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها

١٤٦٧ - (وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - عليه السلام - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن الأصل في الأشياء الإباحة.

فيجوز للإنسان أن يأكل، ويشرب، ويلبس ما شاء، ما لم يأتي دليل على تحريمه.

قوله: «وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ»: وهو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

أي أن عمرو يروي الحديث عن أبيه شعيب، وشعيب يروي الحديث عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وليس عن أبيه محمد. وقد تقدم أن هذه السلسلة حسنة.

قوله: «كُلْ وَاشْرَبْ وَالْبَسْ» أي: كل مما رزقك الله تعالى؛ ما لم يكن حراماً ومما حرم على الرجال في اللبس: الحرير، والذهب، وغير ذلك. ومما حرم على الرجال والنساء في اللبس: ما فيه خيلاء.

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٣٧٥)، وأحمد (٦٦٩٥، ٦٧٠٨)، وسنده حسن، وعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ قبل حديث (٥٧٨٣) بصيغة الجزم، وأخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٢٥٥٩)، والمشكاة (٤٣٨١)، وصحيح الجامع (٤٥٠٥).

ومما حرم الرجال في اللبس أن يطيل الثوب ويجعله أسفل من الكعبين.
ومما حرم على النساء في اللبس أن تطيل لباسها أكثر من ذراع؛ لأن النبي ﷺ لم يرخص لهن إلا في الذراع فقط، وهكذا.

ومما حرم عليهم جميعاً ما فيه تشبه بالكفار، وبالمشركين.

قوله: «وَتَصَدَّقْ» أي: على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين.

وأفضل الصدقة ما يكون على ذوي القربى؛ فإنها تعتبر صدقة، وصلة.

قوله: «فِي غَيْرِ سَرْفٍ» أي: في غير إسراف؛ لأن الإسراف والتبذير محرم.

فالمسرف لا يجب عليه الله ﷻ يقول الله ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١).

والمبذر أخاً للشيطان يقول الله ﷻ: ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (٣٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٣٧)

[الإسراء: ٢٦-٢٧]..

بيان الفرق بين الإسراف والتبذير:

والفرق بين الإسراف والتبذير:

أن الإسراف: يكون في المآكل، والمشارب؛ لأن الله ﷻ في الآية جعل الإسراف في

المأكل، وفي المشرب.

والتبذير: يكون عام: في المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمراكب،

وغير ذلك.

قوله: «وَلَا مَخِيلَةَ» المخيلة: من الخيلاء وهو البكر والأشر والبطر.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّظَ فِي نَفْسِهِ، أَوْ اخْتَالَ فِي مَشِيَّتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ» ^(١).

ويقول الله ﷻ مخبراً لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ^(١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْمُحَيَّرِ ^(١٩) [لقمان: ١٨-١٩]..

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٦): دَلَّ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمُشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالتَّصَدُّقِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِسْرَافِ: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ وَهُوَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ. وَالْحَدِيثُ مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. وفيه: تَحْرِيمُ الْخِيَلَاءِ وَالْكِبَرِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لِفَضَائِلِ تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ. وَفِيهِ مَصَالِحُ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِنَّ السَّرْفَ: فِي كُلِّ شَيْءٍ مُضَرٌّ بِالْجَسَدِ، وَمُضَرٌّ بِالْمَعِيشَةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْإِتْلَافِ. فَيُضَرُّ بِالنَّفْسِ إِذَا كَانَتْ تَابِعَةً لِلْجَسَدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ.

وَالْمَخِيلَةُ: تَضَرُّ بِالنَّفْسِ حَيْثُ تُكْسِبُهَا الْعُجْبَ، وَتَضَرُّ بِالْآخِرَةِ حَيْثُ تُكْسِبُ الْإِثْمَ، وَبِالدُّنْيَا حَيْثُ تُكْسِبُ الْمَقْتَ مِنَ النَّاسِ.

(١) أخرجه أحمد (٥٩٩٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب

المفرد (٥٤٩/ ٤٢٧)، وفي الصحيحة (٥٤٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧١٨).

وَقَدْ عَلَّقَ الْبُخَارِيُّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -: «كُلْ مَا شِئْتَ وَاشْرَبْ مَا شِئْتَ مَا
أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرْفٌ وَمَخِيلَةٌ». اهـ



باب البر والصلة

[بَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ]

شرح الشرح:

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٦-٦٢٧):

الْبِرُّ: بِكَسْرِ الْمُوَحَّدةِ هُوَ التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

وَالْبِرُّ يَفْتَحُهَا: الْمُتَوَسُّعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالصَّلَةُ: بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهمَلَةِ مَصْدَرٌ وَصَلَهُ كَوَعَدَهُ عِدَّةً.

فِي النَّهَايَةِ: تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ صَلَةِ الْأَرْحَامِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ وَالرَّفْقِ بِهِمْ وَالرَّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ. وَكَذَلِكَ إِنْ تَعَدَّوْا وَأَسَاءُوا وَضِدُّ ذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ. اهـ

📌 بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العَمَلِ:

لما جاء في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٥).

بيان أعظم البر:

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِنَّهُمْ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه:- إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وَدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلََةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ»^(١).

بيان حرمة قطيعة الأرحام:

وقد نهى الله تعالى عن قطيعة الأرحام، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ^(٣) [محمد: ٢٢-٢٣]..

فاستحقوا اللعن والطرده من رحمة الله تعالى، والصمم في أذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، والعمى في أبصارهم عن رؤية الحق واتباعه، كل هذا بسبب الإفساد في الأرض، وبسبب قطيعة الرحم.

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجَنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٨).

وفي الصحيحين: من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ -رضي الله عنه، قال: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١).

فالواجب على الإنسان أن يبذل البر لذويه، ابتداء من الأبوين.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله وغيره: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عَنْدهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ»^(٢).

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: "وَأُظْنُّهُ قَالَ: أَوْ أَحَدَهُمَا".

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي بِنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ»^(٣).
وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: "إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْ سَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ»^(٤).

بيان عظم حق الوالدين:

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وقال الإمام الألباني رحمه الله: حسن صحيح. وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٢٨٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٠٢٧). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٢٠٨٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

ويبين ذلك أن الله عز وجل يقرن في كثير من الآيات يقرن الله ﷻ حقه بحق الوالدين، وذلك لأمر:

الأمر الأول: بيان عظم حق الوالدين علينا، فحقهما عظيم.

الأمر الثاني: لأن الوالدين لهما الفضل علينا بعد الله ﷻ .

حيث يقول الله ﷻ : ﴿ وَفَضَىٰ رَيْكَ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا ۚ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۚ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ۚ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] .

ويقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣) ﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۚ إِنَّهُ لَمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ حَرَمٍ ۚ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَكْثَرُ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ .

﴿ بيان حق النبي صلى الله عليه وسلم :

فقد يقول قائل: ذكر الله ﷺ حق الوالدين بعد حقه، فأين حق النبي ﷺ؟

فالجواب: أن حق النبي ﷺ يدخل في حق الله ﷻ؛ لأنه هو المبلغ عن الله ﷻ، وهو المعلم، والأسوة الحسنة.

ولا يستطيع أحد من الناس أن يطيع الله ﷻ حق طاعته، ويوحده حق توحده، إلا إذا اتبع ما جاء في الكتاب، والسنة الثابتة عن النبي ﷺ.

﴿ بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير معصية:

يقول الله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهِ فِي عَامَيْنِ

أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [لقمان: ١٤-١٥]..

فأخبرنا الله ﷻ بأن طاعة الوالدين تكون بالمعروف، أي في غير معصية الله ﷻ، فمن باب أولى الكفر والشرك بالله ﷻ.

ومع ذلك يعاملان بالرفق، واللين، والتواضع، وحسن الأخلاق.

ومن حديث عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ - رضي الله عنه -»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَمُ الْبِرُّ كَذَلِكَمُ الْبِرُّ»^(١).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٩٢٩م)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني (٩١٣).

وأخرجه الإمام البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي الْجَنَّةِ سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُلٍ بِالْقُرْآنِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ».

ومن حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(٢) أخرجه مسلم .

ثم إن الأب والأم قد يكون في التعامل معهما بعض المشقة، ولا سيما إذا كبر سنهما، ورق عظمهما.

والوالد يرى ولده دائماً في مرتبة البنوة .

فمهما ارتفع الولد سواء كان ذلك في العلم الشرعي، أو في العلم الدنيوي .

فهو ما يزال عندهما ولد، وابن.

فقد يحسن الولد إلى والديه، ومع ذلك فقد يرى منهما بعض الأعراض، وبعض الجفاء فيجب عليه أن يصبر على الوالدين .

يقول الله ﷻ: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

﴿٢٤﴾

وقد نهى الله ﷻ من التأفف منهما يقول الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا

نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ .

فإذا كان الله ﷻ قد نهى عن التأفف، وهو أقل درجات الأذى للوالدين .

فمن باب أولى تحريم كل أذية قولية أكبر منه: سواء كانت بالسب، والشتم، واللعن، أو غير ذلك.

ومن باب أولى الأذية الفعلية: كالضرب، أو الحبس، أو القتل .

فقد جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري ﷺ في صحيحه: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١).

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستبعدون أن يشتم، أو يلعن، أو يسب الرجل والديه مباشرة.

فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا الحكم يشمل حتى من يتسبب في سبهما من الناس .
أما في زماننا هذا: فقد وجد من يسب أبويه ويلعنهما، ومن يضربهما، بل ومن يقتلهما والعياذ بالله ﷻ .

وأما رفع الأصوات عليهما، والمنة عليهما، ورد أوامرهما، وغير ذلك فهو أكثر من أن يحصى، فحدث ولا حرج.

فإن كثيراً من الأبناء يعاملون آباءهم، وأمهاتهم، معاملة البعيد عنهم .
فربما تجد من أحدهم أنه يلين جانبه لأخيه، أو لصحابه، أو لجاره.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

فإذا ما دخل إلى البيت؛ فإذا به وحش كاسر، فلا بد أن نروض أنفسنا، على بر آبائنا، وعلى أمهاتنا **وذلك في حياتهما**: بالإحسان إليهما.

وبعد موتهما: بالدعاء لهما، وإكرام صاحبهما، لما في ذلك من البركة.

وكما تدين تدان، فأنت اليوم ابن، وغداً أباً.

وما كان منك مع أبيك، سيكون من ابنك معك.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله: من طريق المغيرة بن سعد، عن أبيه، أو عن عمه، - ضرار بن الأزور - رحمه الله - قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة، فأخذت بزمام ناقته أو خطامها، فدفعته عنه، فقال: "دعوه فأرب ما جاء به" فقلت: نبئني بعمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: "لئن كنت أوجزت في الخطبة لقد أعظمت وأطولت، تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وتأتي إلى الناس ما تحب أن يأتوه إليك، وما كرهت لنفسك فدع الناس منه، خل عن زمام الناقة" ^(١).



(١) أخرجه أحمد (١٦٧٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (١٤٧٧).

بيان فضيلة البر وصلة الأرحام

١٤٦٨ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضيلة البر وصلة الأرحام.

قوله: «مَنْ أَحَبَّ».

وفي رواية أخرى: «من سره».

وكلاهما بمعنى واحد، فكلنا نحب، ونسر بالبركة في الرزق، والعمر، والأولاد.

قوله: «أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ» أي: يوسع له في رزقه، ويبارك له فيه؛ لأن الرزق

الضيق، سبب لضيق الصدور.

يُبْسَطُ: مُغَيَّرَ صِيغَتُهُ أَيْ يَبْسُطُ اللَّهُ.

أفاده الصنعاني رحمه الله.

وفي صحيح ابن حبان رحمه الله وغيره: من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكِنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ

الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيُّ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ الشَّوُّ، وَالْمَرْأَةُ الشَّوُّ،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٥)، بلفظ: «من سره أن يبسط له»

وَالْمَسْكُنُ الضَّيْقُ، وَالْمَرْكَبُ الشُّؤْ»^(١).

قوله: «وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ».

قيل: يؤخر أجله.

وَأَنْ يُنْسَأَ: بِالسَّيْنِ الْمُهِمَلَةِ مُخَفَّفَةً أَيْ يُؤَخَّرَ لَهُ.

فِي أَثَرِهِ: بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُثَلَّثَةِ فَرَاءٍ أَيْ أَجَلِهِ.

بيان الجواب عن الإشكال:

ولكن يشكل هذا مع قول الله ﷻ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٣٨).

وقوله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣٩).

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الأجل له وقت معلوم حدده الله ﷻ.

وقد ألف الإمام الشوكاني رحمه الله رسالة في هذا الباب، ردًا على رسالة وصلته من أبناء

الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وملخص ذلك: أن العمر الذي هو في اللوح المحفوظ لا يزداد فيه ولا ينقص؛ لأنه

مثبت على ما في علم الله ﷻ.

وأما الذي في يد الملك، فقد يكون على الحالين:

إن وصل رحمه فقد يطال له في عمره، ويؤخر له في أجله، فيكون عمره كذا وكذا.

وإن لم يصل رحمه، فلا يؤخر في أجله، ولا يزداد في عمره، فيكون عمره كذا وكذا.

مع أنه في علم الله ﷻ واحد، ولكن التغيير والزيادة تحصل من الملائكة.

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٣٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٣٧٨)، وصححه الإمام الألباني

رحمه الله في التعليقات الحسان (٤٠٢١): وفي الصحيحة (٢٨٢).

وقيل: يبارك له في عمره، وفي ذكره، وكفى ذلك.

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٢٧-٦٢٨):

قَالَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ كِنَايَةٌ عَنِ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ بِسَبَبِ التَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَعِمَارَةِ وَقْتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَصَيَانَتِهِ عَنْ تَضْيِيعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا مَا جَاءَ: «أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِ مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ».

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالصَّيَانَةِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التَّوْفِيقِ: الْعِلْمُ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِتَأْلِيفٍ وَنَحْوِهِ وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْفُ الصَّالِحُ.

وَأُخْرَاهُمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالْعُمُرِ. وَالَّذِي فِي الْآيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ.

كَأَنَّ يُقَالُ لِلْمَلِكِ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَصِلُ أَوْ يَقْطَعُ فَالَّذِي فِي عِلْمِ اللَّهِ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَالَّذِي يُقَالُ مَثَلًا إِنَّ عُمَرَ فَلَانٍ مِائَةٌ إِنَّ وَصَلَ رَحِمَهُ، وَإِنْ قَطَعَهَا فَسِتُونَ.

وَقَدْ سَبَقَ مَثَلًا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ هُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ

بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وَالْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ: بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي عِلْمِ الْمَلِكِ، وَمَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ؛ وَأَمَّا الَّذِي

فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ.

وَيُقَالُ لَهُ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ، وَيُقَالُ لِلأَوَّلِ الْقَضَاءُ الْمُعَلَّقُ.

وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَلَيُّ؛ فَإِنَّ الْأَثَرَ مَا يَتَّبِعُ الشَّيْءَ فَإِذَا أُخِّرَ حَسُنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الذَّكْرِ الْحَسَنِ بَعْدَ فَقْدِ الْمَذْكُورِ وَرَجَحَهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْفَائِقِ.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ^(١) فِي الصَّغِيرِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ ذَكَرَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أَنْسَى لَهُ فِي أَجَلِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ زِيَادَةٌ

فِي عُمْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤) **[الأعراف: ٣٤]** وَلَكِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الذُّرِّيَّةُ الصَّالِحَةُ يَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَخْرَجَهُ فِي الْكَبِيرِ مَرْفُوعًا مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى.

وَجَزَمَ ابْنُ فُورَكٍ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِزِيَادَةِ الْعُمَرِ نَفْيِ الْآفَاتِ عَنْ صَاحِبِ الْبِرِّ فِي فَهْمِهِ وَعَقْلِهِ.

قَالَ غَيْرُهُ: فِي أَعَمِّ مِنْ ذَلِكَ وَفِي عِلْمِهِ وَرِزْقِهِ. وَلِابْنِ الْقَيْمِ فِي كِتَابِ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ كَلَامٌ يَقْضِي بِأَنَّ مُدَّةَ حَيَاةِ الْعَبْدِ وَعُمْرِهِ هِيَ مَهْمَا كَانَ قَلْبُهُ مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ ذَاكِرًا لَهُ مُطِيعًا غَيْرَ عَاصٍ فَهَذِهِ هِيَ عُمْرُهُ.

وَمَتَى أَعْرَضَ الْقَلْبُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَاشْتَغَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاةِ عُمْرِهِ.

فَعَلَى هَذَا مَعْنَى أَنَّهُ يُنْسَأُ لَهُ فِي أَجَلِهِ أَيُّ يَعْمُرُ اللَّهُ قَلْبَهُ بِذِكْرِهِ وَأَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِهِ وَيَأْتِي تَحْقِيقُ صِلَةِ الرَّحِمِ. اهـ

قوله: «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أي: عليه أن يصل رضي الله عنه؛ حتى يتحصل على ما ذكر في

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٤) وفي سنده سليمان بن عطاء.

بيان فضيلة البر وصلة الأرحام

الحديث: من البركة في الرزق، والعمر.

﴿بيان أن الواصل ليس بالمكافئ:﴾

وليس الواصل بالمكافئ.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - قال سفيان: لَمْ يَرْفَعُهُ الْأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَرَفَعَهُ حَسَنٌ وَفِطْرٌ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَتُهُ وَصَلَّتْهَا»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفُهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٥٩٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).

بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقها

١٤٦٩ - (وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»^(١). يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب.

بيان معنى الحديث:

قوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ».

والحديث في صحيح الإمام مسلم رحمه الله بلفظ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»^(٢).

قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١٣): قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ وَلَا خِلَافَ أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَقَطِيعَتُهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ قَالَ وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ تَشْهَدُ لِهَذَا وَلَكِنَّ الصَّلَاةَ دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَأَدْنَاهَا تَرْكُ الْمُهَاجَرَةِ وَصَلَتُهَا بِالْكَلَامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ فَمِنْهَا وَاجِبٌ وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ لَوْ وُصِلَ بَعْضُ الصَّلَاةِ وَلَمْ يَصِلْ غَايَتُهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا وَلَوْ قَصَرَ عَمَّا يَقْدَرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا قَالَ وَاخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صَلَاتُهَا فَقِيلَ هُوَ كُلُّ رَحِمٍ مُحَرَّمٍ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَى حُرِّمَتْ مُنَاكَحَتُهُمَا فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ وَاحْتَجَّ هَذَا

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، والتفسير عند مسلم لسفيان بن عيينة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٦).

الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ وَنَحْوِهِ وَجَوَازِ ذَلِكَ فِي بَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَقِيلَ هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ رَحِمٍ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ فِي الْمِيرَاثِ يَسْتَوِي الْمَحْرَمُ وَغَيْرُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﷺ ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هُوَ الصَّوَابُ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ السَّابِقُ فِي أَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا وَحَدِيثُ إِنْ أَبَرَ الْبَرَّ أَنْ يَصِلَ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَا مَحْرَمِيَّةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

📖 قال الإمام الصنعاني رحمته الله في السبل (٢/ ٦٢٨-٦٢٩):

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صَلَتُهَا:

فَقِيلَ: هِيَ الرَّحِمُ الَّتِي يَحْرُمُ النِّكَاحُ بَيْنَهُمَا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا حَرَّمَ عَلَى الْآخَرِ.

فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ.

وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ التَّقَاطُعِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْ كَانَ مُتَّصِلًا بِمِيرَاثٍ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - ﷺ - : "ثُمَّ أَذْنَاكَ أَذْنَاكَ".

وَقِيلَ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرِ قَرَابَةٌ سِوَاءِ كَانَ يَرْتُهُ أَوْ لَا . اهـ



بما تقم قطيعة الرحم

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا بِأَيِّ شَيْءٍ تَحْصُلُ الْقَطِيعَةُ لِلرَّحِمِ:

فَقَالَ الرَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: تَكُونُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى الرَّحِمِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: تَكُونُ بِتَرْكِ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ أَمَرَهُ بِالصَّلَةِ نَاهِيَةً عَنِ الْقَطِيعَةِ فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا.

وَالصَّلَةُ نَوْعٌ مِنَ الْإِحْسَانِ كَمَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ غَيْرٌ وَاحِدٍ، وَالْقَطِيعَةُ ضِدُّهَا وَهِيَ تَرْكُ الْإِحْسَانِ.

وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ^(١): مِنْ قَوْلِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».

فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الصَّلَةَ إِنَّمَا هِيَ مَا كَانَ لِلْقَاطِعِ صَلَةَ رَحِمِهِ وَهَذَا عَلَى رِوَايَةِ قَطَعَتْ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَهِيَ رِوَايَةٌ.

فَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي شَرْحِهِ: الْمُرَادُ الْكَامِلَةُ فِي الصَّلَةِ.

وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: مَعْنَاهُ لَيْسَ حَقِيقَةُ الْوَاصِلِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِصِلَتِهِ مَنْ يُكَافِئُ صَاحِبَهُ بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِهِ.

وَقَالَ الْمُصَنِّفُ: لَا يُلَوِّمُ مَنْ نَفَى الْوَاصِلِ ثُبُوتَ الْقَطْعِ، فَهُمْ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: "وَاصِلٌ وَمُكَافِئٌ وَقَاطِعٌ".

فَالْوَاصِلُ: هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ وَلَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه الترمذي (١٩٠٨) وأصله في مسلم (٢٥٥٦).

بما تقم طبيعة الرحم

وَالْمُكَافِئُ: هُوَ الَّذِي لَا يَزِيدُ فِي الْإِعْطَاءِ عَلَى مَا يَأْخُذُهُ.
وَالْقَاطِعُ: الَّذِي لَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُتَفَضَّلُ.
قَالَ الشَّارِحُ: وَبِالْأَوَّلَى مَنْ يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يُتَفَضَّلُ أَنَّهُ قَاطِعٌ.
قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَكَمَا تَقَعُ الْمُكَافَاةُ بِالصِّلَةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ كَذَلِكَ تَقَعُ بِالمُقَاطَعَةِ مِنَ
الْجَانِبَيْنِ فَمَنْ بَدَأَ فَهُوَ الْقَاطِعُ، فَإِنْ جُوزِيَ سُمِّيَ مَنْ جَازَاهُ مُكَافِئًا. اهـ



بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

١٤٧٠ - (وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض المحرمات والمكروهات:

ومنها: تحريم عقوق الأمهات، ويدخل في ذلك عقوق الآباء؛ إلا أن عقوق الأمهات أعظم إثمًا؛ لأن المرأة ضعيفة تتألم أكثر من الرجل، وتتأذى أكثر منه.

ومنها: تحريم وأد البنات، ويدخل في ذلك من يقتل أولاده من الذكور والبنات خوف الفقر، أو العار، كما كان أهل الجاهلية يفعلون.

ومنها: تحريم منع الرجل لما أوجب الله عليه من: النفقات، أو الزكاة الواجبة.

ويدخل في ذلك تحريم أن يسأل الإنسان لنفسه ما ليس له .

ومنها: تحريم كثرة الكلام في الباطل .

وفي غير فائدة؛ لأنه ربما جر إلى المحرم: كالغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء، والطعن في الأنساب، وغير ذلك من المحرمات.

ومنها: كراهة كثرة السؤال في الأمور المختلفة التي قد توقع الإنسان في الشبهات.

ويدخل في ذلك السؤال الذي يراد منه إحراج العالم كسؤال التعجيز، أو السؤال

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

الذي يكون فيه العناد للحق، وغير ذلك.

ومنها: إضاعة المال وصرفه في أمور لا تنفع صاحبه، ويدخل في ذلك الإسراف والتبذير وهو من المحرمات، بل من الكبائر كما تقدم.

❦ الفرق بين المحرم والمكروه في اصطلاح الأصوليين:

المحرم: هو ما يثاب تاركه امتثالاً، ويستحق العقوبة فاعله.

المكروه: هو ما لا يَأثم فاعله، ويثاب تاركه امتثالاً.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ»: ويدخل في ذلك عقوق الآباء كما

تقدم.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»^(١).

قوله: «وَوَادُّ الْبَنَاتِ» الواد: قتل البنات وهن أحياء.

وكانوا في الجاهلية يفعلون ذلك لأمرين:

الأمر الأول: خشية العار.

الأمر الثاني: خشية الفقر.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ [سورة التكويد: ٨-٩].

ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

وَيَاَهُمْ ۖ

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ

خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ [الإسراء: ٣١].

قوله: «وَمَنْعًا وَهَاتِ» أي: يمنع ما أوجب الله ﷻ وسؤال ما لا يجوز له.

قوله: «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: وهذا فيما لا ينفع صاحبه.

أما إذا كان الكلام في أمر محرم في الشرع، فهو هنا محرم، والحديث في حق الكلام المباح، ولكنه يكثر منه حتى يضيع وقته فيما لا ينفعه.

وفي الكلام الذي قد يؤدي إلى غضب الرب سبحانه وتعالى.

ففي صحيح الإمام البخاري ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

وفي لفظ في الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ

الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث بلال بن الحارث المزني -رضي الله عنه-،

صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغْتَ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغْتَ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(١).

وجاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله أيضًا: من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ... الحديث وفيه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «تَكَلَّمْتَ أَمَّا يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُتُبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٢).

قوله: «وَكثْرَةُ السُّؤَالِ»: سواء كان المسألة المحرمة لأموال الناس.

فالشرع لم يحل المسألة إلا في أمور ثلاث.

كما جاء ذلك في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث قَبِيصَةَ بِنْتِ مُخَارِقِ الْهَلَالِيِّ - رضي الله عنه، قَالَ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمِ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً رَجُلًا، تَحْمِلُ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلًا أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلًا أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا فَاقَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ -

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيضَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا^(١).

قوله: «وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»: وهي إنفاق المال في غير أوجه الحق؛ فإن الإنسان سيسأل عن ماله يوم القيامة من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟

ففي الترمذي: من حديث أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(٢).

📖 قال الإمام الصنعاني رحمته الله في السبل (٢-٦٢٩-٦٣٢):

الْأَمْهَاتُ: جَمْعُ أَمَةٍ لُغَةً فِي الْأُمِّ وَلَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْقِلُ، بِخِلَافِ أُمٍّ فَإِنَّهَا تَعُمُّ.

وَأِنَّمَا خُصَّتِ الْأُمُّ هُنَا: إِظْهَارًا لِعِظَمِ حَقِّهَا وَإِلَّا فَلَا بُدَّ مُحَرَّمٍ عُقُوقُهُ. وَضَابِطُ الْعُقُوقِ الْمُحَرَّمِ كَمَا نُقِلَ خُلَاصَتُهُ عَنِ الْبُلْقِينِيِّ: وَهُوَ أَنْ يَحْصُلَ مِنَ الْوَلَدِ لِلْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا إِذَا لَيْسَ بِالْهَيْئِ عُرْفًا. فَيُخْرِجُ مِنْ هَذَا مَا إِذَا حَصَلَ مِنَ الْأَبَوَيْنِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ فَخَالَفَهُمَا بِمَا لَا يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ مُخَالَفَتَهُ عُقُوقًا فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا. وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ مَثَلًا عَلَى الْأَبَوَيْنِ دَيْنٌ لِلْوَلَدِ أَوْ حَقٌّ شَرْعِيٌّ فَرَّاعَهُ إِلَى الْحَاكِمِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.

كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ: "شِكَايَةُ الْأَبِ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فِي احتِجَاجِهِ

(١) أخرجه مسلم (١٠٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في ضعيف وصحيح الترمذي.

لِمَالِهِ فَلَمْ يَعُدَّ النَّبِيُّ - ﷺ - شِكَايَتَهُ عُقُوقًا".

(قُلْتُ): فِي هَذَا تَأْمُلُ فَإِنَّ قَوْلَهُ - ﷺ - «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»: دَلِيلٌ عَلَى نَهْيِهِ عَنْ مَنَعَ أَبِيهِ عَنْ مَالِهِ وَعَنْ شِكَايَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ الضَّابِطِ: فَعَلَى هَذَا، الْعُقُوقُ أَنْ يُؤْذِيَ الْوَلَدُ أَحَدَ أَبَوَيْهِ بِمَا لَوْ فَعَلَهُ مَعَ غَيْرِ أَبَوَيْهِ كَانَ مُحَرَّمًا مِنْ جُمْلَةِ الصَّغَائِرِ فَيَكُونُ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ كَبِيرَةً. أَوْ مُخَالَفَةً الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْخَوْفُ عَلَى الْوَلَدِ مِنْ فَوَاتِ نَفْسِهِ أَوْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ.

أَوْ مُخَالَفَتُهُمَا فِي سَفَرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمَا وَلَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَى الْوَلَدِ. أَوْ فِي غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا لَيْسَ لَطَلَبِ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ كَسْبٍ. أَوْ تَرْكُ تَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ، أَوْ قَطَبَ فِي وَجْهِهِ فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ الْغَيْرِ مَعْصِيَةً فَهُوَ عُقُوقٌ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ.

وقوله: «وَوَادُّ النَّبَاتِ»: بِسُكُونِ الهمزة وهو دَفْنُ الْبَنَاتِ حَيَّةً وَهُوَ مُحَرَّمٌ. وَخَصَّ النَّبَاتَ؛ لِأَنَّهُ الْوَاقِعُ مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَرَاهِيَّةٍ لَهُنَّ، يُقَالُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ التَّيْمِيُّ. وَكَانَ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ مُطْلَقًا خَشْيَةَ الْفَاقَةِ وَالنَّفَقَةِ.

وقوله: «مَنْعًا وَهَاتٍ»: الْمَنْعُ مَصْدَرٌ مِنْ مَنَعَ يَمْنَعُ وَالْمُرَادُ مَنَعَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ لَا يَمْنَعَ، وَهَاتٍ فِعْلٌ أَمْرٌ مَجْزُومٌ وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ طَلَبَهُ. وقوله: «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: يُرْوَى بِغَيْرِ تَنْوِينٍ حِكَايَةً لِلْفِظِ الْفِعْلِ.

وَرُوي مُنَوَّنًا وَهِيَ رِوَايَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ، قِيلًا وَقَالًا، عَلَى النِّقْلِ مِنَ الْفِعْلِيَّةِ إِلَى

الِاسْمِيَّةِ وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ.

وَالْمُرَادُ بِهِ: نَقْلُ الْكَلَامِ الَّذِي يَسْمَعُهُ إِلَى غَيْرِهِ فَيَقُولُ قِيلَ كَذَا وَكَذَا بِغَيْرِ تَعْيِينِ الْقَائِلِ وَقَالَ فَلَانٌ كَذَا وَكَذَا.

وَأِنَّمَا نَهَى عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْإِسْتِعَالِ بِمَا لَا يَعْنِي الْمُتَكَلِّمَ وَلِكُونِهِ قَدْ يَتَضَمَّنُ الْغِيْبَةَ وَالنَّمِيْمَةَ وَالْكَذِبَ وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ قَلَمًا يَخْلُو عَنْهُ.

وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ: فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ لِلْقَوْلِ نَقُولُ قُلْتُ قَوْلًا وَقِيْلًا.

وَفِي الْحَدِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى كَرَاهَةِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ.

ثَانِيهَا: إِرَادَةُ حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ وَالْبَحْثِ عَنْهَا لِتُخْبِرَ عَنْهَا فَتَقُولَ: قَالَ فَلَانٌ: كَذَا وَقِيلَ لَهُ كَذَا.

وَالنَّهْيُ عَنْهُ: إِمَّا لِلزَّجْرِ عَنِ الْإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَإِمَّا لِمَا يَكْرَهُهُ الْمُحَكِّمِيُّ عَنْهُ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ ذَلِكَ فِي حِكَايَةِ الْإِخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ قَالَ فَلَانٌ كَذَا وَقَالَ فَلَانٌ كَذَا.

وَمَحَلُّ كَرَاهَةِ ذَلِكَ: فِي أَنْ يُكْثَرَ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يَأْمَنُ مِنَ الزَّلَلِ، وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ يَنْقُلُ بِغَيْرِ تَبَيُّتٍ فِي نَقْلِهِ لِمَا يَسْمَعُهُ وَلَا يَحْتَاطُ لَهُ؛ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ:

«كَفَى بِالْمَرْءِ إِنْمَاءً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ إِرَادَةَ كُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ.

قَوْلُهُ: «وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»: هُوَ السُّؤَالُ لِلْمَالِ، أَوْ عَنِ الْمُسْكِلَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ، أَوْ مَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ أَوْلَى وَتَقَدَّمَ فِي الزَّكَاةِ مَسْأَلَةُ الْمَالِ.

«وَقَدْ نَهَى عَنِ الْأَغْلُوطَاتِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَهِيَ الْمَسَائِلُ الَّتِي يُغْلَطُ بِهَا الْعُلَمَاءُ لِيَزِلُّوا فَيَنْتَجِبَ بِذَلِكَ شَرٌّ وَفِتْنَةٌ.

وَأِنَّمَا نَهَى عَنْهَا لِكَوْنِهَا غَيْرَ نَافِعَةٍ فِي الدِّينِ وَلَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِيمَا لَا يَنْفَعُ. وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ جَمْعٍ مِنَ السَّلَفِ كَرَاهَةُ تَكْلُفِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ وَقُوعُهَا عَادَةً أَوْ يَنْدُرُ وَقُوعُهَا جِدًّا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّنَطُّعِ وَالْقَوْلِ بِالظَّنِّ الَّذِي لَا يَخْلُو صَاحِبُهُ عَنِ الْخَطَا.

وَقِيلَ: كَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنِ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحْدَاثِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةُ سُؤَالِ إِنْسَانٍ مُعَيَّنٍ عَنْ تَفَاصِيلِ حَالِهِ، وَكَانَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمَسْئُولُ.

بيان الشديد في إضاعة المال:

وقوله: «وِإِضَاعَةُ الْمَالِ»: الْمُتَبَادَرُ مِنَ الْإِضَاعَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِعَرَضٍ دِينِيٍّ وَلَا دُنْيَوِيٍّ.

وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْرَافُ فِي الْإِنْفَاقِ.

وَقِيدَهُ بَعْضُهُمْ بِالْإِنْفَاقِ فِي الْحَرَامِ.

وَرَجَحَ الْمُصَنِّفُ أَنَّهُ مَا أَنْفَقَ فِي غَيْرِ وُجُوهِ الْمَادُّونِ فِيهَا شَرْعًا سَوَاءً كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَالَ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَفِي التَّبَذِيرِ تَفْوِيتُ تِلْكَ الْمَصَالِحِ إِمَّا فِي حَقِّ صَاحِبِ الْمَالِ أَوْ فِي حَقِّ غَيْرِهِ.

قَالَ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ فِي كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ثَلَاثَةٌ وَجُوهٌ:

الْأَوَّلُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَذْمُومَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي تَحْرِيمِهِ.

الثَّانِي: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَحْمُودَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَطْلُوبًا مَا لَمْ يُفَوِّتْ

حَقًّا آخَرَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ الْمُتَّفِقِ فِيهِ.

وَالثَّالِثُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْمُبَاحَاتِ وَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ يَلِيقُ بِحَالِ الْمُتَّفِقِ وَيَقْدَرُ مَالُهُ فَهَذَا لَيْسَ بِإِضَاعَةٍ وَلَا إِسْرَافٍ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِيمَا لَا يَلِيقُ بِهِ عُرْفًا فَإِنْ كَانَ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ أَوْ حَاضِرَةٍ أَوْ مُتَوَقَّعَةٍ فَذَلِكَ لَيْسَ بِإِسْرَافٍ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَالْجُمُهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

وَصَرَّحَ بِذَلِكَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فَقَالَ فِي قِسْمِ الصَّدَقَاتِ: هُوَ حَرَامٌ.

وَتَبِعَهُ الْغَزَالِيُّ، وَجَزَمَ بِهِ الرَّافِعِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْغَارِمِ.

وَقَالَ الْبَاجِي مِنْ الْمَالِكِيَّةِ: إِنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِيعَابُ جَمِيعِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ.

قَالَ: وَيُكْرَهُ كَثْرَةُ إِنْفَاقِهِ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا وَقَعَ نَادِرًا لِحَادِثٍ كَصَيْفٍ أَوْ عِيدٍ أَوْ وَلِيمَةٍ.

وَالْإِتِّفَاقُ عَلَى كَرَاهَةِ الْإِنْفَاقِ فِي الْبِنَاءِ الزَّائِدِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي الزَّخْرَفَةِ وَكَذَلِكَ احْتِمَالُ الْغَبْنِ الْفَاحِشِ فِي الْمُبَايَعَاتِ بِلَا سَبَبٍ.

وَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي الْحَلَلِيَّاتِ: وَأَمَّا إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي الْمَلَاذِّ الْمُبَاحَةِ فَهُوَ مَوْضِعُ

اخْتِلَافٍ، وَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات

أَنَّ الزَّائِدَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِحَالِ الْمُتَنَفِقِ إِسْرَافٌ.
وَمَنْ بَذَلَ مَالًا كَثِيرًا فِي عَرَضٍ يَسِيرٍ فَإِنَّهُ يُعْذَرُ الْعُقْلَاءُ مُضِيِّعًا. **انتهى.**
وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الزَّكَاةِ عَلَى التَّصَدُّقِ بِجَمِيعِ الْمَالِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ. **اهـ**



بيان أن رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد

١٤٧١ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن رضا الله ﷻ في رضا الوالد، وأن سخط الله في سخط الوالد.

قد أعل حديث الباب بالوقف، ولم يثبت حتى موقوفاً، والمعنى صحيح.

بيان حكم طاعة الوالد:

فإن كان أمر الوالد في غير معصية الله ﷻ، فيجب على الولد طاعته.

وكذلك لو كان أمر الوالد في طاعة الله ﷻ، فيجب طاعته.

وإنما لا يطاع الوالد إذا كان أمره في معصية الله ﷻ.

ففي الصحيحين: من حديث عليّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّاعَةُ فِي

(١) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، بلفظ: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رَضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ». وابن

حبان (٤٢٩)، والحاكم (٧٢٤٩)، وفي إسناده عطاء العامري مجهول. واختلف في رفعه ووقفه، ورجح

الترمذي وقفه، والموقوف فيه الرجل المذكور. وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "طاعة الله

طاعة الوالد، ومعصية الله معصية الوالد"، عند الطبراني (٢٢٥٥)، وفي إسناده أحمد بن إبراهيم بن كيسان

الثقفي، وإسماعيل بن عمرو، وكلاهما ضعيف. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٥١٦).

المَعْرُوف^(١).

وفي رواية في الصحيحين: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

قوله: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ» فيه: إثبات صفة الرضا لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية.

قوله: «وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ» فيه: إثبات صفة السخط لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلال الله ﷻ، وليست كصفات المخلوقين.

يقول الله ﷻ: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَسَّ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (٨٠).

فنثبت صفتي: "الرضا، والسخط"، على ما يليق بجلال الله ﷻ، وبعظمته، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف.

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٣٢-٦٣٣): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ إِرْضَاءِ الْوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ وَتَحْرِيمِ إِسْخَاطِهِمَا فَإِنَّ الْأَوَّلَ فِيهِ مَرْضَاةُ اللَّهِ وَالثَّانِي فِيهِ سَخَطُهُ.

فَيَقْدَرُ رِضَاهُمَا عَلَى فِعْلِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ.

كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحْيِ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ^(١): مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ هَاجَرْتُ قَالَ: هَلْ لَكَ أَهْلٌ بِالْيَمَنِ؟ فَقَالَ: أَبَوَايَ قَالَ أَذِنَا لَكَ؟ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْ فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا» وَفِي إِسْنَادِهِ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْجِهَادِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

وَالِيهِ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَالْأَمِيرِ حُسَيْنٍ ذَكَرَهُ فِي الشَّفَاءِ، وَالشَّافِعِيُّ. فَقَالُوا: يَتَعَيَّنُ تَرْكُ الْجِهَادِ إِذَا لَمْ يَرْضَ الْأَبَوَانِ، إِلَّا فَرَضَ الْعَيْنِ: كَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا تَقَدَّمُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا الْأَبَوَانِ بِالْإِجْمَاعِ. وَذَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِعْلُ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَالْمَنْدُوبِ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الْأَبَوَانِ مَا لَمْ يَتَضَرَّرَا بِسَبَبِ فَقْدِ الْوَلَدِ. وَحَمَلُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَأَنَّهُ يَتَّبَعُ رِضَاهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ سَخَطُ اللَّهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قُلْتُ: الْآيَةُ إِنَّمَا هِيَ فِيْمَا إِذَا حَمَلَاهُ عَلَى الشُّرْكِ وَمِثْلُهُ غَيْرُهُ مِنَ الْكِبَايِرِ. وَفِيهِ: دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يُطِيعُهُمَا فِي تَرْكِ فَرَضِ الْكِفَايَةِ وَالْعَيْنِ، لَكِنَّ الْإِجْمَاعَ خَصَّصَ فَرَضَ الْعَيْنِ.

وَأَمَّا إِذَا تَعَارَضَ حَقُّ الْأَبِ وَحَقُّ الْأُمِّ فَحَقُّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ؛ لِحَدِيثِ الْبُخَارِيِّ^(٢): «قَالَ

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).

رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِي قَالَ أُمُّكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ أَبُوكَ».

فَإِنَّهُ دَلَّ عَلَى تَقْدِيمِ رِضَا الْأُمِّ عَلَى رِضَا الْأَبِ.
 قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: مُقْتَضَاهُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمِّ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ مَا لِلْأَبِ.
 قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ لِصُعُوبَةِ الْحَمْلِ ثُمَّ الْوَضْعِ ثُمَّ الرَّضَاعِ.
 قُلْتُ: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وَمِثْلُهَا ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].
 قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّ الْأُمَّ تَفْضُلُ عَلَى الْأَبِ فِي الْبِرِّ.
 وَنَقَلَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا.
 وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَخِ وَالْجَدِّ مَنْ أَحَقُّ بِبِرِّهِ مِنْهُمَا؟
 فَقَالَ الْقَاضِي: الْأَكْثَرُ الْجَدُّ وَجَزَمَ بِهِ الشَّافِعِيُّ وَيُقَدَّمُ مَنْ أَدْلَى بِسَبَبَيْنِ عَلَى مَنْ أَدْلَى بِسَبَبٍ.

ثُمَّ الْقَرَابَةُ مِنْ ذَوِي الرَّحِمِ وَيُقَدَّمُ مِنْهُمْ الْمُحَارِمُ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، ثُمَّ الْعَصَبَاتِ ثُمَّ الْمُصَاهِرَةِ ثُمَّ الْوَلَاءِ ثُمَّ الْجَارِ.

وَأَشَارَ ابْنُ بَطَّالٍ: إِلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ الْبِرُّ دَفْعَهُ وَاحِدَةً.
 وَوَرَدَ فِي تَقْدِيمِ الزَّوْجِ: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ
 عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - «سَأَلْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - أَيُّ النَّاسِ أَكْبَرُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ قَالَ: زَوْجُهَا

قُلت: فعلى الرجل: قال أمه^(١).

ولعلّ مثل هذا مخصّوص بما إذا حصل التصرُّر للوالدين فإنه يُقدَّم حقُّهما على
حقِّ الزَّوج جمْعاً بين الأحاديث. اهـ



(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩١٠٣) والحاكم (٧٢٢٤).

بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأخيه ما يحب لنفسه

١٤٧٢ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِحَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن إيمان المسلم لا يكمل حتى يحب لأخيه، أو لجاره، ما يحب لنفسه.

قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

فيه: الحلف بدون استحلاف؛ لتأكيد الأمر المحلوف عليه.

وفيه: إثبات صفة اليد لله ﷻ.

قوله: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ» أي: لا يكمل إيمانه.

فليس المراد نفي الإيمان، بحيث أنه يكفر والعياذ بالله ﷻ كما يقول ذلك الخوارج، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم من أهل البدع والتكفير.

قوله: «حَتَّى يُحِبَّ لِحَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» أي: من الخير.

على ما جاء في بعض الروايات.

ففي سنن الإمام النسائي رحمه الله: من حديث أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) واللفظ له.

الْخَيْرِ»^(١).

وفي صحيح مسلم: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٢).



(١) أخرجه النسائي (٥٠١٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف النسائي، وفي الصحيحة (٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).

بيان أعظم الحقوق

١٤٧٣ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ حَشِيَّةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أعظم الحقوق.

قوله: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي رحمه الله.

كان من كبار فقهاء الصحابة رحمه الله.

وكان من القراء الذي أرشد النبي ﷺ إلى القراءة عنهم.

قوله: «قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ -»: فيه: سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ عما ينفعهم في أمر دينهم، ودنياهم، وأخراهم.

قوله: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟» فيه: أن الذنوب تتعاضد وتتفاضل بعضها عن بعض. فمنها الشرك والكفر بالله ﷻ، ومنها الشرك الأصغر، ومنها البدع، ومنها الكبائر، ومنها أكبر الكبائر، ومنها ما هو دون ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

بيان أعظم الحقوق

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَآكُلُ الرَّبَا، وَآكُلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ^(١).

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

قوله: «قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلْقَكَ»».

الند: هو المثل، والنظير، والشبيه، والكفء، والسمي، ونحو ذلك.

فالشرك: أن تجعل لله ﷻ مثيلاً، ونظيراً، وشبيهاً، وكفئاً، سميّاً، وهو الذي خلقك ورزقك، وأنعم عليك النعم الظاهرة والباطنة.

وغير الله ﷻ لا يستطيع أن يخلق، ولا يرزق.

فهذا من أجمع معاني الشرك، ولا سيما هو تفسير أعلم الخلق بربه نبينا محمد

ﷺ.

يقول الله ﷻ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً

﴾ (٦٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ (١٣١).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

يقول الله ﷻ مبيناً لنا حال المشركين يوم القيامة: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٦) تَاللَّهِ
إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ دُسَّوْا بِكُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْأَمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ
شَفِيعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) [الشعراء: ٩٦-١٠١]..

قوله: "قُلْتُ تُمْ أَيُّ؟ قَالَ: «تُمْ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ»:" فيه أن فقتل
النفس المحرمة بغير حق من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ، وقد جاء ذلك مبيناً في
كثير من الأدلة.

ويزاد إثماً إلى إثمه: إن كان المقتول ولده، وقتله مخافة أن يأكل ويطعمهم معه .
قوله: "قُلْتُ: تُمْ أَيُّ؟ قَالَ: «تُمْ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»:" وفيه الزنى من أكبر
الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ، وبعد القتل بغير حق للنفس المعصومة، ولكن الزنى في
حق الجار يزداد إثماً، مع إثم الزنى نفسه، لأن حق الجار عظيم.

ففي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزَّانَا؟» قَالُوا: حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ،
أَيَسَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ"، قَالَ: فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟" قَالُوا:
حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: "لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آبِيَاتٍ، أَيَسَّرُ عَلَيْهِ
مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ" (١).



(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٥٤)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح الجامع (٢٥٤٩). وحسنه الإمام الوادعي

ﷺ في الصحيح المسند (١١٤١).

باب الزهد والورع

[بَابُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ]

شرح الشرح:

الورع: هو ترك ما يضر في الآخرة.

والزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة.

فعلى هذا يكون الزهد أعلى درجة من الورع.

لأن الورع: هو ترك المحرم؛ فهو الذي يضر في الآخرة.

أما الزهد: هو ترك كل شيء لا ينفع صاحبه يوم القيامة، ولو كان الشيء **وقيل:**

العكس، أن الورع أعلى من الزهد.

وقيل: بأن الزهد والورع بمعنى متقارب.

فكل عمل لا يقربك من الله ﷻ فتركه من الورع والزهد.

وهذا الباب أوسع من باب الحلال والحرام.

فيدخل في باب الورع ترك كثير من المشتبهات؛ حتى وإن كنا لا نعلم بحرمتها

ورعا.

بل ربما يترك بعض الحلال خشية أن يوصل إلى الحرام، أو لشبهة فيه.

وقد ألف العلماء رحمة الله عليهم قديماً في هذا الباب ومن أنفسهم ذلك.

"الزهد"، للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

والزهد، للإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله، والزهد، للإمام وكيع بن الجراح رحمه الله.

وذكر في المسانيد، والجوامع، كثيرًا مما يتعلق في هذا الباب.

وهذا الباب من المهمات؛ لأن الإنسان إذا لم يحصل له الزهد عن كثير من ملذات الدنيا؛ ربما جره ذلك إلى الوقوع في كثير من البليات، والمصائب، والمعاصي، والمحرمات.

بل قد يجره ذلك إلى الوقوع في الكبائر، وربما وقع في الشراكيات والخرفات، وفي البدع والكفر بالله ﷻ.

فإذا تعلق قلب الإنسان بالدنيا أخلد إليها وصار من أصحابها.

يقول الله ﷻ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَلَخْ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَلهُ بِكَفْلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقَصْصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا وَٱنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧]..

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزْيَنْتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتٰهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ ٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ ٱلسَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٤٢٥]..

ويقول الله ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَعْفَرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ ﴿٣٠﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ

﴿٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

ويقول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًاؤُا رَبِّكُمْ وَأَخْشَاءُ يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ
هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾﴾.

والأدلة في الباب كثيرة جدًا، كما سنرى مما يسوقه المصنف ﷻ.

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه-، قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ، فقال: يا رسول الله ذلني على عملٍ إذا أنا عملتُ أحببني الله وأحببني الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «ارْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَارْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(١).

والحديث ضعيف، من طريق خالد بن عمرو القرشي كذاب وضاع، ولكن معناه صحيح.

قال العقيلي: " ليس له من حديث الثوري أصل، وقد تابعه محمد بن كثير الصنعاني ولعله أخذه عنه ودلسه لأن المشهور به خالد هذا ".

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وصححه الإمام الألباني ﷻ في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيحة

للإمام الألباني ﷻ (٩٤٤).

وعلى كل فمعهناه صحيح؛ لأن من زهد في الدنيا، لازم عمل الآخرة؛ فأحبه الله ﷻ .
ومن زهد فيما عند الناس، ولم ينافسهم على أمور الدنيا؛ أحبه الناس .
وذلك أن الناس يزهدون فيمن يسألهم أموالهم، ويزاحمهم وينافسهم في أمور الدنيا.

يقول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ [٣٦-٣٧] .
[محمد: ٣٦-٣٧] .

وكلما كان الإنسان بعيداً عن شأنهم، كان حب الناس له أعظم، وكان تقدير الناس له أجل .

لأنهم يعرفون أن هذا الرجل ليس صاحب دنيا، وليس له همة في تحصيلها .
وكم أفسدت الدنيا من علماء؛ لما زاحموا أصحاب الكراسي على كراسيهم،
وأصحاب المناصب على مناصبهم، وأصحاب الدنيا على دنياهم .
ولن يستقيم حال العبد إلا بالزهد والورع .

بيان أقسام العلم:

وينقسم العلم أربعة أقسام:

الأول: ربع العبادات .

الثاني: ربع الاعتقادات .

الثالث: ربع المعاملات .

الرابع: ربع الزهديات والورع .

بيان أن تحريم ما أحل الله ﷻ ليس من الزهد:

وليس من الزهد، والورع، تحريم ما أحل الله ﷻ من الطيبات من الرزق، قال الله

ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢]، وعن أنس،

أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ؟ فَقَالَ

بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى

فِرَاشٍ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ،

وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه^(١).

وإنما كان هذا حال الرهبان، والقساوسة، وغلاة الصوفية، ومن إليهم من أهل

البدع والخرافات.

إذ أن كثيراً من الصوفية يحرمون المكاسب، ويلبسون ثياب الصوف في الصيف،

ولثياب رقيقة في الشتاء، زعماً منهم أن هذا من الورع، والزهد، ولا والله إنما هو من

البدع.

بيان أن نبينا محمد ﷺ أعظم الناس زهداً وورعاً الزهاد:

وأعظم الناس زهداً وورعاً هو نبينا محمد ﷺ، ولم ينقل عنه مثل هذا عنه.

بل ولم يفعله صحابته ﷺ، وهم أزهدهم الناس في هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ.

ولا فعله التابعون لهم، ولا أتباع التابعين، وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، والعلم، والفضل، والإيمان.

ومع ذلك فقد جاء في مسلم: من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١).

كما جاء ذلك في سنن الإمام الترمذي -رضي الله عنه-: من حديث أبي الأحوص، عن أبيه -وهو مالك بن نضلة الجشمي- -رضي الله عنه- قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ أَمْرٌ بِهِ فَلَا يَفْرِيَنِي وَلَا يَضْيِقُنِي فِيمُرُّ بِي أَفَأَجْزِيهِ؟ قَالَ: «لَا، أَفْرِهِ» قَالَ: وَرَأَيْتُ رَثَّ الثِّيَابِ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» قُلْتُ: مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ، قَالَ: «فَلْيُرْ عَلَيْكَ»^(٢).

وفي لفظ النسائي: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا، فَلْيُرْ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ»^(٣).

وفي سنن الإمام النسائي -رضي الله عنه-: من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَابْسُؤُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»^(٤).

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري -رضي الله عنه-: من حديث عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قَالَ: "بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَمَرَنِي أَنْ أَخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتَيْتُهُ، فَفَعَلْتُ فَاتَيْتُهُ وَهُوَ

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٦)، وصححه الإمام الألباني -رضي الله عنه- في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي -رضي الله عنه- (١٠٩٩).

(٣) أخرجه النسائي (٥٢٢٤)، وصححه الإمام الألباني -رضي الله عنه- في صحيح وضعيف النسائي.

(٤) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وحسنه الإمام الألباني -رضي الله عنه- في صحيح وضعيف النسائي.

يَتَوَصَّأُ، فَصَعَدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَاطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ
فَيُغْنِمَكَ اللَّهُ، وَأَزْغِبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً»، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسَلِّمْ رَغْبَةً فِي
الْمَالِ، إِنَّمَا أُسَلِّمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نَعَمْ
الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»^(١).



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله (٢٢٩/٢٩٩). وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٠٠٦).

بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات

١٤٨٢ - (عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ ^(١) وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» ^(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان البعد عن المشتبهات .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١ / ١٩٤): قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «الْحَلَالُ بَيْنٌ وَالْحَرَامُ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» مَعْنَاهُ: أَنَّ الْحَلَالَ الْمَحْضَ بَيْنٌ لَا اشْتِبَاهَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ الْمَحْضُ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أُمُورٌ تَشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، فَلَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَيَعْلَمُونَ مِنْ أَيِّ الْقِسْمَيْنِ هِيَ. فَأَمَّا الْحَلَالُ الْمَحْضُ: فَمِثْلُ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الزُّرُوعِ، وَالثَّمَارِ وَبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَشُرْبِ الْأَشْرِبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَلِبَاسِ مَا

(١) في المخطوط زيادة "فقد".

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، أَوْ الصُّوفِ أَوْ الشَّعْرِ، وَكَالِنِكَاحِ، وَالتَّسْرِي وَغَيْرِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ اكْتِسَابُهُ بِعَقْدٍ صَحِيحٍ كَالْبَيْعِ، أَوْ بِمِيرَاثٍ، أَوْ هِبَةٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالْحَرَامُ الْمَحْضُ: مِثْلُ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالْدَّمِ، وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَنِكَاحِ الْمَحَارِمِ، وَلِبَاسِ الْحَرِيرِ لِلرِّجَالِ، وَمِثْلُ الْأَكْسَابِ الْمُحَرَّمَةِ كَالرِّبَا وَالْمَيْسِرِ وَتَمَنٍّ مَالًا يَحِلُّ بَيْعُهُ، وَأَخِذِ الْأَمْوَالِ الْمَغْصُوبَةِ بِسَرِقَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ تَدْلِيْسٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُشْتَبَهُ: فَمِثْلُ بَعْضِ مَا اخْتَلَفَ فِي حَلِّهِ أَوْ تَحْرِيمِهِ، إِمَّا مِنَ الْأَعْيَانِ كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَالضَّبِّ، وَشُرْبِ مَا اخْتَلَفَ فِي تَحْرِيمِهِ مِنَ الْأَنْبِذَةِ الَّتِي يُسَكِّرُ كَثِيرُهَا، وَلُبْسِ مَا اخْتَلَفَ فِي إِبَاحَةِ لُبْسِهِ مِنْ جُلُودِ السَّبَاعِ وَنَحْوِهَا، وَإِمَّا مِنَ الْمَكَاسِبِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا كَمَسَائِلِ الْعَيْنَةِ وَالتَّوَرُّقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَ الْمُشْتَبَهَاتِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ. وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْكِتَابَ، وَبَيَّنَ فِيهِ لِلْأُمَّةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: كُلُّ شَيْءٍ أَمَرُوا بِهِ أَوْ نَهَوْا عَنْهُ، وَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ (الآيَةُ: ١٧٦) الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ أَحْكَامِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْصَاعِ: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١٧٦] [النساء:

١٧٦] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وَوَكَّلَ بَيَانَ مَا أَشْكَلَ مِنَ التَّنْزِيلِ إِلَى الرُّسُولِ ﷺ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيْهِمْ ﴿ [النحل: ٤٤] وَمَا قُبِضَ ﷺ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَا مَتِّهِ الدِّينَ، وَلِهَذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِعَرَفَةٍ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَقَالَ ﷺ «تَرَكْتُكُمْ عَلَى بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ لَيْلُهَا كَنَهَارُهَا لَا يَزِغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ». وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُحَرِّكُ جَنَاحِيهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ عِلْمًا. . اهـ

قوله: «النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ ﷺ»: صحابي أنصاري، من صغار الصحابة ﷺ.

وأمه: عمرة بنت رواحة ﷺ.

وله قصة في باب الهبة.

ففي الصحيحين: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ - ﷺ -: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أُعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ»^(١).

قوله: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعِيهِ إِلَى أُذُنَيْهِ»:

وذلك لتأكيد السمع من النبي ﷺ.

وأنه أخذ الحديث من النبي ﷺ مشافهة، وهذا أرفع أنواع الشمل.

قوله: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ» أي: واضح معروف في الكتاب، والسنة، لا إشكال فيه.

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٧، ٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣).

قوله: «وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ» أي: واضح، لا إشكال فيه، يعلمه معلوم أنه حرام.

قوله: «وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ»: وربما كان اشتباهها إلى حل، أو إلى الحرمة.

فمن الورع البعد عن مثل هذه المشتبهات؛ لما قد تؤدي إليه من التبعات، والوقوع في المحرمات .

قوله: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ»: والمعنى أن كثيراً من الناس لا يعلمون حكم المشتبهات.

وهناك من حكمها، ولا سيما أهل العلم، والطلبة الذين فتح الله عليهم بالعلم الشرعي الذي يستطيعون به أن يميزوا بين الحلال والحرام .

فمن علم حلها فلا حرج عليه في تعاطيها؛ ومن علم حرمتها فعليه اجتنابها. ومن لم يتبين فيها الحل، أو الحرمة، وأصبح متردداً فيها، فالمتيقن البعد عنها؛ احتياطاً من الوقوع في المحرمات وهو لا يدري .

وعليه أن يسأل عنها أهل العلم، فهم الذين يميزون بين الحرام، والحلال، والأمر المشتبه.

قوله: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ» أي: جعل بينها وبينه وقاية، بحيث لا يغشاها، ولا يأتيها .

قوله: «فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ».

ومعناه: أن من وقع في الشبهات قد يلحقه الضرر في دينه، وعرضه.

فالضرر في الدين: من حيث يضعف، وينقص إيمانه .

والضرر في عرضه: من حيث أن الناس قد يتكلمون فيه .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عمرو بن الشريد، عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي رحمه الله، عن رسول الله ﷺ قَالَ: «لِي الْوَاحِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ، وَعُقُوبَتُهُ»^(١).
قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «يُحِلُّ عِرْضَهُ يُغَلِّظُ لَهُ، وَعُقُوبَتُهُ يُحْبَسُ لَهُ».

قوله: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ» أي: أن من وقع في الشبهات كاد أن يقع في الحرام، هذا هو المعنى من الحديث، ويعرف ذلك من سياقه .
لأن الشبهات تجر صاحبها إلى الوقوع في المحرمات، فمن تساهل ووقع في الشبهات، ولم يستبرأ لدينه وعرضه .

ومما يدل على هذا المعنى من أن المراد: أنه يكاد أن يقع في المحرمات .
قوله: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ»: فصرح النبي ﷺ بهذا اللفظ أنه لم يقع فيه بعد، ولكنه يوشك أن يقع فيه؛ لقربه من المحرمات .
والحمى: هو الذي يمنع فيه الناس من الرعي الصيد، ونحوه .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى» أي: أن لكل ملك، أو رئيس، أو شيخ قبيلة، له حمى خاص؛ يجعله لبقره، أو غنمه، أو إبله، أو يجعله لحوائج المسلمين .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ» أي: أن الله ﷻ جعله حماه المحارم، فمن وقع في المحرمات، فقد وقع في حمى الله ﷻ .

فلا يجوز لأحد من الناس أن يقع في محارم الله ﷻ .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح

فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ: وهذا في دليل على أن القلب فيه صلاح الباطن، والظاهر.

وأن القلب هو ملك الجسد وقائده، فإن كان القلب صالحًا كان سائر الجسد كذلك، وإن كان القلب فاسدًا كان سائر الجسد كذلك.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرَتِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيٍ، وَلَا غِلٍّ، وَلَا حَسَدٍ»^(٢).

يقول الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾^(٣) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْنَاهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ^(٤) [محمد: ٢٩-٣٠].



(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه. وفي الصحيحة (٩٤٨).

بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم

١٤٨٣ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تعاسة عبد الدينار، والدرهم.

والحديث له قصة: ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»^(٢)، وَقَالَ: «فَتَعَسَّ»: كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَاتَّعَسَهُمُ اللَّهُ، طُوبَى: فُعِلَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ، وَهِيَ يَأْخُذُ حَوْلَتْ إِلَى الْوَاوِ وَهِيَ مِنْ يَطِيبُ " .

فالحال يحمل على احتمالين:

الأول: إما أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على من كان هذا حاله، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب في الغالب.

الثاني: وإما أن يكون أخبر خبراً، وخبر النبي صلى الله عليه وسلم صدق .

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٥) وزاد «والخميصة».

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

وشبه الحريص على جمع الدنيا بعباد الدرهم ؛ لأنه فرط فيها خلق من أجله،
وانشغل بجمع الدراهم، والدنانير، وبالتجارة وغيرها.

كان الواجب عليه أن يعبد الله ﷻ، وأن لا يفرط في ذلك.

قوله: «تَعَسَ»: دعاء بالتعاسة، وهو أي سقط، والمراد هنا هلك. وقيل ضد سعد أي شقي .

قوله: «عَبْدُ الدِّينَارِ» الدينار: هو من الذهب.

والدينار يقدر بالجرامات: بأربعة جرامات وربع.

قوله: «وَالدَّرْهَمُ» الدرهم: من الفضة.

قوله: «وَالْقَطِيفَةُ» القطيفة: هي نوع من اللباس، والأقمشة المزينة والملونة،
وتكون في الغالب غليظة وهي معروفة باسمها إلى يومنا هذا.

قوله: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ» أي: مما ذكر من حطامها رضي بالدنيا؛ لأنها مراده .

قوله: «وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»: لأن حرصه الأكبر هو في تحصيل الدنيا، ملذاتها،
ولا هم له في الدار الآخرة، وفيما يقربه من الله ﷻ بالأعمال الصالحة.

فالحديث يحث على الزهد، والورع، والحرص على ما ينفع؛ لأن الدنيا لا تدوم
لصاحبها.

قال الحافظ الفتح (١١ / ٢٥٤): قَالَ بِنُ الْأَنْبَارِيِّ التَّعَسُ الشَّرُّ قَالَ تَعَالَى
فَتَعَسَا لَهُمْ أَرَادَ أَلْزَمَهُمُ الشَّرَّ وَقِيلَ التَّعَسُ الْبُعْدُ أَيْ بُعْدًا لَهُمْ وَقَالَ غَيْرُهُ قَوْلُهُمْ تَعَسَا
لِفُلَانٍ نَقِضَ قَوْلُهُمْ لَعَالَهُ فَتَعَسَا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْعَثَرَةِ وَلَعَا دُعَاءٌ لَهُ بِالِانْتِقَاشِ قَوْلُهُ عَبْدُ

الدِّينَارِ أَيُّ طَالِبُهُ الْحَرِيصُ عَلَى جَمْعِهِ الْقَائِمُ عَلَى حِفْظِهِ فَكَأَنَّهُ لِدَلِكْ خَادِمُهُ وَعَبْدُهُ
قَالَ الطَّبِيُّ قِيلَ خُصَّ الْعَبْدُ بِالذِّكْرِ لِيُؤْذَنَ بِانْغِمَاسِهِ فِي مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا كَالْأَسِيرِ
الَّذِي لَا يَجِدُ خَلَاصًا وَلَمْ يَقُلْ مَالِكُ الدِّينَارِ وَلَا جَامِعُ الدِّينَارِ لِأَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الْمَلِكِ
وَالْجَمْعِ الزِّيَادَةُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَقَوْلُهُ إِنْ أُعْطِيَ الْخُ يُؤْذَنُ بِشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ
وَقَالَ غَيْرُهُ جَعَلَهُ عَبْدًا لَهُمَا لِشَغْفِهِ وَحِرْصِهِ فَمَنْ كَانَ عَبْدًا لِهَوَاهُ لَمْ يَصْدُقْ فِي حَقِّهِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ فَلَا يَكُونُ مَنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ صِدِّيقًا قَوْلُهُ وَالْقَطِيفَةُ هِيَ الثَّوْبُ الَّذِي لَهُ خَمْلٌ
وَالْخَمِيصَةُ الْكِسَاءُ الْمُرْبُوعُ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ بَلَفَظَ تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعَسَ
وَانْتَكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَفَشَ وَقَوْلُهُ وَاَنْتَكَسَ أَيُّ عَاوَدَهُ الْمَرَضُ فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ
تَفْسِيرِ التَّعَسِ بِالسَّقُوطِ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا قَامَ مِنْ سَقَطَتِهِ عَاوَدَهُ السَّقُوطُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ
يَكُونَ الْمَعْنَى بِانْتَكَسَ بَعْدَ تَعَسَ انْقَلَبَ عَلَى رَأْسِهِ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ . اهـ



بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل

١٤٨٤ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنه - يَقُولُ: "إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الصُّبْحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ". ^(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث للحث على الزهد في الدنيا.

وأن حال الإنسان في الدنيا، كحال الغريب، أو كحال العابر سبيل، إلى الدار الآخرة.

والغريب: حاله أنه لا يستقر.

فلا ينبغي لعاقل أن ينخدع بالدنيا، وأن يعتر بها؛ لأنه مهما عمر فيها سيرحل عنها، وسيترك ما وراءه لغيره.

وكذلك الغريب لا يبني له بيتاً في بلاد الناس، وإنما يحرص كل الحرص على أن يبني له بيتاً في بلده.

ونحن في هذه الحياة الدنيا غرباء، فلا ينبغي لنا أن نشغل بها، وننسى الدار الآخرة التي هي دارنا الحقيقية.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

كَأَنَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ

﴿٣٩﴾ [غافر: ٣٩].

قوله: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِمَنْكِبِي» المنكب: ما بين الكتف والرقبة.

وفعل ذلك النبي ﷺ ليكون أوقع في نصحه، وأبلغ في إيصال الفائدة إليه.

قوله: «كُنْ فِي الدُّنْيَا» أي: في عمرك اليسير الذي ستعيشه في هذه الدنيا.

وسميت الدنيا ؛ لدناءتها، فهي دار تفنى ولا تبقى لأهلها وقيل سميت بذلك لقربها.

قوله: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» أي: غير موطنه، فالإنسان في الدنيا غريب؛ لأنها ليست بدار مقام له، وإنما هي دار ممر إلى الدار الحقيقية، الدار الآخرة، دار الحيوان. فمهما عمر الإنسان في الدنيا لا بد له من الموت، والرحيل عنها.

قوله: «أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» أي: المسافر في الطريق يعبرها إلى غيرها، فعابر السبيل لا يلتفت إلى ما فاتته؛ لأنه يعلم أنه سيجد بغيته في أمامه، في البلد التي هو إليها.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: "نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً"، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»

(١)

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

وفي مستدرک الحاكم رحمه الله: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٢).

قوله: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ» أي: أن ابن عمر رضي الله عنهما أخذ بوصية النبي ﷺ، وعمل بها، وزاد عليها هذه الكلمات.

قوله: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الصَّبَاحَ» أي: لعل الموت يأتيك وأنت نائم في ليلك. وكما قيل:

الموت يأتي بغتة
والقبر صندوق العمل

قوله: «وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَتَنَظَّرِ الْمَسَاءَ» أي: لعل الموت، يأتيك وأنت في نهارك. فلا بد أن تستعد له بالأعمال الصالحة، وبما يقربك من رضوان الله ﷻ عنك، ويبعدك من عذابه، ومن ناره، وعقابه.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣)، ويقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾^(٤) وَأَوَّاهُونَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ^(٥) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٨٤٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٢).

الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

قوله: «وَأُخِذْ مِنْ صَحَّتِكَ لِسَقَمِكَ» أي: استغل صحتك، ونشاطك، وأيام قوتك، وفراغك، في طاعة الله ﷻ، وتزود من الأعمال الصالحة بقدر ما تستطيع.

فلعل الله ﷻ أن يبتليك بمرض، أو سقم، أو شغل، فلا تستطيع بعد أن تفعل كما كنت في قوتك، ونشاطك، وصحتك، وفراغك.

ومن كان في حال صحته وحال فراغه وحال شبابه وقوته في طاعة الله ﷻ كان على خير عظيم.

فإذا قدر الله ﷻ عليه بمرض، أو بشغل، أو كبر سن وضعف؛ فإن الله ﷻ يكتب له فضله، وكرمه، وإحسانه، وجوده، ما كان يعمل من الأعمال الصالحة وهو في حال صحته، وقوته وشبابه، وحال فراغه.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي موسى -رضي الله عنه- يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»^(١).

قوله: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» أي: وخذ من حياتك عملاً ينفعك بعد موتك.

لأن الموت يقطع على الإنسان عمله الصالح، إلا ما كان من صدقة جارية، أو دعاء ولد صالح، أو علم ينتفع به وما في باب ذلك من أعمال البر.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

يُتَنَفَّعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا»^(٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّريبٍ ۝٥٤﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَن سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْرَنُهُ جُرْءَاءَ الْوَدْقِ ۝٤١﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، والله المستعان.



(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٢).

بيان النهي عن التشبه بالكفار وبالمشركين

١٤٨٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن التشبه بالكافرين، وبالمشركين، ولتحريم ذلك.

وظاهر الحديث أن المتشبه بالكافرين والمشركين لا يخلو حاله عن أمرين:
الأمر الأول: أن يتشبه بهم، وهو يحبهم، ويعظمهم، ويفضلهم على المسلمين، فهذا يعتبر ردة عن دين الإسلام، وكفره هنا كفر أكبر.
الأمر الثاني: أن يتشبه بهم، وهو لا يرى تفضيلهم على المسلمين، ولا يرى الحب والتعظيم لهم، وإنما لرغبة في الملبس.
فهذا لا يكفر، ولكنه يكون مرتكباً لكبيرة من الكبائر؛ للوعيد المذكور في الحديث.

فالنبي ﷺ جعل المتشبه بالكفار منهم.
والحديث ليس على إطلاقه، وإنما يرجع إلى حال المتشبه بهم.
وكذلك التشبه بهم في عقائدهم الشركية والكفرية فإنه يكفر بالله ﷻ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد (٥١١٤)، وفي سنده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان له مناكير.
وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (١٢٦٩).

والتشبه بالكفار حرمه الله ﷻ .

قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾
[الروم: ٣١-٣٢]..

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فالأدلة عامة في النهي عن التشبه بهم في كل شيء يخص المشركين، والكافرين، فلا يجوز للمسلم أن يكون منهم، ولا مثلهم، ولا على طريقتهم. لا في عقائدهم الشريكية والكفرية، ولا في مآكلهم، ومشاربهم، ولا في ملابسهم، وعاداتهم، ولا في أعيادهم، أو شيء مما يخصهم. بل يجب على المسلم أن يعتز بدينه، وأن يتميز عنهم في كل شيء يستطيع أن يتميز عنهم به.

يقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ

يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

وقد علم اليهود من حال النبي ﷺ ذلك حتى صرحوا به، ففي حديث أنسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ

بيان النهي عن التشبه بالكفار والمشركين

مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفْنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نَجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَ فِي آثَرِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا « أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ^(١) .

ونهى ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لسد ذرائع التشبه بالكافرين والمشركين؛ فإنها ساعة يقصدها الكفار بالصلاة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه قال: «فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجِّرُ جَهَنَّمَ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ...» ^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَخْبَرَهُ، قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ تَوْبِينَ مُعْصِفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٠٢).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٣٢).

الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»^(١).

وفي رواية أخرى لمسلم: «أَمَّاكَ أَمَرْتُكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرِقُهُمَا».

قد تكلمنا على هذه المسألة بتوسع في كتاب: "الأدلة الرضوية في حكم الديمقراطية".

إذ أن الناس قد تشبهوا بالكفار في أكل الربا، ولباس البناتيل، وحلق شعورهم، ولحاهم، وفي كثير من الأحكام الشرعية، مثل التحزب، والانتخابات، والديمقراطية، ومساواة المرأة بالرجل، وفي كثير من شؤون حياتهم.

قوله: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»: المتشبه بالكفار والمشركين على أقل الأحوال حاله أنه واقع في كبيرة من كبائر الذنوب.

ما لم يصل به الحال إلى حبهم، وتفضيلهم على المسلمين، وتعظيمهم، والتشبه بهم في عقائدهم الكفرية، وعباداتهم؛ فهنا يكون قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ووقع في الردة، والعياذ بالله ﷻ.



(١) أخرجه مسلم (٢٠٧٧).

بيان وجوب مراقبة الله ﷻ في السر وفي العلن

١٤٨٦ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - ﷺ - يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١)). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب مراقبة الله ﷻ في السر، وفي العلن. وللحديث تمة ولفظه من سنن الإمام الترمذي: من حديث ابن عباسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَتِ الصُّحُفُ».

قوله: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - ﷺ - يَوْمًا» أي: رديفا للنبي ﷺ حيث أردفه على

حمار.

وقد أردف النبي ﷺ جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٩)، وسنده صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح

وضيف الترمذي (٢٥١٦)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٦٨٥)، وشيخنا الحجوري في

المبادئ المفيدة.

منهم: عبد الله بن عباس وأخوه الفضل وأسامة بن زيد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين عليهما السلام، وغيرهم .
ففيه: تواضع النبي صلى الله عليه وسلم وركوبه للحمار.
وفيه: جواز الإرداف في الركوب على الحمار، وأن هذا ليس من الظلم في حق الحمار؛ إذا كان لا يشق عليه .
قوله: فَقَالَ: «يَا غُلَامُ!» : قالها للتنبيه، والغلام يطلق على الصغير وما فوق البلوغ أيضاً .

قوله: " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ " أي: احفظ دين الله صلى الله عليه وسلم: بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده.
يحفظك الله صلى الله عليه وسلم: في منشطك، ومكرهك، وجميع شأنك.
وإلا فإن الله صلى الله عليه وسلم غني عن طاعة عباده، ولا تضره معصيتهم .

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر: ١٥-١٧] ..

وفي صحيح الإمام مسلم صلى الله عليه وسلم: من حديث أبي ذر - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي

وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَكُمُ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَكُمُ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَكُمُ وَجَنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١). قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ".

فإذا حفظت دين الله ﷻ، فإن الله ﷻ يحفظك من بين يديك، وخلفك، يحفظك في عقيدتك، وأخلاقك، يحفظك في جميع أعمالك.

قوله: «احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ تُجَاهَكَ» أي: احفظ حدود الله ﷻ، فالمأمور بفعله وامتناله، واحفظ المحظور بتركه واجتنابه، تجد الله ﷻ تجاهك، في كل وقت، وحين، يحفظك ويرعاك ويسدّدك ويعينك.

قوله: «وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ» أي: لا تجعل قلبك يتعلق بغير الله ﷻ أبدًا، وإنما علقه بالله ﷻ في كل شيء تحتاج إليه من أمور الدين، والدنيا، وأمور الآخرة. فلا تسأل أحدًا غير الله ﷻ مهما يكن هذا الشيء، ولو كان حقيرًا؛ فإن هذا علامة على حسن الظن بالله ﷻ، وعلى كمال الإيمان بالله ﷻ، وكمال التوكل على الله ﷻ، وكمال اليقين بالله ﷻ.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦).

ويقول الله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي جريّ جابر بن سليم، قال: رأيت رجلاً يصدّر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلاّ صدروا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ، قلت: عليك السلام يا رسول الله، مرتين، قال: " لا تقل: عليك السلام، فإنّ عليك السلام تحية الميّت، قل: السلام عليك " قال: قلت: أنت رسول الله؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرّ فدعوته كشفه عنك، وإنّ أصابك عام سنة فدعوته، أنبتّها لك، وإذا كنت بأرضٍ قفراء - أو فلاة - فضلت راحلتك فدعوته، ردّها عليك»، قال: قلت: اعهد إليّ، قال: «لا تسبّن أحداً» قال: فما سببت بعده حرّاً، ولا عبداً، ولا بعيراً، ولا شاة، قال: «ولا تحقرن شيئاً من المعروف، وأنّ تكلم أحاك وأنّت مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهك إنّ ذلك من المعروف، وازفع إزارك إلى نصف الساق، فإنّ أبيت فإلى الكعبين، وإيّاك وإسبال الإزار، فإنّها من المخيلة، وإنّ الله لا يحبّ المخيلة، وإنّ امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك، فلا تُعيرهُ بما تعلم فيه، فإنّما وبأل

ذَلِكَ عَلَيْهِ^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رحمه الله -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٢).

قوله: «وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» الاستعانة: هي طلب العون.

والاستعانة لا تكون إلا بالله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، ومن صرفها لغير الله ﷻ فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

بيان جواز الاستعانة بالمخلوق:

وتجوز الاستعانة بالمخلوق إذا تحقق فيها ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون فيما يقدر عليه المخلوق.

الثاني: أن يكون المخلوق حيًّا. **الثالث:** أن يكون المخلوق حاضرًا.

فإن كان المستعان به من المخلوقين غائبًا، أو ميتًا، أو عاجزًا، واستعان به أحد الناس في شيء يقدر عليه المخلوق، فهذا يدل على سفه في عقله، وعلى أنه يعتقد فيه أن له تأثيرًا في الكون، فهذا أيضًا من الشرك؛ لأن يعتقد أنه ينفع ويضر مع الله ﷻ، أو من دون الله ﷻ.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤). وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في

صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٥).

فالذي ينبغي لنا أن نستعين بالله ﷻ، ونطلب العون منه في جميع شؤون حياتنا: في عبادتنا، وفي معاملتنا، وفي كل شأننا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

أي: نستعين بك يا ربنا على أداء عبادتنا لك.

والباء في البسملة للاستعانة، فأنت تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم".

أي: استعين بالله ﷻ في البدء فيما أريد أن أفعل، فإن كنت في القراءة، يكون المعنى: استعين بالله ﷻ في قراءتي، أو في كتابتي، أو في تأليفي، وهكذا.

ويقول الله ﷻ: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٨).

ويستعان بفعل طاعة الله ﷻ على كثير من النوائب.

يقول الله ﷻ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله وغيره: من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ، وَانصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهَدَى لِي، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطَوَاعًا، لَكَ مُحِبًّا، إِلَيْكَ أَوَاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَتَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي،

وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من طريق أبي عبد الرحمن الجُبلي، عن الصَّنابحي، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رحمه الله -، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ يَدَهُ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢)»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ الصَّنَابِحِي، وَأَوْصَى بِهِ الصَّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ."

وقد أحسن من قال:

إذا لم يكن عون من الله على الفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده



(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥١)، وأبو داود (١٥١٠)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في

صحيح السنن.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والترمذي (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

بيان فضل الزهد في الدنيا

١٤٨٧ - (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَإِزْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»^(١). رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل الزهد في الدنيا.

قوله: «وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ»: هو سهل بن سعد بن مالك الساعدي، هو وأبوه صحابيَان ﷺ.

قوله: «قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!» فيه: سؤال أهل العلم، وحرص الصحابة ﷺ على الخير، ومعرفة طرق محبة الله ﷻ.

قوله: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ». فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ.

وفيه: أن الإنسان يحرص على محبة الناس له بالأعمال الصالحة، وفيما لا يسخط الله ﷻ عنه.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، وسنده شبه موضوع، من طريق خالد بن عمرو بن محمد القرشي، كذبه بعضهم، وحسنه غير واحد: "كالنوي، والعراقي، والهشمي، والألباني". وذكر الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم طريقه: "ورجح أنه ضعيف". وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٤٤).

وبدون أن يقع في مدهانة لهم على الباطل، وأن يقرهم على الخطأ أو يتنازل عن الحق والشرع .

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا

٩٦﴾ .

ويقول الله ﷻ مخبراً لنا عن دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ

فِي الْآخِرِينَ ٨٤﴾ .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

قوله: "فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا»" أي: كن زاهداً عن الدنيا، وملذاتها، وشهواتها، وعن كل شيء يلهيك عن اغتنام العمر في طاعة الله ﷻ.

قوله: «يُحِبُّكَ اللَّهُ»: لأن التعلق بالدنيا سبب من الأسباب التي تبعد الإنسان عن طريق الاستقامة عن شرع الله ﷻ.

ولذلك إذا ابتعد الإنسان عن الدنيا، وزهد فيها، أحبه الله ﷻ؛ إذ أنه سيكون قريباً

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧)، واللفظ لمسلم.

من الله ﷻ بالأعمال الصالحة، والمسارة، والمسابقة، والمبادرة، بالخيرات، وفيما يقربه من الله ﷻ.

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^(٢).

قوله: «وَأَزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» أي: ازهد عما في أيدي الناس، ولا تنافسهم، ولا تسابقهم في دنياهم، واترك أموالهم، ومناصبهم، وتجاراتهم. فإذا فعلت ذلك أحببك الناس، وعلموا أنك لست من أصحاب الدنيا، وليست همتك في الدنيا، وإنما أنت تريد رضا الله ﷻ، وتريد جنته.

اجعل منافستك في أمور الآخرة، وأعمال الخير التي تقربك من الله ﷻ. فكم من إنسان يكون محبًا، ومقدرًا لك، ويجعلك فوق رأسه؛ فإذا ما سألت ماله، أو حصل منك شيء يدل على أنك تحب الدنيا، فإذا به يتنكر لك.

فكل ما كان الإنسان مستغنيًا بالله ﷻ عن الخلق، كان محبوبًا إلى الله ﷻ، وإلى عباد الله ﷻ الصالحين.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢)، وأخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

ففي الصحيحين: من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «إِنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢).

وإذا حصل المؤمن بشارة بالخير، فهذه عاجل بُشْرَى المؤمن.

ففي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٣).



(١) أخرجه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٤٢).

بيان بعض الذين يحبهم الله ﷺ

١٤٨٨ - (وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض الذين يحبهم الله ﷺ.

فمن كان متقياً لله ﷻ بفعل أوامره، ومجتنباً لنواهيه.

ومن كان غنياً بالله ﷻ، ومستغنياً عما سواه من خلقه.

ومن كان خفياً في عبادته، ولا يحب الثناء، ولا المدح، ولا يحب الرياء والسمعة،

فهذا هو المحبوب عند الله ﷻ.

وللحديث قصة ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق عامر بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَى سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزِلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضْرَبَ سَعْدٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ».

قوله: «سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: هو سعد بن مالك رحمه الله أحد العشرة المبشرين

بالجنة.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ» فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية،

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٥).

بيان بعض الذين يحبهم الله

التي يفعلها الله ﷻ متى شاء، وكيف شاء، فهي متعلقة بمشيئته.

وهي صفة تليق بالله ﷻ من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا

تحريف، يقول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ يُحِبُّ، ويُحِبُّ من عباده المؤمنين.

يقول الله ﷻ: ﴿يَكُنْهُمْ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ

فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٤) [المائدة: ٥٤].

قوله: «العبد» أي العبد المؤمن: سواء كان من الرجال، أو النساء، وسواء كان من

الأحرار، أو العبيد.

قوله: «التقي»: الذي جعل بينه وبين عذاب الله ﷻ وقاية بفعل أوامر الله ﷻ،

وباجتناب نواهيه.

وحقيقة التقوى: هي فعل المأمور، وترك المحذور.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى

عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَمُ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ

بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (٤).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩).

والتقوى: سبب للفلاح في الدنيا، وفي الآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٠).

ويقول الله ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحِجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩).

قوله: «الغني» ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (١).

قوله: «الْحَفِيَّ»: وهو الذي يخفي أعمال الصالحة عن الناس .

وإن ظهر منها شيء فيكون ذلك بدون قصد منه للمرأة ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» (٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

بيان بعض الذين يحبهم الله

جاء في الصحيحين: من حديث جُنْدَب - رضي الله عنه - قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ»^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه: من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جَزَيْ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»^(٣).



(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمته الله (٩٥١).

بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

١٤٨٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ حُسِّنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: "حَسَنٌ").

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

والحديث من مراسيل علي بن الحسين.

📖 قال الإمام الترمذي رحمه الله في سننه (٢٣١٨): وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ مُرْسَلًا.

وَهَذَا عِنْدَنَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

ثم قال رحمه الله: «وَعَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ».

لكن الحديث كأنه من مشكاة النبوة، فمعناه صحيح؛ فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والحال كما قال بعضهم:

(من تدخل فيما لا يعنيه، وجد ما لا يرضيه)

وأكثر أسبابه للشر الذي يقع في العالم التدخل فيما لا يعنيه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وقال «غريب». وهو حديث ضعيف، الراجح فيه الإرسال من طريق قرة بن عبد

الرحمن وهو ضعيف، وقد خالفه الحفاظ فرووه عن الزهري عن علي بن الحسين عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٣٩٧٦)، وفي الترغيب والترهيب (٢٨٨١).

وإلا لو لزم كل إنسان ما كلف به من العبادة، ومن الأعمال، ولم يتدخل فيما لا يعنيه، وترك الفضول في العمل والقول، لحصل خير عظيم لا يعلم به إلا الله ﷻ.

وقد قيل في هذا الحديث:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنك واعملن بنية

قوله: «اتق الشبهات»: يراد به حديث النعمان بن بشير ﷺ السابق .

قوله: «وازهد»: يراد به حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ المتقدم معنا.

قوله: «ودع ما ليس يعنك»: يراد به حديث الباب .

قوله: «واعملن بنية»: حديث عمر بن الخطاب ﷺ في الصحيحين: «إنما الأعمال

بالنيات».

قوله: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»: فمن ترك ما لا يعنيه، كان إسلامه حسناً، وكان دينه عظيماً، وإيمانه قوياً، بإذن الله ﷻ.

📖 قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٨): مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ:

أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنَّهُ تَعَلَّقَ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَالْعِنَايَةُ: شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ.. وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ

الْمَمْدُوحُ يَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وَإِذَا حَسَنَ الْإِسْلَامُ، اقْتَضَى تَرْكُ مَا لَا يَعْنِي كُلُّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلُّهُ لَا يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمَلَ إِسْلَامُهُ، وَبَلَغَ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ بِقَلْبِهِ، أَوْ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللَّهِ مِنْهُ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيَشْتَغِلَ بِمَا يَعْنِيهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ وَتَرْكُ كُلِّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ كَمَا وَصَّى ﷺ رَجُلًا أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَسْتَحْيِي مِنَ رَجُلٍ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ. وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَالتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: " (الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ) " . اهـ



بيان النهي عن كثرة الأكل

١٤٩٠ - (وَعَنْ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبٍ - رحمته الله - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلوات الله عليه: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان النهي عن كثرة الأكل.
وللحديث تنمة كما في سنن الترمذي رحمته الله: «يَحْسِبُ ابْنُ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقِمِّنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ».
قوله «المقدام بن معدي كرب» أبو كريمة الكندي الشامي سمع النبي صلوات الله عليه روى عنه خالد بن معدان في البيوع قال الذهلي وقال ابن بكير مات سنة سبع وثمانين سنة إحدى وسبعون وقال عمرو بن علي مات سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

قوله: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»: الحديث فيه أن البطن سبب لكثير من الأدواء.

فكلما امتلأ البطن سمن الجسم، وضعف العقل.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وزاد: «يَحْسِبُ ابْنُ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقِمِّنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِبَطْنِهِ، وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ». من طريق يحيى بن جابر الطائي عن المقدام، والحديث ضعيف؛ لانتقطاع بين يحيى بن جابر الطائي والمقدام. وصححه الإمام الألباني رحمته الله في الإرواء (١٩٨٣)، وضعفه شيخنا الوداعي رحمته الله في أحاديث معلقة ظاهرها الصحة (٣٩٥).

بيان النهي عن كثرة الأكل

وفي المثل العربي: "البطنة تذهب الفطنة".

وكثير من الناس يكثر نومه بسبب ملؤه لبطنه.

قوله: « فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلُتْ لِبَطْنِهِ وَتُلُتْ لِبَطْنِهِ وَتُلُتْ لِنَفْسِهِ » أي: أن

الإنسان يجعل الأكل بقدر الثلث، والشراب بقدره، ويجعل في البطن متسعًا للنفس، والهواء بقدره؛ حتى لا تتعب المعدة.

وقد قيل: "المعدة بيت الداء".

فكثرة الأكل، وكثرة الشرب؛ متعب جدًا للإنسان.

وكذلك يسبب الكسل والخمول والفتور في العبادات، وفي الطاعات؛ فلهذا ينبغي

لكل عاقل أن يجعل طعامه وشرابه بقدر، ولا يأكل كثيرًا حتى يتسبب له الأكل في التخمّة، وفي الأمراض المتعبة.



بيان الحث على التوبة من كل ذنب

١٤٩١ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أن خير بني آدم التوابون من أخطائهم. حديث الباب فيه ضعف، ومعناه صحيح.

ويشهد له ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ". وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس به. وعلي بن مسعدة ضعيف، وحديثه غير محفوظ كما جزم بذلك ابن عدي في ترجمته من الكامل. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٤٢٥١)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٩)، وفي المشكاة (٢٣٤١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

اللَّهُ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضاً: من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(٢).

قوله: «كُلُّ» كل: من ألفاظ العموم.

إلا من عصمه الله من الذنوب، ومن المعاصي .

قوله: «بَنِي آدَمَ خَطَاءً»: وهذا هو الأصل في بني آدم أنهم يقعون في الأخطاء، والذنوب، والمعاصي، إلا من عصمه الله ﷻ، وسدده، ووقفه.

قوله: «وَحَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» أي: أن التوابين من أفضل بني آدم، وخيرهم .
فلهذا ينبغي لمن وقع في ذنب، أو معصية، أن يبادر إلى التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله ﷻ.

يقول الله ﷻ: ﴿وَابْتَغِ الْغَفَرَ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٨٢).

فبين الله ﷻ لنا في هذه الآية الكريمة أن مغفرته يشترط له أربعة شروط:

الأول: التوبة النصوح التي يتحقق فيها شروط التوبة المعروفة.

الثاني: الإيمان بالله ﷻ.

الثالث: فعل الصالحات، والإكثار من ذلك؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

كما في قول الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُكْعًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ ﴿١١٤﴾

الرابع: سلوك طريق الهداية، وهي طريق الكتاب والسنة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾

[النور: ٣١].

ويقول الله ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٢﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ

عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ﴿٦٠﴾

[مريم: ٥٩-٦٠].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ

فِيهِ مُهَكَّنًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ

حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ ﴿٧١﴾

[الفرقان: ٦٨-٧١].

فيجب على الإنسان أن يكون مبادرًا إلى التوبة، رجاءً إلى الله ﷻ.

بيان شروط التوبة النصوح:

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ في توبته وذلك أن التوبة عبادة لله ﷻ، والعبادة لا

تقبل إلا من مخلص.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا

الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾.

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِيَ جَرَّتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِيَ جَرَّتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ». وفي سنن الإمام الترمذي رضي الله عنه: من حديث ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ»^(٢).

وقد قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾^(٣).

الشرط الثالث: الإقلاع عن الذنب بالكلية.

لأن التوبة من الذنب مع الاستمرار فيه، يدل على تهاون العبد بهذا الذنب.

الشرط الرابع: الندم على فعل الذنب.

الشرط الخامس: العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى.

وهذه الشروط في التوبة من الذنوب بين العبد وبين الله صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري (٥٤، ١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وحسنه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن.

وأما في حقوق الناس فيزاد إلى الشروط شرط سادس.

الشرط السادس: أن يرد المظالم إلى أهلها.

لأن حقوق الناس مبنية على المشاحة، فلا بد من المسامحة والتحلل، وإرجاع الحقوق والمظالم إلى أهلها.

أما حق الله ﷻ فهو مبني على المسامحة، فمن تاب إلى الله ﷻ تاب الله ﷻ عليه.

بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزيغ ومن الخراف:

وإن كان الذنب بدعة، فيضاف إلى ما سبق شرط سابع:

الشرط السابع وهو: شرط الإصلاح.

الشرط الثامن: التبيين والبيان.

حتى لا يتبعه أحد من المسلمين على ضلال، وبدعته، وزيغه، وانحرافه.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ

فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا

فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠]..

بيان كيفية التوبة من النفاق:

وإن كانت التوبة من النفاق الاعتقادي، الأكبر، المخرج لصاحبه من ملة الإسلام.

فلا بد من إضافة شروط أخرى.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا

الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ

وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ
وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٧]..

فنضمت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي:

الأول: الإصلاح

الثاني: الاعتصام بالله ﷻ ودينه .

الثالث: الإخلاص لدين الله ﷻ .

فإن كانت المعصية شركاً، أو كفراً، أو ردة عن دين الإسلام.

فالتوبة تكون بالإسلام.

يقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا

فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأَنْفَال: ٣٨].

وقد استوعبت الكلام عن هذه الشروط في كتابي: شروط التوبة إلى الله ﷻ، والله

الحمد والمنة .



بيان فضل الصمت

١٤٩٢ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الصَّمْتُ حَكْمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعَبِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ. وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل الصمت.

وهذا من قول لقمان الحكيم رحمه الله، والمنقول عنه كثيراً من الحكم.

ومنها ما قصه الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ^(١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ^(١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تَمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^(١٥) يَبْنَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ^(١٦) يَبْنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(١٧) وَلَا

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥ / ١٨١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٢٧)، وضعفه الإمام الألباني رحمه الله.

في الضعيفة (٢٤٢٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (٤١)، والحاكم (٣٥٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٦٧١).

تَصْعَرَ خَدَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [سورة لقمان: ١٢-١٩].

وبعضها مذكورة في سنة النبي ﷺ.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث ابن عمر -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ
لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»^(١).
وما يذكر عن لقمان الحكيم ﷻ:

ما أخرجه الإمام ابن شيبه في مصنفه: من طريق حدثنا، أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي
الْأَشْهَبِ، قَالَ: حَدَّثَنِي، خَالِدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّبِيعِيُّ، قَالَ جَعْفَرٌ: وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ: "أَنَّ
لُقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَارًا، وَأَنَّ سَيِّدَهُ قَالَ لَهُ: اذْبَحْ لِي شَاءً، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُ شَاءً
فَقَالَ: ائْتِنِي بِأَطْيَبِهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، قَالَ: فَقَالَ: مَا كَانَ فِيهَا شَيْءٌ
أَطْيَبَ مِنْ هَذَيْنِ؟ قَالَ: لَا، فَسَكَتَ عَنْهُ مَا سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: اذْبَحْ لِي شَاءً، فَذَبَحَ لَهُ
شَاءً قَالَ: أَلْقِ أَخْبَثَهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَلْقَى اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ، فَقَالَ لَهُ: قُلْتُ لَكَ ائْتِنِي
بِأَطْيَبِهَا، فَأَتَيْتَنِي بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، ثُمَّ قُلْتُ لَكَ: أَلْقِ أَخْبَثَهَا مُضْغَتَيْنِ، فَأَلْقَيْتُ اللِّسَانَ
وَالْقَلْبَ، قَالَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا وَلَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبِثَا"^(٢).

ومن شأنه أن سورة في القرآن سميت باسمه: "سورة لقمان".

قوله: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ»: الصمت عن كل شر، ومحرم أفضل من النطق بالشر.

ولكن النطق بالخير خير وأفضل من الصمت.

(١) أخرجه أحمد (٥٦٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٢٥٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (٣٤٢٩٤).

بيان فضل الصمت

ولكن ينبغي للعاقل أن يعود نفسه الصمت؛ إلا إذا كان سيأمر بالمعروف، أو ينهى عن المنكر وما في بابه من العالم، أو نفسه.

والصمت عن النطق بالشر، أو الكذب، والغيبة، والنميمة، غير ذلك من الذنوب والمعاصي، يعتبر نجاة من الإثم.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

فبين النبي ﷺ أن النطق بالخير خير من الصمت عن الخير؛ لأن الإنسان إذا وجب وتعين عليه الأمر بالعروف، والنهي عن المنكر، وهو قادر على ذلك وصمت عن ذلك أثم.

بينما إذا كان الكلام ليس من الخير، فالصمت يكون في مثل هذه الحالة خير من الكلام.

وإذا لم يبين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟

فهنا نقول له: اصمت؛ حتى يتبين لك أنه خير، فعند ذلك تكلم به، وإلا فلا؛ لما جاء في الحديث.

فلا يجوز للإنسان أن يتحدث، ولا يجوز له أن يتكلم إلا إذا كان كلامه خير، وفي كلامه النفع للغير، وإلا فلا يتكلم.

ولكن الصمت عن الشر نجاة من الإثم.

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(١).

ثم قال رحمه الله: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيْعَةَ. وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبْلِيُّ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ "

ولما أخرج الحاكم في مستدركه رحمه الله: من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه - : " فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ فِيهِ قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» قَالَ: وَهَلْ نُوَاخِذُ بِمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ أَلَسِتُنَا؟ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقْتَ بِهِ أَلَسْتَهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسَ كُتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا»^(٢).

قوله: «وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ» أي: أن قليل من الناس الذي يلتزم الصمت عن الشر .

وكما قيل:

كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقائه الشجعان

وقد فصل أهل العلم في ذلك فقالوا: ما كان من الكلام في طاعة الله ﷻ: كالذكر لله

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٤)، وفي صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة (٥٣٦).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٧٧٤)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٤١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٥٣٨).

بيان فضل الصمت

ﷺ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم للناس أمر دينهم، ونحو ذلك من القربات، فالكلام خير.

ومن كان من الكلام في معصية الله ﷻ: فيحرم التكلم به .

وما كان من الكلام المباح: فهو جائز، ولكن الأفضل أن لا يتكلم به، ولا يكثُر

منه .

والحمد لله رب العالمين .



باب الرّهب من مساوئ الأخلاق

[بَابُ الرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ]

شرح الشرح:

جاء الإسلام بالترغيب في فعل الخير، والدلالة عليه، والحث على الأعمال الصالحة، والحث على محاسن الأخلاق.

وجاء بالترهيب من الشر، والضرر، والتحذير منه، والترهيب من الأعمال، والأخلاق السيئة .

ومن رهب من الشيء، أبغضه، وخافه، وابتعد عنه.

ومن رغب في الشيء، أحبه، وأمنه، وحرص عليه.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ:
وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ
عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ^(١).

وصاحب الخلق السيء بعيداً من الله ﷻ، وبعيداً عن سنة النبي ﷺ.

وبعيد عن عباد الله الصالحين المستقيمين على شرع الله ﷻ، فهم لا يحبونه، ولا يودونه، ولا يرغبون في الجلوس معه.

وقد قيل في الأخلاق:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق:

وليس المراد بحسن الخلق حسن المعاملة للناس بطلاقة الوجه فقط، وإن كان هذا من حسن، فحسن الخلق له مراتب:

المرتبة الأولى: حسن الخلق مع الله ﷻ: بتوحيده وطاعته، وعدم الشرك به ومعصيته، ويكون بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

فيكون المعنى كمعنى الإحسان: أن تعبد الله ﷻ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

المرتبة الثانية: حسن الخلق مع المخلوقين: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

وبعض الكفار والمشركين قد يكون لهم من هذه المرتبة بعضها، فهو يتعاملون مع الناس ربما بطلاقة وجه، ويبذلون معروفهم للناس، ولا سيما في الطب، وغير ذلك من المعاملات الدنيوية.

لكنهم في سوء أخلاق مع الله ﷻ؛ حيث أنهم كفروا بالله ﷻ، وأشركوا به، وكفروا بنبوّة نبينا محمد ﷺ، فهدمت كل جميل من أخلاقهم.

فتجد أنهم يقعون في الزنا، وأكل الربا، وشرب المسكرات، وغير ذلك من البليات التي هي زائدة على كفرهم، وشركهم.

بيان بدء دعوة النبي ﷺ للناس:

وقد كان مبدأ دعوة النبي ﷺ، أنه يأمر بمحاسن الأخلاق: بداية من التوحيد والدخول في دين الإسلام، كقوله: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

ففي صحيح ابن حزيمة رضي الله عنه: من حديث طارق المَحَارِبِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا».

وعن أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنه -: أَنَّ هِرْقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: - يَعْنِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم - «يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالصَّلَةِ»^(١).

فجمع النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر: بين محاسن الأخلاق في حق الخالق: وهي الصلاة والزكاة.

وبين محاسن الأخلاق في حق المخلوقين: من العفاف عما في أيديهم من الأموال ونحوها، وصلة الأرحام.

وامتدح النبي صلى الله عليه وسلم أشج عبد القيس كما في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه:
من حديث ابنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لِلْأَشَجِّ أَشَجُّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْجِلْمُ، وَالْأَنَاءُ»^(٢).

بيان أقسام الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق:

ثم إن محاسن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما هو طبعي يجبل الإنسان عليه.

الثاني: ما هو مكتسب.

فربما تجد كثيرًا من الناس عندهم الكرم، والشجاعة، والنخوة، والصدق،

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٠)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧).

والنجدة، وحب التعاون الغير، ونصرة المظلوم والضعيف، وغير ذلك من محاسن الأخلاق، وطبعًا .

وبعض الناس قد يروض نفسه عليها ترويضًا، ويكتسبها من تعلم الكتاب والسنة، أو من مجالسة العلماء، أو الصالحين .

ولهذا جاء في الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم في صحيحه: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

قوله: «فإن الصدق يهدي إلى البر» أي: أن الصدق يرشد، ويدل، ويؤدي إلى البر.

والبر: اسم جامع لكل خير.

فهذا دليل على الاكتساب من محاسن الأخلاق .

فإن لم يكن المسلم متخلقًا بهذا الأخلاق العظيمة الحسنة جبلةً، وطبعًا، فلا أقل من أن تتخلق بها اكتسابًا، وتعلمًا؛ لأن ديننا الإسلامي قد حثنا ورغبنا في ذلك أشد ترغيب.

ففي معجم الطبراني الأوسط: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَقَسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطِيرُ^(١).

فمعنى الحديث: أن الإنسان لا بد له أن يبذل جهداً في تعلم العلم، والحلم، والفقه في دين الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكما أنه رزق أنه أحسن الناس خلقاً. ففي الصحيحين: من حديث أنس - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ» نَعْرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْسِسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا"^(٢).

وجاء في صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أنس - رضي الله عنه -: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»^(٣).

وفي سنن الإمام النسائي ﷺ: من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مُتَرَجِّلًا لَمْ أَرْ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ»^(٤).

فما أجمل اتفاق حسن الخلق مع حسن الخلق.

أي يتفق الخلق الظاهر مع الخلق الباطن، فيكون في مثل هذه الحالة على حظ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، والخطيب في "تاريخه" (٩ / ١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي

الله عنه، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في الصحيحة (٣٤٢)، وفي صحيح الجامع (٢٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٠).

(٤) أخرجه النسائي (٥٣١٤)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف النسائي.

عظيم.

وإن لم تتفق، فإن مكارم الأخلاق تغطي على ما يلحق الخلقة من النقص بعض الشيء، فإن الناس ينظرون إلى أفعال غيرهم، أكثر من النظر إلى المظاهر. **فقد قال رجل بين يدي عمر بن عبد العزيز: "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه".** فإذا كان قلبه صالحًا، ولسانه ناطقًا بالخير، دالًا عليه، مرشدًا إليه، كان هو المرء، وكان هو الرجل الذي يضرب به المثل في نبل الأخلاق. وإن كان قلبه فاسدًا، ولسانه ناطقًا بالشر، ودالًا عليه، ومرشدًا إليه، كان هو الفاسد، ولو كان ذو جاه كبير، ومال كثير.

بيان أنواع مساوئ الأخلاق:

ومساوئ الأخلاق تنقسم إلى أنواع:

الأول: القولي: كالسب، والشتم، واللعن، والغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء بالقول، وشهادة وقول الزور، وكل قول قبيح محرم في الدين، ومخالف لكتاب الله ﷻ، ولسنة النبي ﷺ.

الثاني: الفعلي: كالقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأكل الربا، والنهبة، والاختلاس، والنصب، والظلم، وكل فعل محرم مخالف للكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

الثالث: الاعتقادي: كسوء الظن، والحسد، والبغض، والكراهية، وكل اعتقاد محرم مخالف لكتاب الله ﷻ، ولسنة النبي ﷺ.



بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر

١٤٩٣ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ).

١٤٩٤ - (وَلِابْنِ مَاجَهَ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رضي الله عنه - نَحْوُهُ^(٢)).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الحسد .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ» أي: احذروا واجتنبوا وابتعدوا من الحسد.

وهذا من المبالغة في التحذير منه؛ لشدة حرمة فهو من كبائر الذنوب .

والحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير، أو بعض وقوع الخير للغير، ولا سيما إذا كان من المسلمين.

ولم يرخص في الحسد إلا إذا كان من باب التنافس على الخير، أي يحب المؤمن أن يكون له من الخير مثل ما يكون لغيره من المؤمنين، وهذا يسمى بالغبطة.

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣)، من طريق إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة به. وإبراهيم: "فيه لين"،

وجده: "مجهول لا يعرف". وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف أبي داود (١٩٠٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢١٠)، بسند ضعيف جداً، في إسناد عيسى بن أبي عيسى الحنط؛ متروك.

الْحِكْمَةُ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»^(٣).

ومما يدل على تحريم الحسد ما في الصحيحين: من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»^(٤).

وجاء في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٥).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٣٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه، - حَدَّثَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأُكُمْ بِمَا يُنْبِتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٢).
والحسد خلق المنافقين والكفار والمشركين: من اليهود وغيرهم.

يقول الله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا نَبَيَنَّ لَهُمْ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٩).

ويقول: ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١٥).
[البقرة: ١٥٥]، ويقول: ﴿أَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ﴾ [النساء: ٥٤].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

﴿ بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد:

فإبليس عليه لعنة الله ﷻ عصى الله ﷻ وامتنع من السجود لأبينا آدم عليه السلام. وفعل ذلك إلا من الحسد والكبر، حسد أبينا آدم عليه السلام وتمرد على الله ﷻ كبراً منه .

يقول الله ﷻ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ .

وغيرها من الآيات وهي كثيرة.

﴿ بيان أفضل علاج للحسد:

وأفضل علاج لهذا الداء العضال: "أن الإيمان بالقضاء وبالقدر".

فمن آمن بقضاء الله ﷻ وقدره؛ فإنه لا يحسد أحداً .

وقد قال بعضهم في ذا الحسد:

بدأ بصاحبه فقتله

لله در الحسد ما أعدله

وقيل أيضًا:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

قوله: «فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ»: لأن الحسد فيه اعتراض على قدر الله ﷻ وقضائه، والمؤمن مأمور بأن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والهدى، والصلاح، والدين، والسعادة، وكل أمر حسن وفي الآخرة .
والحسد مبني على سوء الظن بالله ﷻ، وبغض المسلمين، وكراهيتهم، والاعتراض على قضاء الله ﷻ وقدره .
وإذا استمر الحسد في قلب المسلم فإنه قد يوصله إلى الحقد على المسلمين، وعلى محبة إيقاع الشر بهم، والضرر، والعياذ بالله ﷻ، وهذا من صفات المنافقين، واليهود، والكفار، والمشركين .

فيولد الحسد في قلب صاحبه مرضاً داخلياً، وكلما رأى نعمة، أو رأى خيراً في أخيه المسلم، ازداد تألماً على ذلك فوق تألمه الأول .

قوله: «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»: والحديث لم يثبت عن النبي ﷺ، كما تقدم ولكن معناه صحيح، فيخشى على صاحب الحسد من أن تذهب حسناته، ويقع في الكراهية، وفي البغض المسلمين .

والله أعلم .



بيان ذم الغضب

بيان ذم الغضب

١٤٩٥ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان ذم الغضب .

فهذا فيه التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ» أي: عن أبي هريرة رحمه الله.

قوله: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

📖 قال النووي في شرحه على مسلم (١٦ / ١٦٢): وَكَذَلِكَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الصُّرَعَةَ الْمَمْدُوحُ الْقَوِيُّ الْفَاضِلُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ بَلْ يَصْرَعُهُمْ وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ شَرْعًا بَلْ هُوَ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ فَهَذَا هُوَ الْفَاضِلُ الْمَمْدُوحُ الَّذِي قَلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِهِ وَمُشَارَكَتِهِ فِي فَضِيلَتِهِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ.

اهـ

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رحمه الله، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(٢).

وإنما يكون الغضب إذا انتهكت حرمة من حرمت الله ﷻ .

(١) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٦١١٦).

بيان ذم الغضب

وفي الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»^(١).

وليس المراد النهي عن الغضب من حيث هو؛ فإن الإنسان مهما كان عنده من الدين، والصلاح، فربما طرأ عليه الغضب .

ولكن المراد أن يتعد عن نتائج الغضب بقدر ما يستطيع .

فإذا طرأ عليه الغضب، ما أوصى به النبي ﷺ من الاستعاذة بالله ﷻ من الشيطان الرجيم.

ففي الصحيحين: من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرُ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ " فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠).

بيان تحريم الظلم

١٤٩٦ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٤٩٧ - (وَعَنْ جَابِرٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشَّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمته الله الأحاديث لبيان تحريم الظلم.

قوله: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: أحاديث الباب، وغيرها من الأدلة تبين تحريم الظلم، وأنه من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بالظلمات يوم القيامة.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمته الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ، قَالَ: «اتَّذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) وزاد: «حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

بيان أنواع الظلم:

والظلم على ثلاثة أنواع:

الأول: ظلم العبد لنفسه.

بارتكاب ما نهى الله ﷻ عنه: من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام.

أو بترك ما أمر الله ﷻ به، فلا يفعله، ولا يمتثله.

الثاني: ظلم العبد لغيره: وهذا أيضًا ينقسم إلى أقسام أخرى:

فقد يكون الظلم بالقول: فقد يكون بالسب، وبالشتيم، وبالغيبة، وبالنميمة، وبالكذب على الناس، وبغير ذلك من الأقوال الظالمة على غيرها.

وقد يكون بالفعل: من الضرب، ومن القتل، ومن الزنا، ومن السرقة، ومن غير ذلك من الأفعال التي يكون فيها ظلم للآخرين.

الثالث: الظلم الأكبر، والظلم الأعظم، وهو الشرك والكفر.

وهو ظلم العبد لنفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، أو في الكفر الأكبر، أو في ردة عن الإسلام.

يقول الله ﷻ مخبراً لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: ﴿وَلِذَٰلِكَ لَقَمْنُ لِبَنِيهِ﴾

﴿وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣).

فهذا الظلم هو الذي لا يغفره الله ﷻ لصاحبه إذا لم يتب منه، ويكون صاحبه خالداً مخلداً في نار جهنم، خارجاً عن ملة الإسلام، حلال الدم والمال والعرض.

قوله: «وَاتَّقُوا الشُّعْ» أي: اجتنبوه، وابتعدوا عنه، ولا تتخلقوا به، سواء قليله، أو

كثيره.

قوله: «فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»^(١).

فبسبب الشح: حصل الهلاك لمن كان قبلنا، وسيحصل لنا إن فعلنا مثل ما فعلوا، فإن الشح هو الذي حمل الناس على القتل فيما بينهم حرصاً على الدنيا، والمناصب، والأموال، وغير ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يَقُولُ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لَا»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أنس رضي الله عنه -، قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَبَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»^(٣).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحُّ هَالِعٍ وَجُبْنٌ خَالِعٍ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥١١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود، وحسنه الإمام

الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٣٩٢).



بيان تحريم الظلم



بحيث يحمله الشح والجبن عن الامتناع عن إخراج ما أوجب الله ﷻ عليه من:
النفقات الواجبة على الأهل والأولاد، ومن ولاه الله أمرهم، بل وإخراج الزكوات
الواجبة عليه .



بيان خطر الرياء

١٤٩٨ - (وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءُ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ).

شرح الشرح: ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان خطر الرياء.

الرياء مأخوذ من المرأة، وهو مرض قلبي يثدي إلى حبوط العمل، فصاحبه شرك غير لله ﷻ في عمله، وهو على قسمين:

شرك أكبر: وضابطه أن يدخل العمل لا يريد إلا الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِيَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٦) [هود: ١٥-١٦].
وشرك أصغر: وهو أن يدخل العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء.

قوله: «عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصاري، الأوسي، الأشلهي.

قال البخاري: له صحبة، وروى عن عاصم بن عمر بن قتادة، عنه، قال: أسرع النبي ﷺ يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا، وهذا ظاهره أنه حضر ذلك، ويحتمل أن يكون أرسله.

قوله: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ: الرِّيَاءُ».

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢).

﴿ قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٦٠): لُغَةً أَنْ يَرَى غَيْرَهُ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَشَرَعًا أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ وَيَتْرُكَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ مُلَاحَظَةِ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ يُخْبِرَ بِهَا أَوْ يُحِبَّ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا لِمَقْصِدِ دُنْيَوِيٍّ مِنْ مَالٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَجَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) [النساء:

١٤٢] وَقَالَ ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف: ١١٠] ، وَقَالَ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) [الماعون: ٤] - قَوْلُهُ - ﴿الَّذِينَ هُمْ

يُرَاءُونَ﴾ (٦) [الماعون: ٦] وَوَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الطَّيِّبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ عِقَابِ الْمُرَائِي، فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَابِدٌ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مِنْ عَمَلٍ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا عَنْهُ بَرِيءٌ وَأَنَا أَعْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنْ الشُّرْكِ» وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ يَكُونُ بِالْبَدَنِ، وَذَلِكَ بِإِظْهَارِ النُّحُولِ وَالِإِصْفَارِ لِيُوهِمَ بِذَلِكَ شِدَّةَ الْاجْتِهَادِ، وَالْحُزْنَ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ وَخَوْفَ الْآخِرَةِ، وَلِيَدُلَّ بِالنُّحُولِ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ، وَبِتَشَعُّثِ الشَّعْرِ وَدَرْنِ الثَّوبِ يُوهِمُ أَنَّ هَمَّهُ بِالْدِّينِ أَلْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْوَاعُ هَذَا وَاسِعَةٌ، وَهُوَ مَعْنَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، وَيَكُونُ فِي الْقَوْلِ بِالْوَعْظِ فِي الْمَوَاقِفِ وَيَذْكُرُ حِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ لِيَدُلَّ عَلَى عِنَايَتِهِ بِأَخْبَارِ السَّلَفِ وَتَبَحُّرِهِ فِي الْعِلْمِ وَيَتَأَسَّفُ عَلَى مُقَارَفَةِ النَّاسِ لِلْمَعَاصِي وَالتَّأَوُّهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِحُضْرَةِ النَّاسِ وَالرِّيَاءُ بِالْقَوْلِ لَا تَنْحَصِرُ أَبْوَابُهُ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُرَاءَةُ بِالْأَصْحَابِ، وَالْأَتْبَاعِ وَالتَّلَامِيذِ فَيَقَالُ: فَلَانٌ مُتَّبِعٌ قُدْوَةً، وَالرِّيَاءُ بَابٌ وَاسِعٌ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَبَعْضُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ أَعْظَمُ مِنْ بَعْضِ لِاخْتِلَافِهِ

بِاخْتِلَافِ أَرْكَانِهِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: الْمُرَاءَى بِهِ، وَالْمُرَاءَى لِجَلِهِ، وَنَفْسُ قَصْدِ الرِّيَاءِ، فَقَصْدُ الرِّيَاءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا عَنْ قَصْدِ الثَّوَابِ أَوْ مَصْحُوبًا بِإِرَادَتِهِ، وَالْمَصْحُوبُ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ لَا يَخْلُو عَنْ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ الثَّوَابِ أَرْجَحَ أَوْ أَضْعَفَ أَوْ مُسَاوِيَةً فَكَانَتْ أَرْبَعُ صُورٍ الْأُولَى أَنْ لَا يَكُونَ قَصْدُ الثَّوَابِ بَلْ فَعَلَ الصَّلَاةَ مَثَلًا لِيَرَاهُ غَيْرُهُ، وَإِذَا انْفَرَدَ لَا يَفْعَلُهَا، وَأَخْرَجَ الصَّدَقَةَ لِنَلَا يُقَالَ إِنَّهُ بَخِيلٌ، وَهَذَا أَغْلَطَ أَنْوَاعِ الرِّيَاءِ وَأَخْبَثُهَا، وَهُوَ عِبَادَةٌ لِلْعِبَادِ، الثَّانِيَةُ: قَصْدُ الثَّوَابِ لَكِنْ قَصْدًا ضَعِيفًا بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مُرَاءَاةَ الْعِبَادِ وَلَكِنَّهُ قَصْدَ الثَّوَابِ فَهَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ، الثَّالِثَةُ: تَسَاوِي الْقَصْدَيْنِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْعَثْهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مَجْمُوعُهُمَا وَلَوْ خَلَّى عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَمْ يَفْعَلْهُ فَهَذَا تَسَاوِي صَلَاحِ قَصْدِهِ وَفَسَادِهِ، فَلَعَلَّهُ يُخْرِجُ رَأْسًا بِرَأْسٍ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ اِطْلَاعُ النَّاسِ مُرَجِّحًا أَوْ مُقَوِّيًا لِنَشَاطِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَمَا تَرَكَ الْعِبَادَةَ. قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَالَّذِي نَظَنُّهُ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَحْبِطُ أَصْلُ الثَّوَابِ وَلَكِنَّهُ يَنْقُصُ وَيَعَاقِبُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الرِّيَاءِ، وَيَثَابُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الثَّوَابِ وَحَدِيثُ: «أَنَا أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنِ الشُّرْكِ» مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا تَسَاوَى الْقَصْدَانِ أَوْ أَنَّ قَصْدَ الرِّيَاءِ أَرْجَحُ. وَأَمَّا الْمُرَاءَى بِهِ، وَهُوَ الطَّاعَاتُ فَيُقَسَّمُ إِلَى الرِّيَاءِ بِأُصُولِ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَى الرِّيَاءِ بِأَوْصَافِهَا، وَهُوَ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: الرِّيَاءُ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ إِظْهَارُ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَبَاطِنُهُ مُكَدِّبٌ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْهَا، وَفِي هَؤُلَاءِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١] الآية.

اهـ

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله

ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»^(١).

وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال: "انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رضي الله عنه- إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ! لَلشُّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشُّرْكِ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشُّرْكِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ، أَلَا أَذْلكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟". قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»^(٢).

بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله ﷻ لصاحبه؟

تخوف النبي ﷺ على أمته الشرك الأصغر، دليل على خطره على صاحبه. وسواء كان الشرك صغيراً أو كبيراً، فإن الله ﷻ لا يغفره لصاحبه؛ حتى يتوب منه يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٤٨).

كما بينت ذلك في كتابي فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.



(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح الأدب المفرد

(٥٥٤/٧١٦).

بيان علامات النفاق العملي الأصغر

١٤٩٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اتُّمِّنَ خَانَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٥٠٠ - (وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه -: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان علامات النفاق العملي، وهو النفاق الأصغر.

قوله: «آيَةُ» أي: علامة.

قوله: «الْمُنَافِقِ»: هو من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهو اصطلاح إسلامي، وكان ظهورهم بعد غزوة بدر الكبرى.

ثلاث: وليس على سبيل الحصر، ولكنها أشهر وأوضح علامات المنافقين.

بيان أقسام النفاق:

والنفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول: نفاق اعتقادي، ويسمى بالنفاق الأكبر.

وهو الذي يكون صاحبه كافرًا، كحال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر والشرك بالله ﷻ.

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

ويظهر صاحبه الإسلام حتى يعصم دمه وماله وعرضه، ويكون في الظاهر أنه منهم ليتسنى له الطعن في دين الله ﷻ .

مع أنه في حقيقة الحال ما يزال في كفره، وشركه؛ تجد أنه محباً للكفر، ومؤثراً له على الإسلام.

يقول الله ﷻ : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (١٤٥).

ويقول الله ﷻ : ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠).

الثاني: النفاق العملي، ويسمى بالنفاق الأصغر.

وصاحبه لا يخرج من ملة الإسلام، ولكنه واقعاً في كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظام الآثام.

والمراد منه: التخلق بأخلاق المنافقين، وفعل أفعالهم المشهورة عنهم.

ولا يراد من قولنا لشخص أنه منافق: أنه قد وقع في النفاق الأكبر، والنفاق الاعتقادي، إلا مع القرينة على أنه قد وقع في ردة عن الإسلام، أو في ناقض من نواقضه المعلومة.

قوله: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»: والكذب من أشهر علامات النفاق العملي.

يقول الله ﷻ : ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى

الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤).

إذ أن الكذب صفة ذميمة، لا تليق بالمسلم أبداً حتى أن العرب في جاهليتهم وقبل إسلامهم كانوا يتورعون عن الكذب؛ في حقهم، فقد يعيرون به .

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه-، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ -رضي الله عنه- أَخْبَرَهُ: "أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءٍ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بَتَرَجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَذْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لَتَرَجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ...»^(١).

فأبو سفيان -رضي الله عنه- كان مشرکاً ومع ذلك تورع عن الكذب؛ حتى لا يعير به .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(٢).

قوله: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»: ومن صفاتهم خلف الوعد، حيث يعد على نية الخلف.

أما إذا وعد ونيته الوفاء، ثم قدر الله ﷻ عليه بشيء حال بينه، وبين وعده؛ فلا شيء عليه .

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

ففي الصحيحين: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، زوج النبي ﷺ، أخبرته: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

و وصف الله ﷻ بأننا: لا تخلف الميعاد.

يقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

٩﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَعَانِئْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ

الْمِيعَادَ ١١٤﴾.

فلا يخلف وعده، ولا ينقض عهده.

وكان النبي ﷺ يفي بالوعد.

قوله: «وَإِذَا اتَّيَمَنَ خَانَ» أي: ومن علاماتهم الخيانة ويشمل كل الأمانات الحسية:

من حفظ الودائع، وغيرها.

والأمانات المعنوية: من تبليغ دين الله ﷻ، وتربية الأولاد، وغير ذلك.

فدين الله ﷻ، وتبليغه أمانة على من آتاه الله ﷻ العلم، والنصح لولاة أمور المسلمين عند القدرة عليه أمانة، وكذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أمانة،

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩).

إلى غير ذلك.

فالخيانة صفة ذميمة من صفات المنافقين، فلا تليق بمسلم .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ .

قوله: «وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»: الخصام قد يقع

بين الناس، ولكن الفجور في الخصومة من علامات المنافقين، وصفاتهم.

فقد يتخاصم الرجل مع زوجته، والجار مع جاره، والصاحب مع صاحبه،

والرجل مع ولده، لكن المذموم من ذلك أن يفجر في خصومته، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

[البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]..

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث عائشة ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ

الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»^(١).

وتقوم الساعة على أهل الخصومات .

يقول الله ﷻ : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس: ٤٩-٥٠]..

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

أي: يتجادلون بالباطل.

فإن قُدِّرَ عليك أن تضع الخصومة مع أحد من المسلمين، فلا يتجاوز ذلك إلى الفجور فيها الانتصار للنفس ولو بالظلم، والتعدي، والكذب.

ولفظ الحديث في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».



بيان تحريم سباب المسلم

١٥٠١ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم سباب المسلم .

ومن باب أولى تحريم قتله؛ لأنه من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ.

فحديث الباب يدل على تحريم سباب المسلم، وشتمه .

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا ضِرَاءٌ مِّنْ ضِرَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَطِ بَشَاسٍ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّهُمُ الْمُسْتَبِينَ مَا قَالَا عَلَى الْبَادِي، حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ " أَوْ " إِلَّا أَنْ يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ»^(٢).

قوله: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» أي: أن شتم المسلم فسوق، والفسق: هو الخروج من الطاعة إلى المعصية.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٠٥٥).

بيان أقسام الفسق:

والفسق ينقسم إلى قسمين:

الأول: فسق أكبر.

وهو الخروج من توحيد الله ﷻ إلى الكفر والشرك، وهذا فسق أهل الكفر، والشرك، والإلحاد.

الثاني: فسق أصغر.

وهو فسق عصاة المسلمين، ويكون ذلك بفعل الكبائر .
فسباب المسلم من الفسق المحرم، ويجب على صاحبه أن يتحلل ممن سبه وشتمه، وأن يتوب إلى الله ﷻ من ذلك.

قوله: «وَقَاتِلُ كُفْرًا» أي: كفر دون كفر، وليس بالمرجع من الملة.

لكنه أيضًا من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ﷻ.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ: " الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرَ الْكَبَائِرِ؟ قَالَ: قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ " قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: «شَهَادَةُ الزُّورِ»^(١).

بيان سبب تسمية القتل كفرًا:

وسمي القتل كفرًا؛ لأنه من أفعال الكفار.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

بيان تحريم سباب المسلم

ففي الصحيحين: من حديث أبي بكرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث جريرٍ رضي الله عنه - أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(٢).
قد ساق الإمام البخاري رحمه الله حديث ابن مسعود في صحيحه للرد على المرجئة، والخوارج.

إذ أن الخوارج يكفرون المسلمين بمطلق الكبيرة.

وقد سَمَى الله ﷻ المتقاتلين بأنهم مؤمنين فقال: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنَا لُؤْلُؤًا تَبَغَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتًا

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ [الحجرات: ٩-١٠]..

وفيه رد على المرجئة: الذي يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، وأنه لا ينقص من المعاصي.

وفي صحيح الإمام مسلم: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(١).

ويكون قتاله كفر أكبر: إذا استحل قتله، فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام؛ لاستحلاله ما حرم الله ﷻ، والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين

١٥٠٢ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين. ولفظ الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(٢).

وحديث الباب يدل على نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إساءة الظن بالمسلمين، والنهي للتحريم؛ إذ يتولد من إساءة الظن العديد من المحرمات. فمنها: الظلم، والبغي، والبغض، والتجسس، والتحسس، والكراهية، والحسد، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها من المحرمات التي يعتبر كل مرض منها من الكبائر بذاته، فنسأل الله تعالى العافية .

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَشِيرٌ غَفُورٌ ﴿١٢﴾ تَوَابٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٦).

فلو تأملنا كثرة البلايا الواقعة في الأمة الإسلامية لوجدنا أن أكثرها بسبب إساءة الظن بالمسلمين .

ويقع ذلك بين الأزواج، والآباء وأبناءهم، والجيران، والأقرباء، والنساء، والأخوة، و البعيد والقريب.

إذ أن الظن السيئ يجبر إلى كل بلية.

بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله ﷻ:

وأسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله ﷻ لما يأتي إن شاء الله .

والواجب إحسان المؤمن ظنه بربه، لما جاء في الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذَرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذَرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»^(٢).

وفي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ، قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٩٠٧٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني (١٦٦٣).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله أيضاً: من طريق حَيَّانُ أَبُو النَّضْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ - رحمه الله - عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَائِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجَّهَ لِيَعْتَهُ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَائِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسَأَلْتُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيُّ حَسَنٍ قَالَ وَائِلَةُ - رحمه الله - : أَبَشِرْ إِيَّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ».

(١)

فمن ظن بالله ﷻ الخير ناله بإذن الله ﷻ؛ لأنه خير الرزاقين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

ومن ظن بالله ﷻ السوء، ناله السوء والشر بسبب ظنه السيء؛ لأنه وقع في كبيرة من الكبائر.

وظن السوء بالله ﷻ هو من صفات المشركين والمنافقين، كما أخبرنا الله ﷻ عنهم فقال: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٦).

ويقول الله ﷻ : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

(١) أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١١٩٧).

الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ .

فينبغي أن يكون الله ﷻ عند حسن ظن كل مسلم، فمن أحسن الظن بالله ﷻ جازاه الله ﷻ على حسن ظنه .

فإن التعبد لله ﷻ بمعاني أسمائه وصفاته، من الأمور المطلوبة من كل مسلم.

قوله: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ » أي: احذروا من الظن فيما بينكم يا معشر المسلمين، واحذروا كل الحذر أن يسوء ظنكم بالله ﷻ.

قوله: « فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ».

📖 **قال الحافظ في الفتح (١٠ / ٤٨٢):** قد استشكلت تسميته الظن حديثاً وأجيب بأن المراد عدم مطابقة الواقع سواء كان قولاً أو فعلاً ويحتمل أن يكون المراد ما ينشأ عن الظن فوصف الظن به مجازاً . اهـ

فعلى كل مسلم أن يحسن ظنه بالمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ حتى يدفع عن نفسه الشر العظيم الذي لا يعلم به إلا الله ﷻ.

وعليه أن يعامل أخاه بما ظهر منه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " إِنْ أَنَا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ » أخرجه البخاري، والله أعلم .



بيان تحريم غش المسلمين

١٥٠٣ - (وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رضي الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح:

ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان تحريم غش المسلمين.

ولفظ الحديث عند الإمام البخاري رحمته الله في صحيحه: من حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رضي الله عنه -: أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

والأدلة في تحريم الغش كثيرة منها ما في مسلم رحمته الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

وفي لفظ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥١).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٢).

فالغش محرم، سواء كان في البيع، والشراء، والنكاح، والخطبة، والتربية للأولاد، والحكم بين الناس، والقضاء، والولاية، وغير ذلك .

وأشوأ الغش غش الرعية، سواء كان ذلك في الولاية الخاصة، أو العامة.

فالولاية الخاصة: كالعالم والشيخ مع طلابه وتلامذته، والأب مع أولاده وأهله، ومن ولاه الله ﷺ أمرهم، ونحو ذلك.

والولاية العامة: هي ولاية المسلمين، كالإمام وخليفة المسلمين مع سائر رعيته فلا بد من النصح للرعية في سلوك السبيل الصحيح .

قوله: «مَا مِنْ عَبْدٍ» أي: عبد من عباد الله ﷻ: سواء كان من الرجال، أو من النساء.

قوله: «يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً»: عامة سواء كانوا من الرجال، أو من النساء، أو من الكبار، أو الصغار، وسواء كانوا قليلاً، أم كثيراً.

قوله: «يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ» أي: أنه يلازم الغش من غير توبة، فلعله يبعث على حياته .

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»^(١).

وجاء في صحيح الإمام مسلم ﷺ أيضاً: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٨).

ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ»^(١).

قوله: «وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ» أي: مات على هذا الفعل القبيح، وهو غاش لرعيته؛ لم ينصح لهم، ولم يأمرهم بالمعروف، أو ينهاهم عن المنكر، ولم يحذرهم من الشر والضرر، ولم يعلمهم الكتاب والسنة.

بل تركهم كالبهائم، لا يعرفون ما أمرهم الله ﷻ به، ولا ما نهاهم الله ﷻ عنه. **فالذي يجب علينا جميعاً:** رجالاً ونساءً أن نتعلم دين الله ﷻ، وأن نعمل بما تعلمنا، ونسأل الله ﷻ أن يعلمنا.

ونحرص كل الحرص على تعلم الكتاب والسنة بقدر ما نستطيع، فالمعرض عن العلم لا يتعلم، كيف سيصله وهو معرض عنه.

قوله: «إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»: وهذا يحمل على الدخول الأولي للجنة؛ لأن أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله ﷻ؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم. أو يحمل على الوعيد، وعلى الجزاء إن جازاه الله ﷻ على فعله هذا.

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام البخاري: من حديث ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ» وَزَادَ اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيْقُ بْنُ حُكَيْمٍ إِلَى ابْنِ شِهَابٍ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي الْقُرَى: هَلْ تَرَى أَنَّ أَجْمَعَ وَرُزَيْقُ عَامِلٌ عَلَى أَرْضٍ يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ؟ - وَرُزَيْقُ يَوْمِئِذٍ عَلَى أَيْلَةٍ - فَكَتَبَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: يَأْمُرُهُ أَنْ يُجْمَعَ، يُخْبِرُهُ أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رضي الله عنهما- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ

(١) أخرجه مسلم (٢٨٧٩).

رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).



(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

بيان وجوب الرفق بالرعية

١٥٠٤ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان وجوب الرفق بالرعية.

وفيه قصة: ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِمَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أَخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

فحديث الباب يدل على وجوب الرفق بالرعية، حيث أن النبي ﷺ دعا على من يشق عليهم بأن الله ﷻ يشق عليه، وهذا قد يشمل المشقة في الدنيا، والآخرة.

وفي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: " قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

"(١)"

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُرِمَ الرَّفْقُ، حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمُ الرَّفْقُ، يُحْرَمُ الْخَيْرَ»^(١).
وَعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا»: سواء كان هذا الشيء قليلاً، أم كثيراً، صغيراً، أم كبيراً، وسواء كانت الولاية عامة، أم الخاصة.
فعلى كل مسلم أن يتقى الله في نفسه، وأن يراقب الله ﷻ في جميع شأنه.
والمراد بالأمة: أمة الإجابة.

شيئاً: نكرة في سياق الإثبات، فتفيد العموم كما تقدم.
قوله: «فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ» أي: أن الجزء من جنس العمل، فمن شق على المسلمين في ولايته عليهم شاق الله عليه في الدنيا، وفي الآخرة.
ومن رفق بالمسلمين رفق به في الدنيا، وفي الآخرة، والله الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٢).

بيان تحريم الضرب في الوجه

١٥٠٥ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الضرب في الوجه.

حديث الباب يدل على تحريم ضرب الوجه عند المقاتلة .

وقد هني النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسم في الوجه.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جابر - رضي الله عنه -، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ»^(٢).
فإن أكرم ما في الإنسان وجهه.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ

الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣).

ونهي النبي صلى الله عليه وسلم وضرب الوجه حتى مع زوجته.

لما جاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقَّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٦).

بيان تحريم الضرب في الوجه

اَكْتَسَيْتَ، أَوْ اِكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ^(١)، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَكَ اللَّهُ".

فلا يجوز ضرب الوجه بحال، حتى في حال القتال مع الكفار والمشركين. لأن النبي ﷺ نهى عن المثلة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث بُرَيْدَةَ بن الحَصِيب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»^(٢).

وتتمة الحديث: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، وقد اختلف العلماء في معنى الحديث فقال بعضهم الضمير يعود إلى آدم عليه السلام، وقال بعضهم الضمير يعود إلى الله ﷻ.

وأي كان فإن الصورة ثابتة لله ﷻ على ما يليق بوجهه، من هذا الحديث أو غيره.



(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٢)، وقال الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود: حسن صحيح. وحسنه

الإمام الوادعي ﷺ في الصحيح المسند (١١١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٣١).

التحذير من الغضب

التحذير من الغضب

١٥٠٦ - (وَعَنْهُ - رحمته) - : "أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي. فَقَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مَرَارًا. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح:

ساق المصنف رحمته هذا الحديث لبيان التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا»: جارية بن قدامة رحمته.

فعند الإمام أحمد رحمته في مسنده: من طريق الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَمِّ لَهُ يُقَالُ لَهُ: جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيِّ - رحمته -، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيه؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " لَا تَغْضَبْ "، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مَرَارًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: " لَا تَغْضَبْ " ^(٢).

قوله: «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

فيه: استحباب طلب الوصية من العالم، والفاضل، والأب، وأهل الشأن.

قوله: "فَقَالَ: «لَا تَغْضَبْ»": وهذه الوصية من جوامع الكلم التي أوتيها النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد جمع في هذه الوصية القليلة الكلمات معاني الدين كله.

لأن الغضب يجر على صاحبه الوقوع في كثير من المعاصي، والكبائر، والذنوب، والخطايا، والسيئات.

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣٥٧).

التحذير من الغضب

فقد يقتل، وقد يظلم، وقد يطلق زوجته، وقد يعتدي، وقد يسب، وقد يشتم، وقد يغتاب، وقد ينم، وقد يحسد، وقد يغل، وقد يبغض، وقد يكره، وقد يسيء الظن، وقد يفعل المنكرات، وكل هذا بسبب الغضب.

قوله: «فَرَدَّدَ مَرَّارًا» أي: أن النبي ﷺ كرر قوله لا تغضب؛ لما في هذه الوصية من النفع في الدنيا، والآخرة.

قوله: "قَالَ: «لَا تَغْضَبُ»".

أخرج الإمام أحمد رحمته الله في مسنده: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - رحمته الله - قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي؟ قَالَ: "لَا تَغْضَبُ" ^(١).
قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: "فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ".



(١) أخرجه أحمد (٢٣١٧٢).

بيان تحريم التخوض في مال الله ﷻ بغير حق

١٥٠٧ - (وَعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ^(١) فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم التخوض في مال الله ﷻ بغير حق. التخوض في مال الله ﷻ بغير حق له طرق:

الأولى: أن يصرف في الحرام. **الثانية:** أن يؤخذ ويكتسب من الحرام.

الثالثة: أن يقع في صرفه ولو في الحلال والمباح المجاوزة والإسراف والتبذير.

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»^(٣).

والمال شأنه عظيم حتى أن المرء في القيامة يُسأل عنه في حالين:

الحال الأول: من أين اكتسبه، أمِنْ حلال، أم مِنْ حرام.

الحال الثاني: وفيما أنفق، أفي الحلال، أم في الحرام.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ

(١) أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل.

(٢) أخرجه البخاري (٣١١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٨٣).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»^(١).

والمال أيضًا له أحكامه، ويدخل فيه كل ما يتمول، سواء كان من النقيدين: الذهب، أو الفضة، أو كان من غيرهما.

قوله: «إِنَّ رِجَالًا»: خرج مخرج الغالب، وإلا فالحكم يشمل الرجال والنساء.

قوله: «يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ»: والتخوض في مال الله ﷻ يكون بعدة أشياء:

الأول: في جمعه من غير حله .

الثاني: في صرف، ونفقته في غير حله .

الثالث: منع الزكاة الواجبة منه .

الرابع: منع النفقة الواجبة فيه على الزوجة، والأولاد، والأبوين إن كانا فقراء محتاجين .

الخامس: البخل في إخراج الصدقة المستحبة منه: للفقراء، وللمساكين، واليتامى، والأرامل، وغيرهم من المحتاجين.

السابع: أن يستخدم المال في أذية المسلمين بالرشوة، وغير ذلك.

قوله: «بِغَيْرِ حَقٍّ»: خرج بذلك لو كان التخوض فيه بحق.

ما إذا أنفق المال في أوجه الخير، واكتسبه من الحلال .

ومن كان هذا هو حاله فإن الله ﷻ قد أثنى عليه في آيات كثيرات.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني ﷻ في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان تحريم التخوض في مال الله بغير حق

يقول الله ﷻ: ﴿الْعَمَّ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ [البقرة: ١-٣].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٢﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

قوله: «فَلَهُمْ» أي: جزاء صنيعهم وتخوضهم في مال الله ﷻ بغير حق.

قوله: «النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا كَثِيرًا مِّنَ

الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ ۝﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ

هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].



بيان تحريم الظلم

١٥٠٨ - (وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ - قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا»^(١)). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الظلم .

وقد تقدم معنا في أحاديث سابقة أن الظلم من الكبائر؛ لما جاء فيه من الوعيد، وأنه يكون على أصحابه يوم القيامة ظلمات.

قوله: «وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وهو جندب بن جنادة رحمه الله.

قوله: «عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ -»: أي: أن هذا الحديث هو حديث قدسي.

قوله: «يَا عِبَادِي»: إضافة ملك وخلق وقهر .

قوله: «إِنِّي حَرَّمْتُ»: أي: منعت .

قوله: «الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»: وتحريم الظلم على نفسه يدل على عدله، وعلى كرمه، وإحسانه، وجوده، وتفضله على عباده.

يقول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، وهو طرف من حديث طويل.

بيان تحريم الظلم

ويقول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ

٤٦﴾ .

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ

ويقول الله ﷻ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا تَتَابَعًا ۚ

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ

بيان معنى الظلم:

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

والله ﷻ الملك ملكه، والخلق خلقه، وكلهم وتحت تصرفه وتديره، وأفعاله على مقتضى حكمته عمله.

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من طريق عن ابن الديلمى، قال: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْدَرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ

بيان تحريم الظلم

أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلٍ أُحْدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أُحْدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَتَسْأَلَهُ، فَاتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أَبِي وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ، فَاتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَاسْأَلْهُ، فَاتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحْدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلٍ أُحْدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»^(١).

بيان هل تجوز لله ﷻ أن يعذب بغير ذنب؟

ذهب أهل البدع من الجبرية وغيرهم، إلى أن الله ﷻ يجوز له أن يعذب بغير ذنب، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بمثل الحديث المذكور .

حتى قال السفاريني رحمه الله:

من غير ما ذنب ولا جرم جرى

وجاز للمولى يعذب الورى

لأنه عن فعله لا يسأل

فكل ما منه تعالى يجمل

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٧)، وأبو داود (٤٦٩)، ولكن بلفظ أخصر منه. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح

السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٣٥٠).

بيان تحريم الظلم

فإن يثب فإنه من فضله وإن يعذب فبمحض عدله
والحديث وما كان في بابه، معناه لو أن الله أخذ العباد، وجعل أعمالهم مقابلة
لنعمه، ومقاصة لها؛ لكانت نعم الله ﷻ أكثر.
ولكن الله ﷻ يكرم عباده، ويعفو، ويتجاوز عنهم؛ بكرمه، وجوده، وإحسانه،
وفضله العظيم.

قوله: «وَجَعَلْنَاهُ بَيْنَكُمْ وَمُحَرَّمًا» أي: في جميع الأديان، والملل.

فهو مما اتفقت على تحريمه الشرائع .

ففي المعجم الأوسط للإمام الطبراني (رحمته الله): من حديث جابر - (رحمته الله) - قال: «لَمَّا قَدِمَ
جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - (رحمته الله) - مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، تَلَقَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا نَظَرَ جَعْفَرٌ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَجَلَ إِعْظَامًا مِنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ،
وَقَالَ لَهُ: «يَا حَبِيبِي، أَنْتَ أَشَبُّ النَّاسِ بِخُلُقِي وَخُلُقِي، وَخُلِقْتَ مِنَ الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقْتُ
مِنْهَا، يَا حَبِيبِي، حَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ عَجَائِبِ أَرْضِ الْحَبَشَةِ» قَالَ: نَعَمْ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ فِي بَعْضِ طُرُقِهَا، إِذَا أَنَا بَعَجُوزٌ عَلَى رَأْسِهَا مِكَتَلٌ، وَأَقْبَلَ
شَابٌّ يَرْكُضُ عَلَى فَرْسٍ لَهُ، فَزَحَمَهَا، وَأَلْقَى الْمِكَتَلَ عَنْ رَأْسِهَا، فَاسْتَوَتْ قَائِمَةً،
وَاتَّبَعْتُهُ الْبَصَرَ، وَهِيَ تَقُولُ: الْوَيْلُ لَكَ غَدًا إِذَا جَلَسَ الْمَلِكُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَاقْتَصَّ
لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ. قَالَ جَابِرٌ - (رحمته الله) -: فَظَنَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ ﷺ وَإِنَّ
دُمُوعَهُ لَتَنْحَدِرُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِثْلَ الْجِمَارِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا قَدَسَ اللَّهُ أُمَّةً لَا
يَأْخُذُ الْمَظْلُومُ حَقَّهُ مِنَ الظَّالِمِ، غَيْرَ مُتَمَتِّعٍ»^(١).

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٥٥٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني (١٨١٦).

بيان أن دعوة المظلوم مستجابة:

دعوة المظلوم مستجابة، فليس بينها وبين الله ﷻ حجاب.

لما جاء في الصحيحين: من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرْدٌ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

وفي السنن: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٢).

وفي سنن الإمام ابن ماجه ﷺ: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرُدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣٦)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٨٦٢)، وحسنه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٣٥٨)، وأخرجه الترمذي (٣٥٩٨). وصحح الإمام الألباني ﷺ الشطر الأول منه في صحيح وضعيف السنن.

بيان تحريم الظلم

وفي المعجم الكبير للإمام الطبراني رحمه الله: من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه -، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١).

قوله: «فَلَا تَظَالَمُوا»: وهذا نهى من الله ﷻ، والنهي يقتضي التحريم، وهذا لفظ عام سواء كانت المظالم في الأموال أو الدماء أو غيرها.

والمظالم إن لم تؤد إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها سنودى إليه في الآخرة. ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّدَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ٨٤/ ٣٧١٨)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني رحمه الله، وفي

الصحيحة (٨٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١).

حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحِمِلَ عَلَيْهِ»^(١).

و تتمه حديث الباب: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٢).

قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ".

وهذا من أشرف الأحاديث التي رواها أهل الشام.



(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

بيان تحريم الغيبة

١٥٠٩ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «اتَّذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم الغيبة.

وحديث الباب يدل على تحريم الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره.

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

فجعل الله ﷻ المغتاب كالأكل من لحم الرجل الميت، وهذا مما يدل على حرمتها، والتحذير الشديد منها، وبشاعتها.

وقد سبق معنا في حديث المفلس كيف تؤخذ حسنات من يغتاب المسلمين يوم القيامة، ثم يطرح عليه من سيئاتهم والعياذ بالله ﷻ. وهي تعتبر من ظلم الأعراس.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

بيان تحريم الغيبة

وهي من الكبائر؛ للوعيد الذي جاء فيها؛ فإنها من أسباب عذاب القبر.

وجاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَزْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُسُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ، قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»^(١).

وفي سنن أبي داود رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه -، فخرج إلينا فجلس، فقال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْعَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»^(٢).

بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾^(١٣).

وأما من السنة: فالأحاديث السابقة، وحديث الباب الذي في سنن الإمام أبي داود رحمه الله: عن عائشة رضي الله عنها -، قالت: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود، وفي الصحيحة (٥٣٣). وهو في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٣٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود رحمه الله، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٥٥).

بيان تحريم الغيبة

مُسَدَّدٌ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنْ لِي كَذَا وَكَذَا»^(١).

وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على تحريم الغيبة إذا كانت لغير مصلحة شرعية.

فينبغي للإنسان أن يتحرز من هذه البلية العظيمة التي قل ما يسلم منها المؤمن.
قوله: «أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» أي: الغيبة المحرمة الممنوعة التي تحاسبون عليها عند الله ﷻ يوم القيامة.

قوله: «قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»: وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم في حال حياة النبي ﷺ يردون العلم إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ؛ لأنه هو المبلغ عن الله ﷻ، ولكن في الأمور الشرعية فقط.

أما في الأمور الغيبية، فلا يقال إلا الله ﷻ أعلم.
أما بعد موت النبي ﷺ فيقال الله أعلم، وهذا هو المعروف عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، سواء كان ذلك في الأمور الغيبية، أم في الأمور الشرعية.
وبعض أهل العلم يجيز أن يقال الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية حتى بعد موت النبي ﷺ.

لكن لم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم أن أحداً منهم قال ذلك بعد موت النبي ﷺ.

قوله: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ": وهذا ضابط الغيبة المحرمة.

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح

المستند للإمام الوادعي رحمه الله (١٥٩٤).

بيان تحريم الغيبة

كأن يقال فيه: بخيل، أو قصير، أو يمشى كمشيته إذا كان أعرج وهو يكره ذلك، أو يوصف بشيء هو يكرهه، أو غير ذلك مما يكون فيه ذم للمسلم.

قوله: «قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟» أي: إذا قيل في المسلم ما هو فيه، كأن يقال فيه: هو قصير، أو فلانة قصيرة، وهما فيهما القصر فعلاً، أو يقال فلانة غير جميلة، أو يقال فيه عور، أو فيها عيب في الخلقة، وهكذا.

قوله: "قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ»": فيين النبي ﷺ للصحابه رضي الله عنه أنه إن كان فيه ما يقال فيه، وهو حق، وصدق، ولكنه يكره أن يقال فيه ذلك، أو يوصف بذلك، فهذه هي الغيبة.

قوله: «وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتْهُ»: وبين النبي ﷺ أن الغيبة إذا لم تكن بحق، وصدق، وكان فيها الكذب، والمبالغة، وغير الحق، فهي من البهت .
لأنه جمع بين الغيبة والكذب .

فمن تكلم في أخيه بغير حق، يكون قد جمع بين كبيرتين كبيرة الغيبة، وكبيرة الكذب والبهتان .

يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ .

بيان حكم النميمة:

والنميمة محرمة في الشرع، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظام الآثام وهي أخت الغيبة.

ولكن النميمة: هي القالة بين الناس.

أي نقل الكلام من شخص إلى آخر من أجل الإفساد بينهم، أو من أجل زرع الخلاف والشقاق بينهم، أو من أجل التفريق بينهم، ولا سيما إذا كانوا جيران، أو أصدقاء، أو أخوة، أو غير ذلك.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: ^(١) من طريق هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُنْقَلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ يُنْقَلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذِيفَةُ - رضي الله عنه -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ».

والقنات: هو النمام.

وقد جاء مصرحاً به في رواية الإمام مسلم رضي الله عنه في صحيحه: من حديث حُذِيفَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْتُمِي الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذِيفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ».

فهذا الوعيد يدل على أن النميمة من كبائر الذنوب، ومن عظام الآثام. فصاحب النميمة متوعداً بعدم دخول الجنة، إما دخولاً أولياً، أو يحمل على الوعيد والزجر عن مثل هذا الفعل الخبيث الذي يفسد بين الناس، وربما يؤدي إلى القتال، وسفك الدماء، وغير ذلك من المفاسد.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

و النميّة من أسباب عذاب القبر:

ففي الصحيحين: من حديث ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-، قال: "مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَبْسَا»^(١).

وقد ذكرها الإمام المجدد في كتاب التوحيد في باب السحر دليل على أن التمام قد يفعل ما لا يفعله الساحر من الفساد والإفساد .



(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير

١٥١٠ - (وَعَنْهُ - ﷺ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير وما في بابه .

قوله: «لَا تَحَاسَدُوا» فيه: تحريم الحسد وأنه أيضًا من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وقد تقدم بيان حكم الحسد، وأضراره.

والحسد: هو تمنى زوال النعمة عن الغير.

وهو من أسباب تولد الحقد بين المسلم وأخيه، ومن أسباب الكراهة، والبغضاء بين المسلمين.

قوله: «وَلَا تَنَاجَشُوا» والنجش: هو الزيادة في ثمن السلعة دون قصد الشراء، وإنما لقصد الإضرار بالغير.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

فهو نوع من أنواع البيوع المحرمة؛ لأنه يدخل على الناس في أسعارهم الزيادة في الثمن دون قصد الشراء منه .

فيشتريها المشتري بثمان زائد على سعرها، وهذا فيه حيلة، وأذية للمسلمين.

بيان حكم النجش:

والنجش لا يجوز، بل هو محرم لنهي النبي ﷺ عنه كما في هذا الحديث، وفي غيره من الأدلة.

وكل شيء فيه أذية وضرر على المسلمين؛ فهو محرم.

ورواية أخرى في الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا...»^(١).

بيان الفرق بين النجس والنجس:

قيل: بأن التجسس: يكون في السر.

والتحسس: يكون في الأمور العلنية.

يقول الله ﷻ: ﴿يَبْنَئِ أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

بيان حكم النجس والنجس:

وكلاهما لا يجوز، بل هما من الأمور العظيمة الذي نهى النبي ﷺ؛ لما فيهما من

كشف عورات المسلمين، وفضحهم.

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

والنبي ﷺ حث ورغب في الستر على المسلمين، وبين أن من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله ﷻ في الدنيا وفي الآخرة.

بيان حكم النجس على المسلمين للكفار والمشركين:

والتجسس على المسلمين لصالح الكفار والمشركين يوجب قتل صاحبه أما ردة وإما حداً.

ففي الصحيحين: من طريق عبيد الله بن أبي رافع، قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ، وَالْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، -، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بَنَا خَيْلَنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ صَدَقَكُمُ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ

لَكُمْ^(١).

• **والشاهد:** أن النبي ﷺ لم ينكر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادة قتله. ولكن بين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن حاطبًا رضي الله عنه من أهل بدر، وأنه من الصحابة رضي الله عنه، وأن أهل بدر قد شملهم الله ﷻ بمغفرته؛ حتى أن أحدهم لو وقع في ذنب من الذنوب؛ فإنه يوفق للتوبة منه، أو أنهم يوقفون لعدم الوقوع في الذنب أصلاً. وجاء في رواية أخرى في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَلَا تَنَافَسُوا»^(٢).

بيان حكم التنافس:

والتنافس في أمور الآخرة، والمصارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى القربات، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، من الأمور المطلوبة من المؤمن، والتي تدل على كمال إيمانه، وعلى عظم يقينه بربه سبحانه وتعالى.

ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿خَتَمُهُ، مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾^(٣).

وأما ما جاء من النهي عن التنافس، فهو التنافس في أمور الدنيا الذي تسبب للمسلمين سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، والشحناء، والبغضاء، والكراهية، والغل، والحسد، والحقد، وغيرهما من الأمراض. فالتنافس في أمور الدنيا، والأمور المحرمة: من جمع الأموال ولو من غير حلها، ومن التباهي بالمساكن، وبالسيارات، وأمور الدنيا.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٣).

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»^(١).

قوله: «وَلَا تَبَاغَضُوا» التباغض: هو تنافر القلوب الذي يؤدي إلى تدابر الأبدان، وإلى الأعراض فيما بين المسلمين مع بعضهم بعضاً.

قوله: «وَلَا تَدَابَرُوا» والتدابير: يكون في الأبدان، كما أن التباغض يكون في القلوب، وكلاهما محرم وكبيرة.

قوله: «وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»: لما يورث من الشحناء والبغضاء، والفرق بين هذا البيع والنجش أن البيع على بيع الأخ يريد الشراء، والنجش لا يريد الشراء، إنما يريد رفع ثمن السلعة، وكلاهما يجر إلى مفاسد دينية ودنيوية. فالواجب على المسلم أن يعامل المسلمين بما يحب أن يعامل به، وأن يحب للمسلمين من الخير ما يحب لنفسه، وأن يكره لهم من الشر ما يكره لنفسك.

قوله: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»: وهذا إجمال بعد تفصيل، فالواجب على المسلمين أن يكون عباد الله ﷻ إخواناً فيما بينهم في جميع شأنهم.

وأن لا يتسببوا بضعف هذه الأخوة الإسلامية بأي عمل من الأعمال التي تتسبب

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

في الشقاق، والمخاصمة، والبغضاء، والغل، والحسد، والحقد، والأمراض القلبية التي تضعف من قوة المسلمين.

قوله: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ».

و يكون الأخ عونًا لأخيه: في أمور دنياه، وأمور دينه، وأمور آخرته.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

فهذه أخوة الدين الذي أثبتها الله ﷻ في كتابه، وأثبتها النبي ﷺ في سنته والأخ مع أخيه يكون في شأنه كله على أحسن حال.

وفي الصحيحين: من حديث أبي موسى -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(١). "وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ".

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٢).

قوله: «لَا يَظْلِمُهُ»: فلا يجوز للمسلم أن يظلم أخيه المسلم في نفسه، ولا في ماله، ولا في عرضه، لقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ» أخرجه مسلم، وقد تقدم بيان فساد الظلم ومضرته الدنيوية والأخروية.

قوله: «وَلَا يَخْذُلُهُ»: ولا يجوز للمسلم أن يخذل أخيه المسلم في رفع المظلمة عنه من أخيه المسلم الذي اعتدى عليه، وهو قادر على رفع المظلمة عنه.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، مسلم (٢٥٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»^(١).

وجاء الحديث في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جابر رضي الله عنه، قال: "اقتتلَ غُلامانِ غُلامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوْ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا دَعَايَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا أَنَّ غُلامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، قَالَ: «فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْتَهْ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»^(٢).

قوله: «وَلَا يَحْقِرْهُ» أي: لَا يَحْتَقِرْهُ فَلَا يُنْكِرْ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَصْغِرْهُ.

سواء كان المسلم ضعيفاً، أو فقيراً، أو جاهلاً، أو وضعياً ليس له أسرة تحميه، أو غير ذلك، فالمسلم قوي بأخيه المسلم، فلا يجوز الاحتقار له بأي وجه من الوجوه.

فالتقوى ميزان التفاضل بين الناس عند الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾، والمؤمن خير من ملء الأرض من الكفار، والمشركين، والملحدين، والمنافقين الاعتقاديين، ومن إليهم.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٤).

ففي صحيح الإمام البخاري: من حديث سَهْل بن سعد الساعدي رضي الله عنه -، قَالَ: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»^(١).

قوله: «التَّقْوَى هَا هُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ» ففي الصحيحين: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٢).

قوله: «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ» أي: يكفي الإنسان أن يكون شره احتقار المسلم، فكيف إذا ضربه أو شتمه أو انتهك عرضه .

قوله: «أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»: فذكر النبي ﷺ الاحتقار؛ حتى ينبه على أن ما فوقه .

قوله: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»: فلا يجوز ظلمه في عرضه: بقذفه، وسبه، وشتمه، ولا يجوز ظلمه في ماله: بأخذ ماله، أو بسرقة، ولا يجوز ظلمه في دمه: بقتله، أو جرحه، فالمسلم محرم على أخيه المسلم، فلا يجوز له

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).



أن يفعل به شيء يتأذى منه.

وحق الحديث أكثر من هذا، ولكن هذه إشارة تغني عن كثرة العبارة.

والحمد لله رب العالمين



الاستعاذة من منكرات الأخلاق

١٥١١ - (وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان منكرات الأخلاق .

قوله: «قطبة بن مالك»: هو قُطْبَةُ بْنُ مَالِكٍ الثَّعْلَبِيُّ وَيُقَالُ الثَّعْلَبِيُّ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَيُقَالُ الذِّبْيَانِيُّ كُوفِي رَوَى عَنْهُ زِيَادُ بْنُ عِلَاقَةَ يُقَالُ هُوَ عَمَّ زِيَادُ تَوْفَى فِي حُدُودِ السُّتَيْنِ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -»: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «يَقُولُ» أي: يقول هذا في دعائه ﷺ.

قوله: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي» أي: باعد بيني وبين هذه الأمور المذكورة .

قوله: «مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ» أي: سيء الأخلاق .

وهي كل خلق يخالف ما جاء بالكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

وهي صفات ذميمة فيها تعدي حق الخالق، حق المخلوق.

فالمنكر: كل ما أنكره الشرع .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٥٩٤)، والترمذي (٣٥٩١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف

الترمذي (٣٥٩١)، وفي المشكاة (٢٤٧١)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٠٨٤).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، وأهديني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت...»^(١).

فكان النبي ﷺ يدعو الله ﻋﻠﻴﻪ أن يهديه إلى أحسن الأخلاق .

كما يدعو أن يجنبه منكرات الأخلاق، وهذا تعليم للأمة وللحاجة إلى ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ " ، فالإنسان بخلقه في الدنيا والآخرة، والأخلاق منها الجبلي والمكتب، كما تقدم، ومنها أعظم أسباب حصول المطلوب الدعاء وأشمله ما دل عليه هذا الحديث .

قوله: «وَالْأَعْمَالِ» أي: النبي ﷺ دعا ربه أن يجنبه منكرات الأعمال: سواء القولية، أو الفعلية، أو الاعتقادية، إذ أن الأعمال تكون بهذه الجوارح فقول أهل السنة في الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح ، فمن أعمال القلوب السيئة سوء الظن، والحسد، والحقد، ونحو ذلك، ومن أعمال اللسان: السب، والشتم، والكذب، ومن أعمال الجوارح: السرقة، والقتل، ونحو ذلك .

فتضمن هذا الدعاء الاستعاذة من كل سيء من الأعمال .

قوله: «وَالْأَهْوَاءِ»: ودعا النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى أن يجنبه أيضًا منكرات الأهواء.

والأهواء: هي التي تهوي بصاحبها إلى البدع، والمحدثات، والخرافات، وربما أوصلته إلى الشراكيات والعياذ بالله ﻋﻠﻴﻪ .

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

الاستعاذة من منكرات الأخلاق

يقول الله ﷻ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠).

ويقول الله ﷻ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

• ويدخل في الاستعاذة من الأهواء الاستعاذة من البدع والشركيات، وما في بابها، فكم أفسدت الأهواء من عقائد الناس ومعايشهم، بل ودنياهم وأخراهم.

وفي حديث معاوية بن أبي سفيان، عند أبي داود (٤٥٩٧) أنه قام فينا، فقال: ألا إن رسول الله - ﷺ - قام فينا، فقال: "ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة - زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما: - وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه - وقال عمرو: "الكلب بصاحبه - لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله".

وفي سنن الدارمي (١ / ٢٣١): عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، قَالَ: "إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الصَّلَاةِ، وَلَا أَرَىٰ مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرَّبَهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَتَّحِلُ قَوْلًا أَوْ

قَالَ: حَدِيثًا فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرَ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ فَطَرَفُوا مِنْهُنَّ فَأَخَذُوا بِهِمْ وَقَبِيحُ الْفَعْلِ عَصَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُتَوَكَّلَ عَلَى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَمَا إِلَهُكُمْ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥]، ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [التوبة: ٦١] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ " وأخرج الدارمي (١ / ٣٤٤): عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: " مَا أَذْرِي أَيُّ النِّعَمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ ".

• ومن أعظم وقوع المرء في الهوى مجالسة أهله، وكان طريق السلف ما قال أبو قلابه: « لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ » أخرجه الدارمي (٤٠٥) .

قوله: «وَالْأَدْوَاءُ» والأدواء: الأمراض والأسقام التي تؤذي الإنسان.

وربما لا يجد لها دواء، أو يكون لها دواء ولا يستطيع أن يتوصل إليه لسبب، أو لغيره.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله وغيره: من حديث أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجَذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ

الأسقام^(١).

فالإنسان عليه أن يلجأ إلى الله ﷻ في دفع الشر قبل أن يقع به، وفي رفعه إذا وقع ونزل به، والله المستعان .



(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٥٤٩٣)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (٢٩).

بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد

١٥١٢ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَارِزْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفْهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ).

الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان النهي عن المراء والجدال.

وفي حديث الباب تحريم إخلاف الوعد بدون عذر شرعي.

مع أن حديث الباب لم يثبت، ويغني عنه أدلة أخرى ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٢).

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (١٩٩٥) بإسناد ضعيف، من طريق ليث بن أبي سليم، ضعيف ومختلط. وضعفه الإمام

الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي (١٩٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

بيان حكم المراء بين الأخوة:

وفيه النهي عن المراء والجدال.

والحديث ضعيف، ولكن تغني عن أدلة أخرى فإن كان الماء في القرآن ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»^(١).

المراد به: المراء والجدال في القرآن الذي قد يوصل صاحبه إلى الكفر، حيث أنه قد ينكر بعض ما جاء فيه .

فإذا كان المراء يؤدي إلى رد القرآن، أو رد بعض آياته، أو إلى تحريف معاني القرآن والسنة فهو باطل أما إن كان سيؤدي إلى إظهار الحق؛ فهذا محمود .

ففي سنن أبي داود رحمه الله أيضًا: من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(٢).

قوله: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ»: على ما سبق أي لا تجادله مجادلة تؤدي بك، أو تؤدي به إلى الوقوع في الباطل، أو رد الحق .

قوله: «وَلَا تُمَارِضْهُ» أي: لا تمازح بمزاح يؤدي إلى أذيته .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٣)، وقال الإمام الألباني رحمه الله فيه: حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رحمه الله - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لَاعِبًا أَوْ جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيُرُدَّهَا إِلَيْهِ»^(٢).

قوله: «وَلَا تَعِدُهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ»: يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ [التوبة: ٧٥-٧٨]..

والله المستعان



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٤٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٦٠)، وأبو داود (٥٠٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن. وفي الإرواء

(١٥١٨). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٢٠٢).

ذم البخل وسوء الخلق

١٥١٣ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان ذم البخل وسوء الخلق.

والحديث ضعيف في سنده صدقة بن موسى الدقيقي ضعيف، وعلى فرض ثبوته يكون معناه: المؤمن كامل الإيمان لا يكون بخيلاً، ولا ذا خلق سيء .
إذ أن المؤمن قد يكون عنده نوع بخل، وقد يكون فيه سوء خلق.
قوله: «خَصْلَتَانِ» أي: خلتان.

قوله: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ»: خبر يراد به النهي أي ينبغي أن لا يجتمعان في المؤمن .

قوله: «الْبُخْلُ»: فالبخل صفة ذميمة لا تليق بمؤمن، إذ أنه من صفات المنافقين، واليهود ومن إليهم .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٦٢) وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى»، وهو الدقيقي،

ضعيف. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي (١٩٦٢).

ذم البخل وسوء الخلق

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ^(١).

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله: من حديث جابر رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قُلْنَا: جُدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَحِّلُهُ، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»، وَكَانَ عَمْرُو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُؤْلِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَزَوَّجَ^(٢).

قوله: «وَسُوءُ الْخُلُقِ» أي: سيء الأخلاق، وقد تقدم ذكر بعضها.

فينبغي للمسلم أن يلازم الأخلاق الحسنة، وأن يكتسبها اكتساباً إذا لم تكن فيه جيلة.

وقد كان النبي ﷺ كما سبق يدعو الله ﻋﻠﻴﻪ أن يهديه لأحسن الأخلاق.

والله أعلم.



(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد

(٢٩٦/٢٢٧). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٢٢٦).

بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين

١٥١٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان النهي عن السب.

قوله: «الْمُسْتَبَانِ»: سواء كانوا من الرجال، أو النساء، أو كانوا من الرجال والنساء فيما بينهم.

وحديث الباب فيه النهي عن السب، وأنه من المحرمات؛ لأنه ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

قوله: «مَا قَالَا» أي: من الأقوال التي فيها السب، والشتم، وفيها التعدي على العرض، أو النفس، أو المال.

قوله: «فَعَلَى الْبَادِي» أي: يكون الإثم على من بدأ في السب، والشتم، والاعتداء.

قوله: «مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»: فإذا حصل من المظلوم التجاوز والاعتداء.

فالاعتداء: قد يكون قولاً، أو فعلاً.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾^(١١٠)، ويقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٤٨٧).

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾

📖 قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦ / ١٤١): الْمُسْتَبَانَ مَا قَالَا فعلى البادئ مالم يعتد المظلوم) معناه أَنَّ إِثْمَ السَّبَابِ الْوَاقِعِ مِنْ اثْنَيْنِ مُخْتَصَّصٍ بِالْبَادِئِ مِنْهُمَا كُلُّهُ إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ الثَّانِي قَدْرَ الْإِنْتِصَارِ فَيَقُولَ لِلْبَادِئِ أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ لَهُ وَفِي هَذَا جَوَازُ الْإِنْتِصَارِ وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ وَقَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ دَلَالُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ وَقَالَ تَعَالَى وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَمَعَ هَذَا فَالصَّبْرُ وَالْعَفْوُ أَفْضَلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلِلْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ بَعْدَ هَذَا مَازَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَابَ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ كَمَا قَالَ ﷺ سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَلَا يَجُوزُ لِلْمُسْبُوبِ أَنْ يَنْتَصِرَ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَّهُ مَالِمَ يَكُنْ كَذِبًا أَوْ قَذْفًا أَوْ سَبًّا لَأَسْلَافِهِ فَمِنْ صُورِ الْمُبَاحِ أَنْ يَنْتَصِرَ بِيَا ظَالِمٍ يَا أَحْمَقُ أَوْ جَافِي أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَنْفُكُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ قَالُوا وَإِذَا انْتَصَرَ الْمُسْبُوبُ اسْتَوْفَى ظُلَامَتَهُ وَبَرَّيَ الْأَوَّلَ مِنْ حَقِّهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِثْمُ الْإِبْتِدَاءِ أَوْ الْإِثْمُ الْمُسْتَحَقُّ لِلَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ يَرْتَفِعُ عَنْهُ جَمِيعُ الْإِثْمِ بِالْإِنْتِصَارِ مِنْهُ وَيَكُونُ مَعْنَى عَلَى الْبَادِئِ أَيُّ عَلَيْهِ اللَّوْمُ وَالذَّمُّ لَا الْإِثْمُ . اهـ

والله أعلم



بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين

١٥١٥ - (وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين.

قوله: «عن أبي صرمة»: هو قيس بن مالك بن أنس الأنصاري أبو صرمة هو مشهور بكنيته واختلف في اسمه قيل قيس بن مالك وقيل مالك بن قيس روى عنه ابن محيريز ولؤلؤة ومحمد بن كعب القرظي وفي حديث الباب: النهي عن مضارة المسلم، والنهي عن إدخال المشقة عليه، وتحريم ذلك.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من يفعل ذلك بأن الله ﷻ يجازيه من جنس عمله. ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله وغيره: من حديث ابن عباس - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»^(٢).

وهذا الحديث يعتبر قاعدة من قواعد الدين العظيمة التي جاء بها؛ لحماية أعراض

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٠)، بسند ضعيف، فيه لؤلؤة مجهولة. وحسنه الإمام الألباني

رحمه الله في الإرواء (٨٩٦) بشواهد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (٨٩٦).

الناس، وأموالهم، ودمائهم، وأنفسهم، وعقولهم، ودينهم.

فقد جاء ديننا الإسلامي بحماية الضروريات الخمس: "الدين، والنفس، والمال، والعرض، العقل".

فلا يجوز للمسلم أن يضر بنفسه، ولا يجوز له أن يضر بغيره، وهذا من أحسن ما فسر به هذا الحديث من كلام أهل العلم، وله تفاسير كثيرة.

قوله: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ» أي: من أدخل الضرر على المسلمين، أو تسبب في ذلك قاصدًا للأذية عليهم، فإن جزاءه سيكون من جنس عمله فالله ﷻ سيشق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

قوله: «وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»: وهذا فيه أن الجزاء من جنس العمل، ومن تسبب في إدخال المشقة على المسلمين، وتعمد ذلك، وقصد الأذية فإن الله ﷻ سيشق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

فليحذر المسلم على نفسه من أن يتسبب في إضرار المسلمين، وإدخال المشقة على المسلمين.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَ الْبَعِيرِ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي



شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن

١٥١٦ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يُغْضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ).

١٥١٧ - (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - رَفَعَهُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ، وَلَا اللَّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»^(٢). وَحَسَنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَفَقَّهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الفحش والبذاءة في الكلام.

وأحاديث الباب تدل على تحريم ذلك.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتُ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: "أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"^(٣).

وأخرجه بلفظ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ» "وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢)، وفي سنده يعلى بن مملك مجهول حال، وله شواهد. وصححه الإمام الألباني

رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي (٢٠٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٧) والحاكم (٢٩) وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح

وضعيف الترمذي (١٩٧٧)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٨٢٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٦٥).

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ".

قوله: «أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: وهو عويمر الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ» فيه: إثبات صفة البغض لله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين، ولا تماثلهما، ولا تكيف، ولا تحرف، ولا تعطل.

يقول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦).

ونثبت لله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صفة الكراهية، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف.

ويقول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كِبْرَمَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ [الصف: ٢-٣]..

وكذلك نثبت لله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صفة المقت، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكيف.

والمقت: أشد الكراهة .

قوله: «الْفَاحِشُ الْبَذِيءُ».

الفاحش: في فعله.

والبذيء: بلسانه، وقوله.

والفحش: هو كل ما عظم فحشه وقبحه في الشرع، واللغة، والعرف.

وذكر المصنف هذه الأحاديث للتحذير من مساوئ الأخلاق.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة رضي الله عنها أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: "اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اُذْنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَأَنْتَ لَهُ الْكَلَامُ؟ قَالَ: «أَيُّ عَائِشَةَ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتَّقَاءَ فُحْشِهِ»^(١).

وقد أشار المصنف رحمه الله في هذا الباب مع صغره إلى عشرات المساوئ. والحمد لله رب العالمين.

قوله: «وَلَهُ» أي: للحاكم في مستدركه

«مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَفَعَهُ-» أي: إلى النبي ﷺ

قوله: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ» فيه: تحريم الطعن في المسلمين .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه-، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ" وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»^(٢).

وقد جاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣٤).

فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَةُ اللَّهِ رَدْعَةُ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ^(١).

وجاء تفسير ردغة الخبال بأنها عصارة أهل النار.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من طريق ابنِ الدَّيْلَمِيِّ، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْعَةِ الْخَبَالِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدْعَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عُصَاةُ أَهْلِ النَّارِ»^(٢).

قوله: «وَلَا اللَّعَانُ» أي: كثير اللعن، ويراد به الطرد والإبعاد عن رحمة الله ﷻ.

بيان حكم اللعن بالنعين:

وحديث الباب فيه النهي عن اللعن بالعين .

وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى تحريم اللعن المعين الحي: سواء كان الملعون مسلمًا أو كافرًا؛ لأنه دعاء بالطرد وبالإبعاد عن رحمة الله ﷻ.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه في حق المسلم العاصي يكون دعاء بالطرد

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٨٦).

المؤقت.

وقد بسطت القول في ترجيح هذه المسألة في كتابي: "فتح الوهاب في شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب".

بيان حكم اللعن بالوصف:

وأما اللعن بالوصف، فهو جائز؛ للزجر من الأفعال القبيحة.

فنقول: لعنة الله على الكاذبين، والظالمين والكافرين، والقرآن مليء بمثل هذا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا

وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ

وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

الْكَاذِبِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى

الْكَاذِبِينَ﴾ إلى غير ذلك.

والنبي ﷺ قد لعن في الخمر عشرة.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَمْرِ عَشْرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكَلَ ثَمَنَهَا، وَالْمُشْتَرِيَ لَهَا، وَالْمُشْتَرَاةَ لَهَا»^(١).

ولعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والفالجة .

ففي الصحيحين: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغْيِرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ». فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتَ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَادْهَبِي فَاَنْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَظَرَّتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا"^(٢).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ

(١) أخرجه الترمذي (١٢٩٥)، وابن ماجه (٣٣٨١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح. وصححه في صحيح وضعيف ابن ماجه. وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»^(١).

ففي الصحيحين: من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَتْ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»^(٢).

وجاء في الصحيحين: من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَعَنَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَمِصَّاتِ

وفي مسلم: من طريق زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٤).

قوله: «وَلَا الْفَاحِشَ»: ولا يجوز أيضًا الفحش ويكون الفحش في الأفعال.

قوله: «وَلَا الْبَذِيءَ»: وتكون البذاءة باللسان: أي في الأقوال.

والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٣٦)، ومسلم (٢١٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٩٩).

بيان تحريم سب الأموات لغیر مقصد شرعي

١٥١٨ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم سب وشم الأموات لغیر مقصد شرعي.

وفي لفظ للإمام الترمذي رحمه الله في سننه: من حديث المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ»^(٢).

وحديث الباب، ومع حديث المغيرة بن شعبة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، فيهما تحريم سب الأموات؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

ولما فيه من الأذية على أقربائهم الأحياء، وأذيه المسلم محرمة .

بيان سب النبي صلى الله عليه وسلم عن سب الأموات:

ونهى النبي ﷺ عن سب الأموات لأمر:

الأول: أنهم قد أفضوا إلى ما قدموا من العمل .

الثاني: أنهم عاجزون عن الرد عما قد يتهموا به من الأقوال، ومن الأفعال.

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١١٣٤).

الثالث: أن في سبهم أذية لأقربائهم من الأحياء، كما جاء في حديث المغيرة بن

شعبة رضي الله عنه.

بيان حكم السب:

السب من أصله محرم، ولا يجوز؛ لما فيه من أذية على المسلمين .

بل هو من الفسوق، **ففي الصحيحين:** من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ

صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(١).

ولو تأملنا ما عليه حال أكثر المسلمين اليوم، ولا سيما في وسائل التواصل

الاجتماعي: من الفيسبوك، والوتساب، والتلجرام، وغير ذلك.

نجد أنهم يسبون الأموات، والأحياء، ويخالفون مثل هذه الأحاديث، ولا يبالون

في ذلك.

ويعيرون الأبناء بما فعله آبائهم، وهذا من الظلم؛ لأن الإنسان وإن فعل الفعل

القبیح، أو المعصية؛ فإن ولده لا دخل له في فعل أبيه؛ إلا إذا كان فعله مثل فعل أبيه.

بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، ولا لأموات، ولا لأحياء:

وليس من سب وشم الأموات والأحياء جرح أهل البدع، والتحذير من بدعهم،

ومخالفتهم لدين الله ﷻ.

بل هذا فيه النصح للأمة؛ حتى لا يقعوا في مثل ما وقع به أهل البدع والمحدثات،

وأهل الفسق، والمعاصي.

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

ومن يجرح أهل البدع لا يسبهم، أو يشتمهم، وإنما يبين حالهم في الدين، وما كانوا عليه حتى يحذر من فعلهم، وبدعهم، ومخالفتهم لدين الله ﷺ.

وما يزال أهل العلم يتكلمون فيمن مضى من رواة الحديث، والآثار، وفي أصحاب البدع والأهواء والمحدثات.

ممن كان كذاباً، أو متهمًا بالكذب، أو ممن كان مبتدعًا ويدعو إلى بدعته، أو ممن كان ضعيفًا سيء الحفظ، أو غير ذلك.

قوله: «لا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ»: هذا هو الأصل في تحريم سب الأموات، فلا يجوز.

إلا ما كان من تبين حال أهل البدع والمحدثات حتى يحذرهم الناس .

قوله: «فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» أي: حال الأموات أنهم قد وصلوا إلى المجازاة على أعمالهم، فلا حاجة لذكرها.



بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر

١٥١٩ - (وَعَنْ حُذَيْفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان تحريم النميمة.

حديث الباب يدل على تحريم النميمة، وأنها من كبائر الذنوب وعظائم الآثام؛
للعيد المذكور في الحديث.

والنميمة خلق سيء، تؤدي إلى قطع أواصر الإخاء، والمحبة، والألفة بين
المسلمين.

وقد تؤدي إلى سفك الدماء بين الناس .

ولذلك قرن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النميمة بالسحر في كتابه
التوحيد.

وقد قيل: يفعل النمام ما لا يستطيع أن يفعله ألف ساحر.

والنمام: هو الذي ينقل الكلام من قوم إلى قوم للإفساد بينهم.

فيجب على المسلم أن يصون نفسه عن مثل هذه الأخلاق الذميمة السيئة.

التي لا يتصف بها الكرماء من الناس .

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

بيان أن الغيبة أهون من النميمة:

والغيبة مع أنها من الكبائر؛ إلا أنها أهون من النميمة في الشر؛ لأنها قد تقتصر على إنسان بعينه، فيذكر ما فيه من الشر.

بخلاف النميمة، فإنها قد ينقل الكلام من قوم إلى قوم؛ وهذا الكلام كذب وزور، ولم يقع أصلاً؛ حتى يفسد بينهم، ويزرع بينهم العداوة، والشحناء، والحقد، والغل، وربما تطور بهم الأمر إلى المضاربة، وإلى القتال والعياذ بالله ﷻ.

ومن أضرار النميمة أيضاً أنه قد يقع بسببها الطلاق بين الأزواج، ويقع الشر بين الأب مع أبنائه، والأخوة، والأقرباء، والجيران، والقبائل والعشائر، والمسلمين جميعاً.

و عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ مَا الْعِصَةُ؟ هِيَ النَّمِيْمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» أخرجہ مسلم.



بيان فضل كف الغضب

١٥٢٠ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»).

١٥٢١ - (وَلَهُ شَاهِدٌ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل كف الغضب.

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَعْدُونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُؤَلِّدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعْدُونَ الصُّرْعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرَّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٣٢٠)، بلفظ: «مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ

عَوْرَتَهُ»، وأبو يعلى (٤٣٣٨)، من طريق خالد بن برد، قال الذهبي في الميزان: "مجهول". والحديث قد

أنكر عليه. وفيه عبد السلام قال أبو حاتم: "ليس بالقوي"، وقال فيه عمرو بن علي الفلاس: "لا قطع على

أحد بالكذب إلا عليه". وضعفه العلامة الألباني رحمه الله في الضعيفة (٤٦٤٧)، وهو في الصحيحة (٢٣٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢١) من طريق هشام بن أبي إبراهيم، وهو مجهول.

(٣) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

عِنْدَ الْغَضَبِ^(١).

وجاء في معجم الطبراني الأوسط رحمه الله: من حديث ابنِ عمرَ - رضي الله عنه -: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ ﷻ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَإِنْ أَمْسَيْ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَغْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ ﷻ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَتَبَّهَا لَهُ أَتَبَّتْ لَهُ اللَّهُ ﷻ قَدَمَهُ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»^(٢).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث سهل بنِ معاذٍ، عَنْ أَبِيهِ معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»^(٣).

والحديث فيه مجهول الحال، وهو سهل بن معاذ، ولكن قد حسنه بعض أهل العلم.

فكل هذه الأحاديث فيها فضل كظم الغيظ لمن كان قادر على إنفاذه، وأنه له أجر

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٠٢٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٩٠٦)، وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١)، وابن ماجه (٤١٨٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.



بيان فضل كف الغضب



عظيم عند الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤) .



بيان الزجر الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة

١٥٢٢ - (وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمته الله هذا الحديث لبيان الذم الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٧٩): «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ (خَبٌّ) بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ مَفْتُوحَةً وَبِالْمُوحَدَةِ الْخِدَاعُ ... (وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ)، وَهُوَ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ الْمَمَالِكِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي عُقُوبَتِهِمْ، وَمِثْلُهُ تَرْكُهُ لِتَأْدِيبِهِمْ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ تَعْلِيمِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَغَيْرِهَا وَكَذَلِكَ الْبَهَائِمُ سُوءُ الْمَلَكَةِ يَكُونُ بِإِهْمَالِهَا عَنِ الْإِطْعَامِ وَتَحْمِيلِهَا مَا لَا تُطِيقُهُ مِنَ الْأَحْمَالِ، وَالْمَشَقَّةِ عَلَيْهَا بِالسَّيْرِ وَالضَّرْبِ الْعَنِيفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . اهـ



(١) أخرجه الترمذي (١٩٤٧، ١٩٦٤) وفيه فرق بن يعقوب السبخي «ضعيف».

بيان تحريم التجسس على المسلمين

١٥٢٣ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ تَسَمَعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، ضُبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي: الرَّصَاصَ»^(١)). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم التجسس على المسلمين .

قال الصنعاني في سبل السلام (٢ / ٦٧٩): لَفْظُ الْبُخَارِيِّ مَنْ اسْتَمَعَ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ مَنْ يُكْرَهُ سَمَاعُ حَدِيثِهِ وَيُعْرَفُ بِالْقَرَائِنِ أَوْ بِالتَّصْرِيحِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ وَمَعَهُ رَجُلٌ يَتَحَدَّثُ فَقُمْتُ إِلَيْهِمَا فَلَطَمَ صَدْرِي وَقَالَ: إِذَا وَجَدْتَ اثْنَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ فَلَا تَقُمْ مَعَهُمَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الْمُتَنَاجِينَ فِي حَالِ تَنَاجِيهِمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَلَا يَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ عَلَيْهِمَا الْقُعُودُ عِنْدَهُمَا وَلَوْ تَبَاعَدَ عَنْهُمَا إِلَّا بِإِذْنِهِمَا؛ لِأَنَّ افْتِتَاحَهُمَا الْكَلَامَ سِرًّا، وَلَيْسَ عِنْدَهُمَا أَحَدٌ دَلَّ عَلَى أَنََّّهُمَا لَا يُرِيدَانِ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ قُوَّةٌ فَهُمْ إِذَا سَمِعَ بَعْضَ الْكَلَامِ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى بَاقِيهِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرِّضَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْإِذْنِ حَيَاءٌ وَفِي الْبَاطِنِ الْكَرَاهَةُ وَيَلْحَقُ بِاسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ اسْتِنْشَاقُ الرَّائِحَةِ وَمَسُّ الثَّوبِ وَاسْتِخْبَارُ صِغَارِ

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٢).



بيان تحريم التجسس على المسلمين



الدَّارِ مَا يَقُولُ الْأَهْلُ، وَالْجِرَانُ مِنْ كَلَامٍ أَوْ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَمَّا لَوْ أَخْبَرَهُ
عَدُوٌّ عَنْ مُنْكَرٍ جَازَ لَهُ أَنْ يَهْجُمَ وَيَسْتَمَعَ الْحَدِيثَ لِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ. اهـ



بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره

١٥٢٤ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أهمية انشغال المرء بعيوبه عن عيوب الناس.

والحديث في مسند البزار بلفظ أطول من هذا: من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْحَرَانِي، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَرَّرِ الْأَزْدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ الْعُضْبَاءِ وَلَيْسَتْ بِالْجَدْعَاءِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّمَا نُشِيعُ مِنَ الْمَوْتِى سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٌ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ بُنُوتُهُمْ أَجْدَانُهُمْ وَنَأْكُلُ ثَرَانَهُمْ كَأَنَّكُمْ مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِيتُمْ كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمْتُمْ كُلَّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ، عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَتَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَجَانَبَ أَهْلَ الشُّكِّ وَالْبِدْعَةِ وَصَلَحَتْ عِلَانِيَتُهُ وَعَزَلَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

قال الصنعاني: سبل السلام (٢ / ٦٨٠): طُوبَى مَصْدَرٌ مِنَ الطَّيِّبِ، أَوْ اسْمٌ

(١) أخرجه البزار (٦٢٣٧)، بسند ضعيف، فيه النضر بن محرز. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة

شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّابِ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لِمَنْ شَغَلَهُ
النَّظَرُ فِي عُيُوبِهِ وَطَلَبَ إِزَالَتَهَا أَوْ السَّتْرَ عَلَيْهَا عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِذِكْرِ عُيُوبِ غَيْرِهِ
وَالْتَعَرُّفِ لِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنَ الْعُيُوبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَدِّمَ النَّظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ
يَعِيبَ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَرُدُّعُهُ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ. اهـ

قوله: «طوبى»: اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة.

ف قيل: هي شجرة في الجنة.

وهذا هو قول كثير من أهل العلم، ولكن الحديث الذي جاء في أن طوبى شجرة في
الجنة إلى آخره، لا يثبت.

وقيل: هي الجنة نفسها.

والمعنى أعم من ذلك، فكأن المعنى: من اتصف بهذا الوصف، فإن الله ﷻ
سيجعله من أهل الجنة، ومن أهل النعيم، ومن أهل الرضوان، ومن المتطيبين في
العيش.

يقول الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّا أَجْرُهُمْ﴾،
فكأن طوبى هي من أسماء الجنة، أو هي وصف لما في الجنة من النعيم ومن التطيب
في العيش، والخلو من المكدرات، والله أعلم.

قوله: «لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» أي: انشغل بإصلاح عيوب نفسه عن
عيوب الناس، بحيث أنه لا يغتاب أحداً من المسلمين، ولا ينم على أحد، ولا يسب،
ولا يشتم، ولا يسخر، ولا يستهزأ، ولا يفعل شيئاً من المحرمات.

ومع ذلك يجب على المسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويبذل



بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره



النصيحة لكل مسلم بقدر ما يستطيع: إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه وهذا هو أضعف مراتب الإنكار للمنكر.



بيان تحريم التعاضم، والاختيال

١٥٢٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن التعاضم في النفس، والاختيال في المشي واللباس ونحوه، وعن الكبر، وبيان أن كل ما ذكر من كبائر الذنوب؛ للوعيد المذكور في الحديث.

قوله: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ» أي: رأى نفسه عظيمًا عن قبول الحق، وعظيمًا على غيره.

مع أن الرفعة بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] **وقد أمر المؤمن بالنواضع.**

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، - رضي الله عنه - قَالَ: "قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضِعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ

(١) أخرجه الحاكم (١٩٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩). وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح

الأدب المفرد (٤٢٧/٥٤٩)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «وَاخْتَالَ فِي مَشْيِهِ» أي: تبختر وافتخر وتكبر على الناس.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا

﴿٣٧﴾

ويقول الله ﷻ مخبراً عن وصية لقمان الحكيم لولده: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ

أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٨١٩].

كما قال الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾.

قوله: «لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»: وهذا يدل على أن التعاضم في النفس،

والاختيال في المشي من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وفيه: إثبات صفة الغضب لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية.

على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا

تعطيل .

وفيه: إثبات الرؤية لله ﷻ؛ لأن اللقي يتضمن الرؤية لله ﷻ.

وفي ذم ذلك ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ

ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مَرَجَلٌ جَمَّتْهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ

يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(١).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي جريّ جابر بن سليم - رحمه الله -، قال: "وَأَرْفَعُ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أُبَيَّتْ فَلِإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ"^(٢).

فكل هذه الأدلة تدل على أهمية التواضع في النفس، وفي المشي، وفي اللبس، والهيئة، ونحو ذلك .

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ سُعُوبًا وَفَبَإِلِّ لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣).

فالتقوى هي ميزان التفاضل بين الناس عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا، والآخرة فكل ما كان العبد أتقى .
كان أفضل في الدنيا، والآخرة.



(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٨٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٩٦).

بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان

١٥٢٦ - (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان. الحديث له تتمه: ففي سنن الإمام الترمذي رحمته الله: من حديث سهل بن سعد الساعدي، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْأَنَاءُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». ثم قال رحمته الله: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عَبْدِ الْمُهِيمَنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ وَضَعْفَهُ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ.

وَالْأَشْجُ اسْمُهُ الْمُنْدَرُ بْنُ عَائِدٍ.

وجاء في مسند الإمام أبي يعلى رحمته الله: من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَمْدِ»^(٢).

وحديث الباب يشهد له وحديث أنس رضي الله عنه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٢) من طريق عبد المهيم بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن

جده، به. وعبد المهيم متروك. وضعفه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح وضعيف الترمذي (٢٠١٢).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٢٥٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمته الله في الصحيحة (١٧٩٥)، وفي صحيح الترغيب

والترهيب (٢٦٧٧).

وعلى كل فالمعنى صحيح، فالعجلة في أمور الدنيا من الشيطان .

يقول الله ﷻ: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (٣٧) .

• **وليست كل عجلة مذمومة**، فالمذموم منها ما كان في أمور الدنيا؛ لأن العجلة والطيش في الأمور الدنيوية يكون حليفه الفشل، والخطأ، وربما تقع المصائب على المستعجل أكثر من المتأن في أموره.

وأما في الأمور الأخروية، فإن العجلة والمسارعة والمسابقة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة مطلوبة من العبد المؤمن.

لأن الموت يأتي فجأة، فلهذا يجب عليه أن يستعد لذلك بالأعمال الصالحة التي ترضي الله ﷻ عنه، وتكون سبباً في نجاته من عذاب الله ﷻ، وسبباً في دخوله إلى جنة الله ﷻ.

يقول الله ﷻ مخبراً عن قصة موسى عليه السلام مع قومه: ﴿ وَمَا أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿ (٨٤) [طه: ٨٣-٨٤].

ويقول الله ﷻ: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٤٨) .

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ (١٣٤) [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَنَآ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضًا: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَالُ، والدُّخَانُ، ودَابَّةُ الْأَرْضِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ، وَخَوِصَّةٌ أَحَدِكُمْ»^(٢).

وقد أخرج الحاكم رحمه الله في مستدركه: من طريق قبيصة بن جابر الأسدي قَالَ: "كُنْتُ مُحْرِمًا فَرَأَيْتُ ظِيًّا فَرَمَيْتُهُ فَأَصَبْتُهُ، فَمَاتَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَاتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه - أَسْأَلُهُ، فَوَجَدْتُ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلًا أبيضَ رَقِيقَ الْوَجْهِ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه - فَسَأَلْتُ عُمَرَ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه -، فَقَالَ: تَرَى شَاءَ تَكْفِيهِ، قَالَ: «نَعَمْ»، فَأَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَ شَاةً، فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: صَاحِبُ لِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يُفْتِكَ حَتَّى سَأَلَ الرَّجُلَ، فَسَمِعَ عُمَرُ بَعْضَ كَلَامِهِ، فَعَلَّاهُ عُمَرُ بِالذَّرَّةِ ضَرْبًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ لِيَضْرِبَنِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَمْ أَقُلْ شَيْئًا، إِنَّمَا هُوَ قَالَهُ، قَالَ: فَتَرَكْنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَرَدْتُ أَنْ تَقْتُلَ الْحَرَامَ، وَتَتَعَدَّ بِالْفُتْيَا»، ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنه: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَشْرَةَ أَخْلَاقٍ، تِسْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَوَاحِدٌ سَيِّئٌ، وَيُفْسِدُهَا ذَلِكَ السَّيِّئُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِيَّاكَ وَعَشْرَةُ الشَّبَابِ»^(٣).

والله المستعان



(١) أخرجه مسلم (١١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨٢٣٩)، والحاكم في مستدركه (٥٣٥٥)، والبيهقي في الكبرى (٩٨٦٢).

بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق

١٥٢٧ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أن الشؤم سوء الخلق. والحديث في سننه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ولكن معناه صحيح. فسوء الخلق من الشؤم. ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالْدَّارِ»^(٢). فشؤم المرأة: في خلقها السيء. وشؤم الفرس: في نفورها، وعدم سهولتها في الركوب عليها. وشؤم الدار: في ضيقها على أهلها.

بيان الشؤم الحقيقي:

وليس التشاؤم بالنظر إلى وجه سيء الخلق، فهذا قد يكون من الطيرة المحرمة، والتي كان يفعلها أهل الجاهلية.

(١) أخرجه أحمد (٢٤٥٤٧) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وفيه انقطاع بين حبيب بن عبيد الحمصي

وعائشة. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٢).

بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا». "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ"^(١).
وإنما الشؤم في سوء تصرفه، وسوء فعله على من يخالطه، فإنه سيؤذيهم بكلامه،
وسوء تصرفه، وسوء خلقه، وغير ذلك من الأذية.
والله أعلم



(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.
وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٨٥٨).

بيان النهي عن كثرة اللعن

١٥٢٨ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شَفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن كثرة اللعن.

حديث الباب فيه النهي عن كثرة اللعن، ولا سيما إذا كان لغير حاجة، وإذا كان بنية الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

قوله: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ»: على صيغة المبالغة من كثرة اللعن.

قوله: «لَا يَكُونُونَ شَفَعَاءَ» أي: لأهل الكبائر من المسلمين.

قوله: «وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي: على غيرهم يوم القيامة كما هو حال المؤمنين أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي مثل هذا الزمان، كثير من الناس يلعن حتى نفسه، ويلعن زوجته، وسيارته، وأبناءه، وأقاربه، وجيرانه، وغير ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩).

بيان النهي عن كثرة اللعن

وربما لعن أصحابه الذي يجلسون معه من باب المزاح معهم، وهم لا يتضجرون من ذلك لجهلهم .

المهم على المؤمن أن يتخلق بالأخلاق النبيلة، ويكتسب تلك الأخلاق اكتساباً إذا لم تكن فيه متأصلة.

ويكون بالعلم ومجالسة العلماء، وطلبة العلم، والصالحين.
فيعود نفسه على أن لا يتلفظ إلا بالألفاظ الشرعية في غضبه، ورضاه .
وأن يتخلق بالأخلاق الحميدة التي بعث بها النبي ﷺ.



بيان النهي عن تعيير العاصي بذنبه

١٥٢٩ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ).

الشرح:

ساق المصنف رحمته الله الحديث لبيان النهي عن تعيير العاصي بذنبه الذي يعمل.

حديث الباب موضوع، ويغني عنه ما ثبت عن النبي ﷺ.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمته الله: من حديث ابنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفَضِّلِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

قَالَ: "وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنه - يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ»^(٢).

فالمسلم لا يعير غيره من أهل الذنوب والمعاصي، ولا سيما بعد التوبة منها،
فالتعيير يكون أشد إثمًا.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٥) من طريق خالد بن معدان، ولم يدرك معاذ بن جبل، وفي إسناده محمد بن

الحسن الهمداني «كذاب». وحكم عليه الإمام الألباني رحمته الله في الضعيفة (١٧٨) بالوضع.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وقال الإمام الألباني رحمته الله في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح.

بيان ما يقال عند رؤية المبلى؟

في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث عُمر - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَأَنَّمَا كَانَ مَا عَاشَ»^(١).

ويقول ذلك في نفسه؛ حتى لا يحزن صاحب البلاء.

وإن كان صاحب البلاء من أهل البدع والمعاصي فيقولها في نفسه؛ حتى لا ينفره عن السنة.

إلا إذا كان من أجل الزجر عن المعصية، أو عن البدعة، ورأى المصلحة في قولها له بصوت يسمعه حتى ينكف، فلا بأس بذلك.

فالمؤمن يسأل الله ﷻ العافية من مثل هذه الابتلاءات، والذنوب والمعاصي لا يسلم منها أحد، إلا من رحم الله ﷻ.

وإلا فالذنوب قد تطرأ على الإنسان بسبب شبهة، أو شهوة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

ذنب، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضًا: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

قوله: «لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ» أي: أنه بسبب معصية تعبير المسلم بالذنب، قد يتليه الله ﷻ بنفسه هذا الذنب فيفعله قبل موته .

فلهذا ينبغي لنا أن نتعد عن مثل هذا التعبير، وإنما نكون بين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة برفق وبلين، وهذا هو الأصل.
ونسأل الله ﷻ العافية وقد ألف ابن رجب رسالة في الفرق بين النصيحة والتعبير .



(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

بيان النهي عن الكذب في المزاح

١٥٣٠ - (وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيَلْ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي المزاح بالكذب.

لأن الكذب صفة ذميمة، وقد تقدم أنها تهدي إلى النار.

كما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَايَاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٢).

بيان بعض ما جاء عن النبي ﷺ في مزاحه وهو حق.

وقد أخرج الإمام البيهقي رحمه الله: من حديث عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا عَجُوزٌ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: إِحْدَى خَالَاتِي. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْعَجُزُ، فَدَخَلَ الْعَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً خَلْقًا آخَرَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاهِ غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٠) والنسائي في التفسير (١٤٦، ٦٧٥)، والترمذي (٢٣١٥)، بسند حسن، وحسنه

الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ . ثُمَّ قرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّا [ص: ٢١٧] أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥] (١).

وفي الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رحمه الله -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ أَبْنَاءُ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً» (٢).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رحمه الله -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جَعَادًا، مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ» (٣).

وقد ذكر الإمام أبي داود رحمه الله في سننه شيئاً من مزح النبي ﷺ.

ففي حديث أَنَسٍ - رحمه الله -، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ» (٤).

ومن حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ - رحمه الله -، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ آدَمَ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ: «ادْخُلْ» فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلْكَ» فَدَخَلْتُ (٥).

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٩٨).

(٣) أخرجه أحمد (٧٩٣٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٠٠).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٩٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

ومن حديث أنسٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ» ^(١).
فيجوز من المزاح ما كان حقاً .

وعلى المؤمن أن يتقي الله ﷻ في نفسه، فلا يكذب في مزاح، ولا في جده .
فالكذب محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب .

قوله: «وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ» .

📖 قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٨٣): الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ
الْكَذِبِ لِأَضْحَاكِ الْقَوْمِ، وَهَذَا تَحْرِيمٌ خَاصٌّ. وَيُحَرِّمُ عَلَى السَّامِعِينَ سَمَاعَهُ إِذَا
عَلِمُوهُ كَذِبًا؛ لِأَنَّهُ إِفْرَارٌ عَلَى الْمُنْكَرِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمُ النَّكِيرُ أَوْ الْقِيَامُ مِنَ الْمَوْقِفِ، وَقَدْ
عُدَّ الْكَذِبُ مِنَ الْكِبَائِرِ قَالَ الرُّوْيَانِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ كَبِيرَةٌ، وَمَنْ كَذَبَ فَصْدًا رُدَّتْ
شَهَادَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَضُرَّ بِالْغَيْرِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَقَالَ الْمَهْدِيُّ: إِنَّهُ لَيْسَ
بِكَبِيرَةٍ وَلَا يَتِمُّ لَهُ نَفْيُ كِبَرِهِ عَلَى الْعُمُومِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - أَوْ لِأَضْرَارِ
بِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ كَبِيرَةٌ وَقَسَمَ الْغَزَالِيُّ الْكَذِبَ فِي الْإِحْيَاءِ إِلَى وَاجِبٍ وَمُبَاحٍ وَمُحَرَّمٍ
وَقَالَ: إِنَّ كُلَّ مَقْصِدٍ مَحْمُودٍ يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ بِالصِّدْقِ، وَالْكَذِبُ جَمِيعًا، فَالْكَذِبُ
فِيهِ حَرَامٌ، وَإِنْ أُمِكنَ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ بِالْكَذِبِ وَحْدَهُ فَمُبَاحٌ إِنْ أُنتَجَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ
الْمَقْصُودِ، وَوَاجِبٌ إِنْ وَجَبَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ، وَهُوَ إِذَا كَانَ فِيهِ عِصْمَةٌ مَنْ يَجِبُ إِنْقَادُهُ،
وَكَذَا إِذَا خَشِيَ عَلَى الْوَدِيعَةِ مِنْ ظَالِمٍ وَجَبَ الْإِنْكَارُ، وَالْحَلْفُ وَكَذَا إِذَا كَانَ لَا يَتِمُّ
مَقْصُودُ حَرْبٍ أَوْ إِصْلَاحٍ ذَاتِ الْبَيِّنِ أَوْ اسْتِمَالَةُ قَلْبِ الْمَجْنُونِ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ
مُبَاحٌ، وَكَذَا إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ فَاحِشَةٌ كَالزَّنى وَشَرْبِ الْخَمْرِ وَسَأَلِ السُّلْطَانُ فَلَهُ أَنْ يَكْذِبَ

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح وضعيف أبي داود.

وَيَقُولُ مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَابِلَ مَفْسَدَةُ الْكَذِبِ بِالْمَفْسَدَةِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى الصِّدْقِ

فَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الصِّدْقِ أَشَدَّ فَلَهُ الْكَذِبُ، وَإِنْ كَانَتْ بِالْعَكْسِ أَوْ شَكَّ فِيهَا حُرْمُ الْكَذِبِ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِنَفْسِهِ اسْتَحَبَّ أَنْ لَا يَكْذِبَ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بغيرِهِ لَمْ تَحْسُنِ الْمُسَامَحَةُ بِحَقِّ الْغَيْرِ، وَالْحَزْمُ تَرْكُهُ حَيْثُ أُبِيحَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ الْكَذِبُ اتِّفَاقًا فِي ثَلَاثِ صُورٍ كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: لَمْ أَسْمَعْ بِرُخْصٍ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبِ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْكَذِبِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ الصُّورِ. أَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ مَرْفُوعًا: «الْكَذِبُ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الرَّجُلُ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لِيُصْلَحَ بَيْنَهُمَا، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ لِيَرْضِيَهَا بِذَلِكَ، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ»

(قُلْتُ): أَنْظِرْ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ لِاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ كَيْفَ حَرَّمَ النَّمِيمَةَ وَهِيَ صِدْقٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إِفْسَادِ الْقُلُوبِ وَتَوْلِيدِ الْعَدَاوَةِ، وَالْوَحْشَةِ وَأَبَاحَ الْكَذِبِ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا إِذَا كَانَ لِيَجْمَعَ الْقُلُوبَ وَجَلِبَ الْمَوَدَّةُ وَإِذْهَابِ الْعَدَاوَةِ. اهـ



بيان كفارة الغيبة

١٥٣١- (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَابَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ»^(١)). رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان كفارة الغيبة.

حديث الباب موضوع ، في سنده عنبيه بن عبد الرحمن القرشي متروك وعليه جماهير أهل العلم.

مع اختلاف أهل العلم إلى أقوال:

الأول: قال بعضهم: إن كان من اغتابه قد وصلت إليه الغيبة، فتطلب منه المسامحة، وتحلل منه.

الثاني: إن كانت لم تصل إليه الغيبة فلا تخبره بها فتجمع له بين الغيبة، وبين ما يضييق صدره .

لكن يستغفر له، ويذكره بالجميل .

الثالث: قال بعضهم: تستسمح منه مطلقا .

والقول الثاني هو المقدم، وعليه شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وابن كثير رحمه الله.

(١) أخرجه الحارث (١٠٨٠) وفي سنده عنبيه بن عبد الرحمن القرشي متروك، كما في الميزان. وكان يضع

الحديث. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (١٥١٩).

بيان كفارة الغيبة

وقد نقلناه في كتابنا: "شروط التوبة إلى الله"، عن بعض أهل العلم.
فهذا ليس تحللاً، وإنما هو سوء صنيع، وسوء فقه.
فالإنسان واجب عليه أن يستر نفسه، وغيره من المسلمين.
ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين

١٥٣٢ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصْمُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين.
حديث الباب يدل على تحريم الخصومة الشديدة والمبالغة فيها فيما بين المسلمين.

وأن الله ﷻ يبغض من هذا حاله .

وفيه: إثبات صفة البغض لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية على ما يليق بالله ﷻ،
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١) .

قوله: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ»: خرج مخرج الغالب، وإلا فإن الحكم واحد في حق الرجال، وفي حق النساء.

قوله: « الْأَلَدُ الْخَصْمُ ».

الألد الخصم: أي شديد الخصومة، والمبالغ فيها، فيما بينه وبين المسلمين.

والفجور في الخصومة من صفات المنافقين، كما تقدم .

فلا يجوز للمسلم أن يفجر في خصومته، بل يلزم الحق في الغضب والرضا .

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٨)، بل والبخاري (٧١٨٨).

وينبغي للمسلم أن يكون ليناً، متواضعاً، سهلاً، مع أخوته المسلمين.
وإن كان له حق يأخذ حقه بالطرق الشرعية بغير فجور ونحوه .
وعليه أن ينصف غيره من نفسه، وينصف نفسه من غيره، هذا هو خلق المؤمن
الذي يتخلق بأخلاق الشرع.

ففي مسند البزار رحمه الله: من حديث **عَمَّارٍ - رحمه الله** - : "ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ
الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ" ^(١).
وقد روي الحديث موقوفاً ومرفوعاً، والصحيح الوقف.
والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣٩٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في تحقيق الإيمان لابن تيمية موقوفاً على
عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

باب الترغيب في مكارم الأخلاق

شرح الشرح:

الترغيب: هو الحث والتحريض على الشيء.

ومكارم الأخلاق: أي الأخلاق الحميدة الممدوحة في الكتاب والسنة.

وأحسنها: أن تتخلق بالقرآن، وأن تتأسى بالنبي ﷺ، فلا أكمل من ذلك أبداً.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق حكيم وهشام بن عامر أنها دخلا على عائشة - رضي الله عنها -، فاستأذنا عليها، فأذنت لنا، فدخلنا عليها، فقالت: «أحكيم؟» فعرفته، فقال: نعم، فقالت: «من معك؟» قال: سعد بن هشام، قالت: «من هشام؟» قال: ابن عامر، فترحمت عليه، وقالت خيراً - قال قتادة: وكان أصيب يوم أحد - فقلت: يا أم المؤمنين أنبيئي عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: «ألست تقرأ القرآن؟» قلت: بلى، قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن»^(١)، وفي الصحيحين: من حديث أنس - رضي الله عنه -، قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً»^(٢).

وكان النبي ﷺ يحسن إلى القريب، والبعيد وكان لا يغضب لنفسه.

وكان ديدنه الرفق بالناس، بل قد أحسن ﷺ إلى المنافقين مع شدة ما إيذائهم له .

فكم أكرمهم ومع ذلك تمالؤا عليه .



(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

الأمر بلزوم الصدق

١٥٣٣ - (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان الدعوة إلى التحلي بالصدق ظاهرًا وباطنًا.

المراد بالصدق صدق الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩).

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥).

ويقول الله ﷻ: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

الأمر بلزوم الصدق

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١٠٠﴾ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾.

بيان أعظم الصدق:

والصدق له ثلاث مراتب:

الأولى: الصدق مع الله ﷻ بتوحيده، وإفراده بما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وهكذا لزوم طاعته وتقواه .

المرتبة الثانية: الصدق في متابعة النبي ﷺ، في جميع: "أقواله، وأفعاله، ومعتقداته".

المرتبة الثالثة: الصدق مع الناس في الأقوال، والأفعال، وفي جميع أنواع المعاملات .

قوله: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ» أي: الزموا الصدق في جميع شأنكم: في الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

وهذه الوصية خطب بها أبو بكر الصديق ﷺ لما تولى الخلافة.

قوله: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ» البر: اسم جامع لكل خير.

فالصدق يهدي إلى كل خير، وإلى كل طاعة، وإلى كل ما يحب الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة، والباطنة.

وإلى كل ما يصلح القلوب، والأقوال، والأفعال.

وإلى صلاح الظاهر، والباطن بإذن الله ﷻ.

وقد قال الله ﷻ في بيان البر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ

الأمر بلزوم الصدق

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

فالبر يشمل الخير كله، والدين كله، والطاعة كلها .

قوله: «وَأَنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»: فسبيل الجنة هو طاعة الله ﷻ في فعل ما أمر به، وفي ترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى.

وكما قيل:

تدري أخي أين طريق الجنة طريقها القرآن ثم السنة
وفيه: دليل على أن الجنة لا تُنال إلا بالعمل الصالح، وهو سبب من الأسباب في دخول الجنة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

ويقول الله ﷻ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصَّدْقَ»: وذكر الرجل خرج مخرج الغالب، وإلا فإن المرأة يشملها هذا الحكم.

وفيه: أن الصدق يكون بالتعود .

وفيه: تحري الصدق؛ فإن الإنسان قد يزل كلامه، ويخرج فيه عن الصدق.

قوله: «حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا» والصدق: من صيغ المبالغة، أي كثير الصدق: في كل قول، وفعل، ومعتقد.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠]..

قوله: «وَأَيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ» أي: احذروا الكذب، واجتنبوه.

قوله: «فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ» الفجور: اسم جامع لكل شر. فالكذب يهدي إلى الفجور، ويقود إليه .

ويكون الفجور في مخالفة الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، قولاً، وفعلًا، واعتقادًا.

وفي دعوة نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۚ إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَفْسُدُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْجَارًا كَفَّارًا ۚ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧]..

قوله: «وَأِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»: فالفجور طريق وسبيل إلى النار وبئس القرار، والعياذ بالله ﷻ.

وقد يكون الفجور بالشرك بالله ﷻ، وهذا أعظم الفجور على الإطلاق . وقد يكون بالبدع والمحدثات، وقد يكون بالكبائر والعظائم، وقد يكون بالمعاصي والخطايا والذنوب وهكذا .

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ»: وكذلك المرأة، فيشمليها

الحكم أيضًا.

قوله: « حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا »: وهذه أعظم فضيحة؛ أن المرء يكتب عند الله

﴿كاذبًا فيعيش عليها، ويموت عليها، ويبعث عليها .

وإذا كتب العبد كذابًا كان من المبعدين المقصيين، ولا سيما إذا كان كذبه في

الطاعات، والقربات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ .

كما قال الله ﷻ مخبراً: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

[المنافقون: ١-٣].



بيان أن سوء الظن أكذب الحديث

١٥٣٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن من حسن الخلق ترك الظن السيء.
وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، بما يغني عن الإعادة، والله المستعان.



(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).

بيان حق الطريق

١٥٣٥ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان حق الطريق .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطَّرِيقَاتِ» أي: احذروا واتركوا الجلوس في الطرقات؛ لما يؤدي الجلوس فيها من الأذية للمارين في الطريق، ولا سيما من النساء .

قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا» أي: أن الطريق هي من الأماكن العامة التي يلتقي فيها الناس، ويجتمعون فيها؛ من غير كلفة، ومشقة فيما بينهم؛ حتى يتحدثون فيها.

وليس في هذا اعتراض على النبي ﷺ، وإنما أرادوا أن يبينوا للنبي ﷺ بسبب جلوسهم .

قوله: " قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ» " أي: إذا لم تتركوا الجلوس في الطرقات .

قوله: «فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» أي: الزموا شرع الله ﷻ في المكان الذي جلستم فيه .

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٦١).

قوله: «قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟» وفيه: السؤال فيما يجهل من أمر الدين .

قوله: "قَالَ: «عَضُّ الْبَصْرِ»": وبدأ النبي ﷺ بالأمر بغض البصر؛ لأن إطلاقه فيما حرم الله ﷻ سبب الفتنة بالنساء وما في بابها .

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣٠-٣١]..

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رحمه الله -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اَضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُؤْتِمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»^(١).

وقد قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٧)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (١٤٧٠).

قوله: «وَكَفُّ الْأَذَى» أي: كيف الأذى عن المار في الطريق.

سواء كان الأذى القولي: كالسب والشتم، أو السخرية، وغير ذلك .

أو الأذى الفعلي: كالرمي، أو وضع الشوك في الطريق، أو غير ذلك من أنواع الأذى.

قوله: «وَرَدُّ السَّلَامِ» أي: يرد السلام على من سلم، وقد تقدم بيان ذلك .

قوله: «وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» أي: ومن حق الطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يكون على حسب الاستطاعة، باليد واللسان والقلب، لحديث: أبي سعيد الخدري ت قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم .

وهذا الحق لا يستطيع له إلا من كان قويًا في دينه، ولهذا ينصح المؤمن بعدم الجلوس في الطريق؛ لأنه ربما أخل بهذا الباب، وبما بعده من النهي عن المنكر؛ فيأثم.

فالسلامة لا يعدلها شيء .

لأن عصاة المسلمين ولا سيما في زماننا هذا كثير، فهذا يمر مسبل في ملابسه. وذاك يمر وهو يسمع الأغاني .

والمرأة تمر غير محتجبة بالحجاب الشرعي .

وهذا يمشي وهو يسب وشتم، وهذا يمشي وهو يؤذي غيره من المسلمين .

والله أعلم .

بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة

١٥٣٦ - (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضيلة العلم، ومنزله الرفيعة.

قوله: «وَعَنْ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر رضي الله عنه، هو وأبوه من الصحابة رضي الله عنهم.

وأخته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ.

وقد كان من كتاب الوحي للنبي ﷺ.

وهو ملك المسلمين وخليفتهم بعد أن تنازل له الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاها بالخلافة.

قال شيخ الإسلام في المجموع (٤ / ٤٧٨): وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مُلُوكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ الْأَرْبَعَةَ قَبْلَهُ كَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ وَهُوَ أَوَّلُ الْمُلُوكِ؛ كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا وَرَحْمَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: " «يَكُونُ الْمُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَرَحْمَةً ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَجَبَرِيَّةٌ ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ عَضُوضٌ » " وَكَانَ فِي مُلْكِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْحُلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَيْرًا مِنْ مُلْكٍ غَيْرِهِ. اهـ

والرافضة يبغضونه ويتنقصونه بسبب ما حصل بينه وبين أمير المؤمنين علي بن

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

أبي طالب عليه السلام من حروب.

قوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا»: إرادة كونية كما أنها شرعية.

فمن وفقه الله ﷻ لتفقه في دين الله ﷻ، وطلب العلم الشرعي، فقد أراد الله ﷻ به خيراً عظيماً، إذ أنه سبيل الرفعة والعزة والنصر والتمكين، وهو ميراث الأنبياء والمرسلين، وسبيل إلى جنة النعيم، فمن أراد خيري الدنيا والآخرة لزم غرزة، وعلم وعمل به، ثم دعا إليه، فمن فعل ذلك فقد كملت له طريق المكارم، ولي في ذلك وكن بالعلم محتفياً علو في الحياة وفي المعاد .

ومفهوم الحديث: أن من لم يتفقه في دين الله ﷻ ويوفق لذلك لم يرد الله ﷻ به خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قوله: «يُفَقِّهُهُ» أي: يعلمه ويفهمه علم الكتاب والسنة؛ فيعبد الله ﷻ ويدعو إليه على بصيرة من أمره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

قوله: «في الدين» إذ أن العلم الممدوح: هو علم الدين، علم الكتاب والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ.

يقول الله ﷻ آمراً نبيه للتزود منه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١٣١].

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

٤٣

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة

ويقول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١)، ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣).

ويقول الله ﷻ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشْعَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (٤٤) [النحل: ٤٣-٤٤]..

والمعنى الإجمالي للحديث: أن العلم مفتاح كل خير، كما أن الجهل مفتاح لكل شر وضير، والله المستعان، وقد تكلم ابن القيم عن فضل العلم من أوجه كثيرة في كتابه مفتاح دار السعادة لمن أراد مزيداً من ذلك، والحمد لله رب العالمين .



بيان فضل حسن الخلق

١٥٣٧ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل حسن الخلق وأثره في الدنيا والآخرة. وقد تقدم بعض الأحاديث في ذلك.

قوله: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ»: وهو الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان، وميزان حقيقي، قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [٤٧] [الأنبياء: ٤٧]، وقال في حق الكفار: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [١٠٥] [الكهف: ١٠٥].

قوله: «أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» أي: أن الخلق الحسن من أفضل ما يكون من الأعمال التي تثقل بها الموازين يوم القيامة. وقد تقدم أن حسن الخلق يكون مع الله صلى الله عليه وسلم بتوحيده، وحسن عبادته، وطاعته. بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والتِّرْمِذِيُّ (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود (٤٧٩٩)، وفي الصحيحة (٨٧٦).

ويكون حسن الخُلُق مع الخُلُق: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.
وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا"، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالثَّرَادُونَ وَالثَّرَادُونَ؟ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ وَالثَّرَادُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٣).

وَالثَّرَارُ: هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ، وَالثَّرَادُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

ولو لم يكن من فضيلة حسن الخلق إلا أنه من سجية النبي ﷺ.

وفيه: دليل على وزن الأعمال يوم القيامة.

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان الموزن يوم القيامة:

والذي يوزن يوم القيامة ثلاثة أمور:

الأول: العمل.

ودليله حديث الباب، وغيره من الأحاديث.

الثاني: العامل.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث ابن مسعود رضي الله عنه -، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقِينَ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(١).

الثالث: الصحف التي فيها الأعمال.

ففي السنن: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه -، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٢٧٥٠)، وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في

الصحيح المسند (٨٣٧).

وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(١).

ولا يلزم أن توزن الثلاثة لكل شخص؛ وإنما قد توزن في شخص بعضها، ويوزن لشخص آخر بعضها.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(١٠٥)» [الكهف: ١٠٥]^(٢).

ومعنى الآية: أن الكفار يوزنون؛ ولا يقام لهم وزن، لفساد أعمالهم، وسوء صنيعهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم لا يوزنون لكن ما تقدم هو الصحيح.

بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الميزان يوم القيامة حقيقي، وهو ميزان واحد عظيم وله كفتان.

والدليل على ذلك: ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه السابق وفيه: «أن السجلات توضع في كفة، وأن البطاقة توضع في كفة».

وذهب بعضهم إلى أنها موازين كثيرة، واستدلوا بقول الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٤٧).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح السنن، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمته الله (٧٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

والصحيح القول الأول، وإنما جاءت الآية بلفظ الجمع؛ لكثرة ما يوزن به يوم القيامة.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل» قال: قلت: يا رسول الله فأئن أطلبك؟ قال: «أطلبني أول ما تطلبني على الصراط». قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «أطلبني عند الميزان». قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «أطلبني عند الحوض فإنني لا أخطئ هذه الثلاث المواقن»^(١).

فالنبي صلى الله عليه وسلم أثبت في هذا الحديث أنه ميزان فقط، ولم يذكر أنها موازين، كما أن الحوض واحد، والصراط واحد، والله أعلم.

بيان من أنكر الميزان:

وأنكر الميزان الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، وزعموا: بأن الميزان إنما يحتاج إليه الثوام، والبقال، تعال الله تعالى عن قولهم علواً كبيراً. والحق: أن الله تعالى وضع الميزان لإظهار عدله وفضله، والله المستعان.



(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي، وهو في الصحيحة (٢٦٣٠)، وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٣١).

بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان

١٥٣٨ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان .

والحياء: خلق يحمل صاحبه على ترك كل قبيح وهو خلق قلبي عظيم.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق أبي السَّوَّارِ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ - رضي الله عنه -، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ سَكِينَةٌ، فَقَالَ عِمْرَانُ: "أَحَدْتُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَحَدَّثَنِي عَنْ صُحُفِكَ".

وفي لفظ لمسلم أيضا: : «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»^(٣).

وفي مستدرک الحاكم رحمه الله: من حديث ابن عمر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْحَيَاءُ

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (٣٧).

وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ^(١).

📖 قال الإمام الصنعاني رحمه الله في السبل (٢/ ٦٨٩):

الْحَيَاءُ فِي اللُّغَةِ: تَغَيَّرُ يَلْحَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ خَوْفٍ مَا يُعَابُ بِهِ.

وَفِي الشَّرْعِ: خُلِقَ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ.

وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً فَهُوَ فِي اسْتِعْمَالِهِ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ يَحْتَاجُ إِلَى اكْتِسَابٍ وَعِلْمٍ وَنِيَّةٍ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْإِيمَانِ. وَقَدْ يَكُونُ كَسْبِيًّا.

وَمَعْنَى كَوْنِهِ مِنَ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْمُسْتَحْيَ يَنْقَطِعُ بِحَيَائِهِ عَنِ الْمَعَاصِي فَيَصِيرُ كَالْإِيمَانِ الْقَاطِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَمَا يَمْنَعُ الْإِيمَانُ؛ فَسُمِّيَ إِيْمَانًا كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَامَ مَقَامَهُ. وَالْحَيَاءُ مُرَكَّبٌ: مِنْ جُبْنٍ وَعِفَّةٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

فَإِنْ قُلْتَ قَدْ يَمْنَعُ الْحَيَاءُ صَاحِبَهُ عَنِ انْكَارِ الْمُنْكَرِ؟

وَهُوَ إِخْلَالٌ بِبَعْضٍ مَا يَجِبُ فَلَا يَتِمُّ عُمُومٌ " إِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ".

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٥٨)، ورواه البخاري في الأدب المفرد موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما

(١٣١٣)، وصح الموقوف والمرفوع، كما قال ذلك الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الأدب المفرد (٩٩١).

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٧٥٢).

بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان

(قُلْتُ) قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْحَيَاءِ فِي الْأَحَادِيثِ الْحَيَاءُ الشَّرْعِيُّ،
وَالْحَيَاءُ الَّذِي يَنْشَأُ عَنْهُ تَرْكُ بَعْضِ مَا يَجِبُ لَيْسَ حَيَاءً شَرْعِيًّا؛ بَلْ هُوَ عَجْزٌ وَمَهَانَةٌ.
وَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ لِمُشَابَهَتِهِ الْحَيَاءَ الشَّرْعِيَّ.
وَبِجَوَابِ آخَرَ: وَهُوَ أَنَّ مَنْ كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ فَالْخَيْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ.
أَوْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ كَانَ الْخَيْرُ فِيهِ بِالذَّاتِ فَلَا يُنَافِيهِ حُصُولُ التَّقْصِيرِ فِي
بَعْضِ الْأَحْوَالِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُنَهَمِ شَرْحَ مُسْلِمٍ: وَكَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - قَدْ جُمِعَ لَهُ النَّوْعَانِ مِنَ
الْحَيَاءِ الْمُكْتَسَبِ وَالْغَرِيزِيِّ.
وَكَانَ فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي
الذُّرَّةِ الْعُلْيَا - ﷺ - . اهـ



بيان سوء قلة الحياء

١٥٣٩ - (وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان سوء قلة الحياء .

قوله: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ» أي: مما أدركه الناس ممن كان قبلهم، وتناقلوه فيما بينهم، وعاشوا عليه.

قوله: «مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى» أي: من كلام الأنبياء والرسل السابقين لمبعث النبي ﷺ، ولعله من كلام عيسى عليه السلام .

قوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أي: أن الإنسان إذا لم يكن عنده حياء يمنعهُ من فعل القبيح فعل الشرور والآثام.

وليس هذا على سبيل الإقرار، وإنما على سبيل الإخبار بحال من قل حياؤه .
وفي المثل اليمني عند عامة الناس: "إذا لم تستح فاصنع ما تشتهي" ومعناه موافق لمعنى الحديث لأن الحياء خلق جليل يمنع صاحبه من فعل القبيح، فالإنسان إذا لم يكن عنده حياء؛ فعل القبيح، والشر، والحرام، ولا يبالي بذلك.

وكان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها؛ وذلك لأنه ﷺ كان مراقباً لله ﷻ في كل سكناته، وحرركاته.

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠).



بيان سوء قلة الحياء



وعاملاً بما يرضي الله ﷻ عنه ﷺ، والله المستعان.
والحمد لله رب العالمين



بيان قوي الإيمان من ضعيفه

١٥٤٠ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اخِرٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان قوي الإيمان من ضعيفه، وذلك أن الناس يتفاوتون في الإيمان على قدر أعمالهم .

بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهذا أمر ثابت: بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١٧٣).

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٢٢﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ

جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ يَقُونَهُمْ ﴿١٧﴾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ .

وأما من السنة:

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: «أَمَا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»،

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»^(١).

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن:

علق البخاري في صحيحه^(٢): "وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيٍّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنْ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشَ فَسَأَبَيْنَهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أُمِتَ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»".

قوله: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ».

والمراد بالقوي هنا: أي القوي في إيمانه، ولا القوة البدنية.

إلا إذا جمع الله ﷻ للشخص بين القوة الإيمانية والبدنية كما كان حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد جمع الله ﷻ له القوتين: قوة الإيمان، وقوة البدن.

فالقوة البدنية إن لم تكن مقارنة للقوة الإيمانية لا مصلحة فيها؛ لأن الإنسان ربما ظلم، وقتل، وضرب، وتعدى على المسلمين، وأفسد في الأرض بسبب قوته وضعف إيمانه، كحال الكافرين وكثير من عصاة المسلمين.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

(٢) أخرجه البخاري معلقا (١ / ١١).

بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب:

فللقوة البدنية مع القوة الإيمانية مراتب ثلاث:

الأولى: وهي أعلى المراتب أن يجمع الله ﷻ القوة البدنية، مع القوة الإيمانية، والعلمية، والعملية .

الثانية: أن يكون المؤمن قويا في إيمانه، ضعيفا في بدنه .

الثالثة: وهي المرتبة الدنيا.

أن يكون قويا في بدنه وضعيفا في إيمانه .

الرابعة: أن يكون ضعيفا في إيمانه وبدنه.

قوله: «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ» أي: أنه يكون خير من المؤمن الضعيف في إيمانه.

وستكون أعماله التي يتقرب بها إلى الله ﷻ أكثر من أعمال غيره من المؤمنين، ولا سيما ممن كان قل إيمانه .

فالمؤمن القوي أحب إلى الله ﷻ من المؤمن الذي إيمانه أقل منه.

أعماله الصالحة الكثيرة التي يفعلها وتزيد في إيمانه .

قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» أي: ضعيف الإيمان؛ لأن أعماله الصالحة التي

يتقرب بها إلى الله ﷻ أقل من أعمال غيره .

فالإيمان تضعفه المعاصي والذنوب والسيئات باختلاف أنواعها ودرجاتها.

فإن العبد كلما تقرب إلى الله ﷻ بالطاعات، وأكثر من فعل الخيرات والقربات زاد

إيمانه.

وكلما أكثر من المعاصي والذنوب نقص إيمانه بقدر ذلك.

بيان طريقته، مع فتحة زيادة الإيمان:

الأول: ما يجد في قلبه من الخشوع، ومن الرقة، والتذلل، والخضوع، والتواضع والاستكانة لله ﷻ، وغير ذلك.

الثاني: الزيادة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

الثالثة: التأثير في القلب والبدن؛ فإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب.

الرابع: ما يجد المؤمن في قلبه من الطمأنينة، والراحة، ولذة العبادات، والطاعات، وغير ذلك.

قوله: «وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» أي: أن المؤمن حاله كله خير، سواء كان قويا في إيمانه وهو هو الأفضل. أو كان ضعيفا في إيمانه.

فهو في الدنيا: خير من غيره من أهل الكفر، والشرك، والنفاق، والإلحاد، وغيرهم. وفي الآخرة: خير من هؤلاء حيث أن مآله إلى الجنة.

قوله: «أَحْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» أي: أنه على كل مؤمن أن يكون حريصا على ما ينفعه في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

وأن يحرص على ما يقربه من الله ﷻ.

قوله: «وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ» الاستعانة: هي طلب العون.

فيجب على المؤمن أن يستعين بالله ﷻ في كل شيء يريده: من أمور دينه، وآخرته، ودنياه.

إذ أن الاستعانة بالله ﷻ من أهم الأسباب في حصول المطلوب له: "وهو رضوان

الله ﷻ، والنظر إلى وجهه الكريم، ودخول جنته".

وفي النجاة من المهروب منه: "وهو عذاب الله ﷻ، وسخطه، وناره".

يقول الله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

فهذه الآية إليها يرجع الدين كله، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله.

فإننا ما خلقنا في إلا لعبادة الله ﷻ وتوحيده؛ ولكن نعبد الله ﷻ كما يُحب؛ لا بد أن

نستعين به .

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

فإن العبد وإن كان قد آتاه الله العلم؛ فهو ضعيف وعاجز ويحتاج إلى توفيق من

الله ﷻ، وعونه .

قوله: «وَلَا تَعْجَزْ» أي: تعجز عن العمل، ويسيب الفتور .

ففي الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ

الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(١).

قوله: «وَأِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ» أي: من الأقدار التي تنوب الإنسان: من أمراض،

وأسقام، ومصائب، ومحن، وفتن، ومحزنات، وسائر الابتلاءات .

قوله: «فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذًّا وَكَذًّا» أي: معترضاً على القدر فإن ما شاء

الله كان وما لم يشأ لم يكن، إلا أنه ينبغي أن تعلم أن العبد مخير في الأمور الشرعية،

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦).

ومسير في الأمور الكونية.

هذا هو الصحيح في جواب قولهم هل العبد مخير أم مسير؟

يقول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ

قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦-١٥٧].

ويقول الله ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

قوله: «وَلَكِنْ قُل: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

يقول الله ﷻ: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ

يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾.

قوله: «فَإِنْ لَوْ تَفَتَحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ»: والإنسان المؤمن مأمور بإغلاق مداخل

الشيطان، عليه ولا يسلم إلا من سلك ما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ به .

ويجوز قول (لو) في تمني الخير، وقد بوب البخاري في صحيحه باب قول لو، وفي

كتاب التوحيد: باب ما جاء في لو أي من النهي والجواز .

ففي الصحيحين: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ

أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْ لَا أَنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ لَأَخْلَلْتُ»^(١).



(١) أخرجه البخاري (١٧٨٥)، ومسلم (١٢١٦).

الحث على التواضع

١٥٤١ - (وَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْنِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث للحث على التواضع .

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمُهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِابْتِلَايِكَ وَابْتِلَايِ بَكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذَا يَنْلَغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوْ الْكَذِبَ وَالسَّنْطِيرَ الْفَحَّاشَ^(١) وآخره ما ساقه المصنف: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أخرجه مسلم .

قوله: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ»: وقد يكون وحي الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى: ٥١] .

قوله: « أَنْ تَوَاضَعُوا » أي: أن التواضع مما أوحاه الله إلى النبي ﷺ .
وذلك لبيان لفضله .

يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨ ﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝١٩ ﴾ [لقمان: ١٨-١٩] .

بيان أنواع التواضع:

فالتواضع يكون على أنواع:

الأول: تواضع مع الله ﷻ، وذلك بقبول شرعه .

الثاني: تواضع مع خلق الله ﷻ؛ حتى لا يبغي المؤمن على غيره .

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) .

وما أحسن قول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه
إلى طبقات الجو وهو وضع

والتواضع سبيل لرفع العبد في الدنيا وفي الآخرة:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله:

من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١).

بيان أن الجزاء من جنس العمل:

ولما كان المتواضع يضع نفسه لله ﷻ، ويتعامل معهم بما يوافق شرع الله ﷻ، كان جزاؤه أن الله ﷻ رفعه في الدنيا والآخرة.

ولما كان المتكبر يرفع نفسه بما يسخط الله ﷻ، وضعه الله ﷻ في الدنيا والآخرة.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيَسْأَلُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عَصَاةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْحَبَالِ»^(٢).

والأمر بالتواضع عام للرجال والنساء، الإنس والجن، أي لكل مكلف.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢٩١١).

فالمؤمن لا يفتخر بعلمه، ولا عمله، ولا جماله، ولا ماله، ولا منصبه، ولا جاهه، ولا قبيلته، ولا عشيرته، ولا بشيء من شؤون الدنيا .
فالأمر لله ﷻ وحده، إذ لو شاء سلب هذه النعم .

بيان معنى التواضع:

التواضع: عدم الكبر، والكبر: هو بطر الحق، وغمط الناس .
ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»^(١).

فالكبر: هو عدم قبول الحق، وتنقص الناس، والاستهزاء بهم، واحتقارهم، وغير ذلك.

والتواضع: قبول الحق، وهضم النفس، ولين الجانب، والتعامل مع المؤمنين بالرفق واللين، وعدم احتقارهم وغمطهم.

قال الإمام الصنعاني ﷺ في السبل (٢/ ٦٩١): التَّوَاضُّعُ عَدَمُ الْكِبَرِ وَتَقَدُّمُ تَفْسِيرِ الْكِبَرِ.

وَعَدَمُ التَّوَاضُّعِ يُؤَدِّي إِلَى الْبَغْيِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ مَزِيَّةً عَلَى الْغَيْرِ فَيَبْغِي عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَيَفْخَرُ عَلَيْهِ وَيَزْدَرِيهِ.

وَالْبَغْيُ وَالْفَخْرُ مَذْمُومَانِ، وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي سُرْعَةِ عُقُوبَةِ الْبَغْيِ مِنْهَا عَنْ أَبِي

(١) أخرجه مسلم (٩١).

بَكْرَةَ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَوْ أَحَقُّ مِنْ أَنْ يُعَجَّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَاهُ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عَصَى اللَّهُ بِهِ هُوَ أَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ». اهـ.

قوله: «حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أي: أن التواضع من أعظم أسباب السلامة من البغي والكبر هو السبب البغي، والتعدي، والظلم.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

قوله: «وَلَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»: تحريم الفخر والخيلاء والاستطالة على الخلق.

وجاء في الأدب المفرد للإمام البخاري ﷺ: من طريق عَتِيٍّ بْنِ ضَمْرَةَ قَالَ: "رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ - ﷺ - رَجُلًا تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّهُ أَبِي وَلَمْ يَكُنْهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ قَالَ: كَأَنَّكُمْ أَنْكَرْتُمُوهُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَهَابُ فِي هَذَا أَحَدًا أَبَدًا إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضُّوه وَلَا تَكْنُوهُ».

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: عن أَبِي هُرَيْرَةَ - ﷺ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرْضُهُ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: من طريق المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: "مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ - رحمه الله - بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: "يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبَّوْا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَاطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(١).

و عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إِنْ اللَّهُ ﻻ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبَتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رَجُلٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ، الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا التَّنَّ» أخرجه أبو داود .



(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

فضيلة من رد عن عرض المسلم

١٥٤٢ - (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ.

١٥٤٣ - (وَلِأَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - نَحْوُهُ^(٢)).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان منزلة الرد على عرض المسلم في ظهر الغيب.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٩٢): فِي الْحَدِيثَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ اغْتَابَ أَخَاهُ عِنْدَهُ وَهُوَ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ لِلْمُنْكَرِ وَلِذَا وَرَدَ الْوَعِيدُ عَلَى تَرْكِهِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ مِنْ عَرَضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ» وَأَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْهُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] » وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ الشَّيْخِ أَيْضًا «مَنْ حَمَى عَرَضَ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٢٧٥٤٣)، وفي سنده مرزوق أبي بكر التيمي مجهول. وأخرجه أحمد (٢٧٥٣٦) من طريق ليث بن أبي سليم، عن شهر، عن أم الدرداء، وليث وشهر ضعيفان، ويشهد له ما بعده. وهو في الضعيفة للإمام الألباني رحمه الله (٥٨٠)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٤٨): "صحيح لغيره".

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٦٠٩)، بسند ضعيف؛ فيه شهر بن حوشب لكنه حسن بما قبله ولفظه: «مَنْ دَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ».

يَحْمِيهِ مِنَ النَّارِ» وَأَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ «مَنْ أُغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ فَاسْتَطَاعَ نُصْرَتَهُ فَنَصَرَهُ
نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» بَلْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسْتَمَعَ لِلْغِيْبَةِ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ فَمَنْ حَضَرَهُ الْغِيْبَةُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُمُورِ
الرَّدِّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ وَلَوْ بِإِخْرَاجٍ مَنْ اغْتَابَ إِلَى حَدِيثٍ آخَرَ أَوْ الْقِيَامَ عَنْ مَوْقِفِ
الْغِيْبَةِ أَوْ الْإِنْكَارُ بِالْقَلْبِ أَوْ الْكَرَاهَةُ لِلْقَوْلِ وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ السُّكُوتَ كَبِيرَةً
لِوُرُودِ هَذَا الْوَعِيدِ وَلِدُخُولِهِ فِي وَعِيدٍ مَنْ لَمْ يُغَيِّرِ الْمُنْكَرَ؛ وَلِأَنَّهُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ حُكْمًا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَابًا لُغَةً وَشَرْعًا. اهـ

قوله: «وَلَا حَمْدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ». من طريق عبيد الله بن أبي
زياد، عن شهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

• تنبيه: ليس من الكلام الممنوع الجرح والتعديل، فهو من النصيحة لدين الله ﷻ.
وللمسلمين، فإن الجرح والتعديل سبيل عظيم للذب عن الدين وبيان حال المبطلين.



فضل الصدقة

١٥٤٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»^(١)). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أمور:

الأول: أن المال لا ينقص على صاحبه من الصدقة.

الثاني: أن العفو يزيد صاحبه عزاً في الدنيا وفي الآخرة.

الثالث: أن التواضع سبب للرفعة في الدنيا، والآخرة.

وحديث الباب يدل على أن المال لا ينقص على صاحبه بالصدقة؛ لأن الصدقة سبب للنماء والبركة .

بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين:

والبركة تنقسم إلى قسمين:

الأول: حسية بحيث أن الله ﷻ يخلف على صاحبه المال الذي تصدق به مال أفضل، وأعظم منه؛ فينمو ماله ويزيد.

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) .

شَيْءٌ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقَيْنِ ﴿٣٩﴾

الثانية: معنوية، بحيث أن الله ﷻ يبارك في المال فيحفظه من السرقة، والضياع، والفساد، ويحفظ صاحبه: من الأمراض، والمصائب، والفتن .

قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»: لما تقدم من الخلف والبركة فيه .

والصدقة: اسم عام لواجبة: من زكاة الأموال، والأنعام، والحبوب والثمار أو مستحبة.

فالبركة: هي زيادة الخير الإلهي، ونماؤه، وكثرته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا زَكَّيْتُمْ أَزِيدُوا صَدَقَاتِكُمْ لَكُمْ أَجْرٌ فَذُكِّرُوا﴾

قوله: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»: وحديث الباب فيه أن العفو يزيد صاحبه عند الله ﷻ، وعند الناس عزًا، في الدنيا، والآخرة.
والنبي ﷺ كان حريصاً على العفو .

ففي سنن الإمام أبي داود ﷺ: من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ رَفَعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ»^(١).

وفي مسند الإمام أحمد ﷺ: من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاعْفُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُلْ

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٩٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي ﷺ (٢٩).

فضل الصدقة

لَأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيُلِّ لِلْمُصْرِينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(١).

قوله: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ»: والتواضع سبب لرفعة الله ﷻ لعبده في

الدنيا، والآخرة، وكما أن المتكبر يضعه الله ﷻ ويذله في الدنيا، والآخرة.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ -

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَبرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَذَّبْتُهُ»^(٢).



(١) أخرجه أحمد (٦٥٤١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح الأدب

المفرد (٢٩٣/٣٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٠).

فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام

١٥٤٥ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

والحديث له قصة ففي سنن الإمام الترمذي: من في الحديث قصة عبد الله بن سلام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

قوله: «وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -».

في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجه (١٣٣٤، ١٣٣٥)، والدارمي (١٥٠١)، وأحمد (٢٣٧٨٤)، وله

شواهد وأعل بالانقطاع بين زراره بن أوفى وابن سلام. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (٧٧٧)، وهو

في أحاديث معلة ظاهرها الصحة للإمام الوادعي رحمه الله (١٩٤).

عَلِمْتُ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلَهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيَلَكُمْ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَاسْلُمُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رضي الله عنه-»^(٢) قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠] الْآيَةُ، قَالَ: «لَا أَدْرِي قَالَ مَالِكُ الْآيَةَ أَوْ فِي الْحَدِيثِ»^(٣).

وفي الصحيحين: من طريق قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٢٤٨٣).

تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ، وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ: رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا - وَسَطُهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْلَاهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلَاهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقُ، قُلْتُ: لَا أَسْتَطِيعُ، فَاتَّانِي مِنْصَفٌ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ خَلْفِي، فَارْقَيْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَاهَا، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقِظْتُ، وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الْإِسْلَامُ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى تَمُوتَ» وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ^(١).

قوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ!»: عام يراد به الخصوص، أي من آمن منهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾.

والناس: لفظ عام يشمل الجن والإنس .

وقد يرد به الإنس إذا قترن بالجن، كما في قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ

خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

قوله: «أَفْشُوا السَّلَامَ»: وهذا أمر وفيه فضيلة رد السلام لما فيها من المصالح

الدينية والدنيوية.

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).

قوله: «وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ»: تقدم بيان أن صلة الأرحام من الأمور الواجبة، وأن قطع الأرحام من الكبائر والعظائم، للوعيد الذي جاء في حق القاطع، وأنه لا يدخل الجنة. **وصلة الأرحام:** تكون بالكلام، والزيارة، والإحسان إليهم، وتكون بالمواساة بالمال ونحوه، وغير ذلك من أوجه الصلة.

قوله: «وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ»: ويدخل في ذلك جميع أنواع الإطعام، سواء كان ذلك على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، وعلى الأيتام، والأرامل، وغيرهم. وسواء كان الطعام صدقة، أو من باب الضيافة، أو النفقة الواجبة: على الأولاد والزوجة والأهل، أو النفقة المستحبة في وجوه الخير.

وفي فضل ذلك ما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(١).

قوله: «وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» أي قيام الليل، ففيه: الحث والترغيب على قيام الليل، وقد تقدم الكلام في بيان فضله في بابه.

قوله: «تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» أي: أن ما ذكر في الحديث من أسباب دخول الجنة، وهذا يدل على فضل هذه الأعمال المذكورة في الحديث، بشرط التوحيد.

والله الموفق



(١) أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

الدين النصيحة

١٥٤٦ - (وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» ثَلَاثًا. قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن الدين النصيحة.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث تميم الداري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢).

وجاء عند الإمام أبي داود رحمه الله بلفظ: من حديث تميم الداري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَأَيِّمَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، أَوْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٣).

قوله: «تَمِيمُ الدَّارِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو أبو رقية رحمه الله، وكان نصرانياً ثم أسلم.

وقد روى عنه النبي ﷺ حديث الجساسة، وهذا يعتبر من رواية الأكابر عن

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وليس عنده لفظ: «ثلاثاً» ولا كررت جملة: «الدين النصيحة».

(٢) أخرجه مسلم (٥٥) (٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

الأصاغر.

قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» "ثَلَاثًا": وهذا يعتبر حصرًا للدين في النصيحة.

لأن النصيحة كلمة عامة: تفيد الخلوص بالعمل لله ﷻ.

ومعنى ذلك: أن جميع الدين: من أوامر، ونواهي، وقصص، وأخبار من النصيحة.

📖 **قال النووي في شرحه على مسلم (٢/ ٣٧):** قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رحمته الله النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحِزِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ قَالَ وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ وَمُخْتَصِرِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنِ الْمَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةُ كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِحَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ قَالَ وَقِيلَ النَّصِيحَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ قَالَ وَقِيلَ إِنَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنْ نَصَحَتِ الْعَسَلِ إِذَا صَفَّيْتُهُ مِنَ الشَّمْعِ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغَشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عِمَادُ الدِّينِ وَقِوَامُهُ النَّصِيحَةُ كَقَوْلِهِ الْحَجُّ عَرَفَةُ أَيَّ عِمَادُهُ وَمُعْظَمُهُ عَرَفَةُ وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ). **اهـ**

بيان أن النصيحة لها عام، وخاص:

فالمفهوم العام: ما ذكر في حديث الناس، فالدين كله بما جاء فيه من أوامر، ونواهي، وأخبار، وقصص، كله من النصيحة.

والمفهوم الخاص: ما يبذله المسلم لأخيه المسلم من النصيح، والإرشاد إلى الخير، والتحذير من الشر، وأهله .

حتى أن النبي ﷺ كان يبايع أصحابه على النصيحة .

كما جاء ذلك في الصحيحين: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه-، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^(١).

فلو أن الناس سلكوا هذا السبيل لكثر خيرهم، وقل شرهم بإذن الله ﷻ.

ولفظ: ثلاثاً، جاءت في سنن الإمام الترمذي رحمه الله وهو صحيح، وقد عرف عن النبي ﷺ إعادة الكلام ثلاثاً.

قوله: «قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» فيه: السؤال عما يشكل، وهكذا ينبغي لكل مسلم أن يسأل عما يشكل عليه في أمر دينه.

قوله: "قَالَ: «لِلَّهِ»".

 قال النووي شرحه على مسلم (٢/ ٣٨): قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمه الله وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نَصْحِهِ نَفْسَهُ فَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ نَصْحِ النَّاصِحِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَالْإِيمَانُ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشَبَّهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدَرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقٌّ تِلَاوَتِهِ وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التَّلَاوَةِ وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ وَالتَّصَدِّيقُ بِمَا فِيهِ وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ وَتَفْهَمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ وَالْإِعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ وَالْبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَنَشْرُ عُلُومِهِ وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ وَالْيَاسِرُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ نَصِيحَتِهِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَصَدِّيقُهُ عَلَى الرِّسَالَةِ وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَنَصْرَتُهُ حَيَا وَمِيتَا وَمَعَادَاةُ عَنْ عَادَاهُ وَمُؤَالَاةُ مَنْ وَلَاَهُ

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

الدين النصيحة

وإِعْظَامُ حَقِّهِ وَتَوْقِيرُهُ وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبَثُّ دَعْوَتِهِ وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعْلُمِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا وَالتَّأَدُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَاجْلَالِ أَهْلِهَا لِانْتِسَابِهَا إِلَيْهَا وَالتَّحَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنْ ابْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ أَوْ تَعَرَّضَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ فَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وَأَمْرُهُمْ بِهِ وَنَهْيُهُمْ وَتَذْكِيرُهُمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا عَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغُهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَتَأْلُفُ قُلُوبِ النَّاسِ لِبَطَاعَتِهِمْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ رحمته الله وَمِنْ النَّصِيحَةِ لَهُمُ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءٌ عَشْرَةٌ وَأَنْ لَا يُغَرَّوا بِالنِّسَاءِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَقُومُ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ . اهـ

قوله: «وَلِكِتَابِهِ»: والنصيحة لكتابه: تكون بتعلمه، والعمل به، وتعليمه، والدعوة إليه، وامتنال أوامره بفعالها، واجتناب نواهيه بتركها، وبتصديق قصصه وأخباره، وبالاستشفاء به من أمراض القلوب، والشبهات، والشهوات، وبالتحاكم إليه عند الاختلاف، وبتلاوته: وتدبره، بخشوع، وبخضوع، وبحضور قلب.

يقول الله ﷻ: ﴿الْمَصَّ ١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِئُنْذِرَ بِهِ

وَذِكْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الأعراف: ١-٣]..

قوله: «وَلِرَسُولِهِ»: والنصيحة لرسوله: تكون بطاعته في أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله ﷻ إلا بما شرع، وتصديق أخباره.

قوله: «وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ»: وهم حكام المسلمين، وخلفاؤهم، وملوكهم، ورؤسائهم، وأولياء أمورهم.

والنصيحة لهم: بطاعتهم في طاعة الله ﷻ، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن الخروج عليهم يؤدي إلى مفسد أعظم من ظلمهم وبغيهم، ويؤدي إلى سفك الدماء فيما بين المسلمين، ويؤدي إلى انتهاك الأعراض، وضياع الأموال، وانتشار الفوضى بين المسلمين، والخوف والرعب وعدم الأمن، وإلى مفسد لا يعلم بها إلا الله ﷻ.

منها النصح لهم: من أهل العلم والفضل، والإرشاد والدعاء لهم.
وفي رواية في صحيح الإمام مسلم ﷺ: أن النبي ﷺ قَالَ لِلْآخِرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١).

قوله: «وَعَامَّتِهِمْ» والنصيحة لعامة المسلمين: تكون بالنصح، والتوجيه، والإرشاد إلى كل خير، وبالتحذير من كل شر، وأهله.

ومن النصح للعامة: عدم الغش لهم: سواء كان في أمور دينهم، أو في أمور دنياهم، ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١).

الدين النصيحة

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وغش عامة المسلمين من علماء أهل الضلال والبدع في أمر دينهم أعظم إثمًا من غش الرعية فيما بينهم في أمر البيع والشراء وغير ذلك من أمور الدنيا. وقد تكلم النووي رحمه الله بكلام نفيس على هذا الحديث في شرح مسلم.



(١) أخرجه مسلم (١٠٢).

فضل التقوى وحسن الخلق

١٥٤٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل التقوى وحسن الخلق.

قوله: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ» أي: من الأعمال الصالحة.

قوله: «تَقْوَى اللَّهِ»: وهو من أعظم الأعمال التي تدخل الجنة بعد توحيد الله تعالى.

لأن التقوى هي العمل بالدين كله، بحيث يجعل العبد بينه وبين عذاب الله تعالى وسخطه وناره وقاية، وتكون بفعل الأوامر، واجتناب النواهي والمحظور.

والأدلة من الكتاب ومن السنة على ذلك كثيرة.

فمنها قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾^(١٧).

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(٥٤).

ويقول الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وأحمد (٩٦٩٦)، والحاكم (٧٩١٩)، من طريق يزيد بن

عبد الرحمن الأودي، ولم يوثقه إلا العجلي وابن حبان. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٧٧).

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾ [النبا: ٣١-٣٦]..

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: وهو من أثقل الأعمال الصالحة في الميزان، كما سبق.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(١).

وَحُسْنُ الْخُلُقِ كما سبق قسمين:

الأول: حسن الخلق مع الله ﷻ، وهذا يرادف معنى الإحسان.

ويكون بتوحيده، وبتجريد التوحيد من الشرك والتنديد.

الثاني: حسن الخلق مع الناس، وهذا يرادف في المعنى الإحسان إلى الخلق.

ويكون بكف الأذى، وبذل الندى وطلاقة الوجه.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٠٣٧).

بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس

١٥٤٨ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١). أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضيلة حسن الخلق وبسط الوجه للناس.

قوله: «إِنَّكُمْ لَا تَسْعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ»: لأن الإنسان مهما كان عنده من الأموال إلا أنه سيعجز عن أن يكفي غيره من الناس في كل شيء يحتاجون إليه.

قوله: «وَلَكِنْ لِيَسْعَهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ».

فبسط الوجه: من المعروف الذي أرشد إليه النبي ﷺ، وهو سهل على صاحبه، ويستطيع أن يبسط وجهه مع جميع المسلمين، ويسعهم بذلك.

إلا أهل البدع والمحدثات، والزنادقة، وأهل النفاق، والكفر، والشرك، فهؤلاء لا يبسط إليهم الوجه؛ إلا إذا كان من باب النصيحة لهم، والرفق فيهم تأليفاً لهم إلى الإسلام.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ:

(١) أخرجه الحاكم (٤٢٧)، وقال عقبه: "أخرجه سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ". وعبد الله بن سعيد

المقبري متروك. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (٦٣٤).



«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(١).

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ»: وقد تقدم الكلام عليه.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن

١٥٤٩ - (وَعَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ»^(١). [أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ] ^(٢) وَابْنُ مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّي الصَّحَابِيَّ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن.

من حيث أنه إذا رأى عليه، أو ظهر له منه بعض الأخطاء، أو الزلات؛ فإنه ينصحه برفق ويوجهه إلى الخير، ويستر عيبه، ولا فضحه، ويرشده إلى ما يقربه إلى الله ﷻ.

والحديث رواه الإمام أبو داود رحمه الله: من أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ ضَيْعَتُهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ».



(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٨) وفي إسناده كثير بن زيد ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٢٦).

(٢) زيادة عن المخطوط.

بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم

١٥٥٠ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: "إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْمِ الصَّحَابِيَّ"^(٢)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل مخالطة الناس والصبر على آذاهم .
ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من طريق رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -، فَقَالَ حُذَيْفَةُ - رضي الله عنه -: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أَطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَآتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -:

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨) بسند صحيح، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٣٢)، بسند ضعيف، فيه

عبد الواحد بن صالح مجهول، وأخرجه الترمذي (٢٥٠٧) فقال: عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٩٣٩).

(٢) الحديث زيادة عن المخطوط.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ^(١).

وقد ألف الخطابي رسالة في العزلة، وبين أن العزلة لا تكون إلا إذا فسد الزمان.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الْغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، أَوْ سَعَفَ الْجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ الْقَطْرِ، يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٢).

قوله: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».

فالأذى ما سيسلم منه أحد من خلق الله ﷻ، حتى الرسل والأنبياء وهم خير خلق الله ﷻ ومع هذا لم يسلموا من الأذى.

بل لم يسلم الله ﷻ من الأذى وهو الخالق القوي العزيز، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨].

حتى قيل في ذلك:

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (٣٦٠٠).

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ قال الله ﻋَﻠَﻴْهِ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١).

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: من حديث أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى آذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(٢).

ولا مسبة أعظم من هذه المسبة، أن ينسب الله ﻋَﻠَﻴْهِ الولد، ويشرك به، ومع ذلك يرزقهم ويعافيههم.

يقول الله ﻋَﻠَﻴْهِ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

ويقول الله ﻋَﻠَﻴْهِ: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْزِلُ لَهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٨-٧٠].

والله المستعان.



(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٤).

الدعاء بحسن الخلق

١٥٥١ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»^(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان الدعاء بحسن الخلق .

قوله: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي» أي: صورته التي خلقه الله عليها .

وفي الصحيحين: من حديث البراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث البراء - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمَ الْجُمَةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ ﷺ»^(٣).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضًا: من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى،

(١) أخرجه أحمد (٣٨٢٣)، وابن حبان (٩٥٩)، وهو حديث صحيح بلفظ: "اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ

خُلُقِي". وله شاهد: أخرجه أحمد (٢٤٣٩٢) عن عائشة - رضي الله عنها - بسند صحيح.

وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (٧٤) حيث قال: "نعم لقد صح هذا الدعاء عنه صلى الله عليه وسلم

مطلقا دون تقيد بالنظر في المرأة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣٧).

وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ... فَلَمْ أَرَلْ أَحَدَهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَشَرَ فَضْحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا...»^(١).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من طريق أبي إسحاق، قَالَ: سُئِلَ الْبَرَاءُ -رضي الله عنه- أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدِّمَ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشَبُّهُ جَسَدُهُ»^(٣).

وَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَحْسَنِ خَلْقِهِ، فَقَدْ كَانَ أَيْضًا أَحْسَنَ النَّاسِ.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤).

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عائشة -رضي الله عنها-، أَنَّهَا لَمَّا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٦).

فجمع الله ﷻ لنبیه محمد ﷺ بین حسن الخلقة، و بین حسن الخلق، وهذه أعلى مراتب الإنسان.

❦ بيان مراتب خلقة الإنسان وخلقته:

المرتبة الأولى: من جمع الله ﷻ له بین حسن الخلقة، وحسن الخلق. وعلى رأس هذه المرتبة نبينا محمد ﷺ.

ونبي الله يوسف عليه السلام، و آدم أبو البشر عليه السلام.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ في حديث المعراج: من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، في قصة المعراج، قال: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ...»^(١).

وقد قال أهل العلم: إذا كان يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الحسن، فإن نبي الله آدم عليه السلام قد أوتي الجمال كله؛ لأن الله خلقه بيده.

يقول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّیْ خَلِقُۢ بَشَرًا مِّنْ طِیۡنٍ ۭۙ (٧١) فَاِذَا سَوَّیْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِیْهِ مِنْ رُّوْحِیْ فَقَعُوۡا لَهٗۤ سٰجِدِیۡنَ ۭۙ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجَمْعُوۡنَ ۭۙ (٧٣) اِلَّاۤ اِبْلِیۡسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِیۡنَ ۭۙ (٧٤) قَالَ یٰۤاِبْلِیۡسُ مَا مَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدَیْیْ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِیۡنَ ۭۙ (٧٥) قَالَ اَنَا خَیۡرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِیۡ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْنٰهُ مِنْ طِیۡنٍ ۭۙ (٧٦) قَالَ فَاخْرِجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِیۡمٌ ۭۙ (٧٧) وَاِنَّ عَلَیْكَ لَعْنَتِیۡ اِلٰی یَوْمِ الدِّیۡنِ ۭۙ﴾ [ص: ٧١-٧٨]..

المرتبة الثانية: من أعطاه الله ﷻ حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلقة.

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

الدعاء بحسن الخلق

وهذه مرتبة أيضًا عظيمة، ولكنها دون المرتبة الأولى.

المرتبة الثالثة: من أعطاه الله ﷻ حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلق.

المرتبة الرابعة: من كان فيه سوء الخلق، وسوء الخلقة.

وهذه أدنى المراتب.

ولا يتعارض هذا مع قول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤.

فالإنسان مكرم على سائر المخلوقات بعقله، ووجهه، وصفاته، يعتبر من أكمل وأجمل أنواع المخلوقات .

وحال الناس في الآخرة على حسب العمل، يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ

وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ١٠٦

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٠٧ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧]..

فوجوه المؤمنين؛ أهل السنة والجماعة، يوم القيامة بيضاء مشرقة منورة سعيدة مطمئة فرحة مستبشرة.

ووجوه الكفار والمشركين والمنافقين والملحدون والمبتدعة، مسودة تعلوها قفرة

غبرة، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمِنُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ٤٠ تَرَهَقُهَا قَفْرَةٌ ٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ٤٢﴾

[عبس: ٤٠-٤٢].

قوله: «فَحَسِّنْ خُلُقِي».

• **الشاهد من الحديث:** أن النبي ﷺ تميز بأعلى درجات ومراتب الجمال الحسي

والمعنوي، جمال الخلقة، وجمال الخلق، والله أعلم



باب الذكر والدعاء

[بَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ]

شرح الشرح:

والكلام على باب الذكر والدعاء من المهمات.
إذ أن ما من عبادة شرعها الله ﷻ إلا ويكون فيها من الأذكار والأدعية ما يكون سبباً لسعادة الدارين.

بيان الفرق بين الذكر والدعاء:

والذكر من دعاء العبادة.

ودعاء العبادة: يشمل جميع العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وجهاد، وقراءة للقرآن، وتسبيح، وتحميد، وغير ذلك من العبادات وهي كثيرة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] طه: ١٢٤ قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله .

ومن عجب شأن الذكر أنه ما من عبادة إلا وفيها من الأذكار والأدعية الخير الكثير.

ودعاء المسألة: يراد به دعاء الطلب، وبيانه أن يسأله العبد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلا، من خيرين الدنيا، والآخرة.

وقد صنف العلماء في باب الأدعية والأذكار المطولات، والمختصرات.

ومن أشهر ذلك: "كتاب الأذكار للنووي رحمه الله".

وقد استفاد من كتابي: "عمل اليوم والليلة"، للإمام النسائي وابن السني رحمهما الله تعالى.

وفي الصحيحين جملة من أبواب الذكر والدعاء، لا يستغنى عنها.

بيان أقسام الذكر:

والذكر والدعاء ينقسم إلى قسمين:

• الأول: الذكر والدعاء المطلق.

فمن المطلقات الحث على ذكر الله ﷻ ودعائه في كل وقت، وفي كل حين.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠).

وهذا دعاء عام، فلم يُحدد الله ﷻ الدعاء في أي وقت، ولا في أي كيفية، ولا في أي مكان، وإنما هو عام في كل وقت، وفي كل مكان، وفي أي كيفية يريد العبد، ويحتاج إليها.

• والأفضل أن يدعو العبد بما ثبت عن النبي ﷺ، فإنه قد أوتي جوامع الكلم.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٣٧٣).

• الثاني: الذكر والدعاء المقيد.

مثل أذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضة، وقبل النوم، والاستيقاظ من النوم، والخروج من المنزل، ودخول الحمام، والجماع، وغيرها مما قيد في وقت وكيفية.

والدعاء المقيد: ما جاء مقيداً في وقت.

مثل: الدعاء في السجود.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عائشة رضي الله عنها -، قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

والدعاء عقب التشهد الأخير:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

وغیرها من الأدعية التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عائشة رضي الله عنها -، أنها قالت: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

ﷺ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

والذكر والدعاء من أعظم أبواب تحصيل الحسنات، وتكفير السيئات.

بيان أوقات الاستجابة:

الأول: الدعاء بين الأذان والإقامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله وغيره: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرُدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»^(٢).

الثاني: الدعاء دبر الصلاة، أي بعد التشهد قبل السلام بعد أن ذكر التشهد قال في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: "ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو"^(٣).

الثالث: الدعاء في السجود.

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٤). وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٥).

الرابع: في آخر ساعة من يوم الجمعة.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن.

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٥) أخرجه مسلم (٤٨٢).

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ: "يُقَلِّلُهَا يَزِيدُهَا"^(١).

وهي آخر ساعة من اليوم .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنه -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عز وجل شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ عز وجل، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(٢).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ - رضي الله عنه -، قَالَ: قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه جَالِسٌ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه: «أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ»، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ. قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ». قُلْتُ: إِنَّهَا لَيَسَتْ سَاعَةً صَلَاةٍ، قَالَ: «بَلَى. إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ، لَا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»^(٣).

الخامس: في الثلث الأخير من الليل.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا

(١) أخرجه مسلم (٨٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٢٣٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٢).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ^(١).

السادس: الدعاء في الطواف حول البيت.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ رَبَّنَا آتْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢).

السابع: الدعاء بين الصفا والمروة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه الطويل في حجة النبي ﷺ، وفيه قال: «ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفا قَرَأَ: ﴿وَإِنْ أَصْفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَاءِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفا، فَارْفَعِي عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَرَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى آتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ...»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٨٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٨٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨).

الثامن: الدعاء يوم عرفة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عائشة رضي الله عنها - رحمها الله -: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يَبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» ^(١).

التاسع: الدعاء عند الجمرات .

ففي البخاري ^(٢): عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، ثُمَّ يَكْبِرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ فَيَسْهَلُ، فَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الْوُسْطَى كَذَلِكَ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيَسْهَلُ وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ قِيَامًا طَوِيلًا، فَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْجَمْرَةَ ذَاتَ الْعَقْبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَلَا يَتَفُ عِنْدَهَا، وَيَقُولُ: «هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُ»

العاشر: الدعاء في السفر .

ففي سنن أبي داود رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - رحمها الله -، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ» ^(٣).
الحادي عشر: دعاء الصائم.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه - رحمها الله -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطَرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ،

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٥٢).

(٣) أخرجه أبو دود (١٥٣٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

يَرْفَعُهَا اللَّهُ دُونَ الْعَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَا أَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»^(١).

الثاني عشر: دعوة المظلوم.

ففي سنن أبي داود رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٢).
بل وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ت قال قال النبي ﷺ: «وَاتَى دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» أخرجه مسلم.

الثالث عشر: دعاء الوالد لولده، أو على ولده.

ففي صحيح مسلم: عن عبادة بن صامت ت قال قال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ».

ففي سنن أبي داود رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»^(٣).

الرابع عشر: الدعاء في الاضطرار.

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه الشطر الأول منه،

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٣٥٨).

(٢) أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه أبو دود (١٥٣٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.

يقول الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ يُحِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَا لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾ (٦٢).

وقد صنف أهل العلم في أوقات الاجابة.

فمعرفة هذا الباب من أهم المهمات؛ إذ أنه لا غنى لمكلف عن دعاء الله ﷻ وذكره.

ولهذا كان من قول النبي ﷺ ووصيته: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»، أخرجه أحمد عن ابن مسعود ت، وجاءت له ألفاظ منها ما أخرجه أبي داود ﷲ وغيره: من طريق عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ، عَنْ الصُّنَابِجِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: "أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ - رضي الله عنه - الصُّنَابِجِيِّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِجِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ" (١).

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه إذا أحب أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»

❦ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:

ويستحب رفع اليدين عند الدعاء في جميع المواطن، إلا المواطن التي دعا فيها النبي ﷺ ولم يرفع يديه فيها.

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح السنن. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (١١٠٧).

ففي الترمذي: من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّ هُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(١).
ثم قال رضي الله عنه: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَرْفَعْهُ".

ولما جاء في صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ؟»^(٢).

وأخرج البخاري (٣٥٦٥) ومسلم برقم (٨٩٥): عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَرَى بَيَاضَ إِبْطِيهِ».

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: «دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ».

أي أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه في الاستسقاء رفعًا مبالغًا فيه؛ حتى ظن الراوي أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل بطن كفيه إلى الأرض، وظهور كفيه إلى السماء؛ وليس كذلك.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني رحمته الله في

صحيح السنن.

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

بيان بعض موانع استجابة الدعاء:

الأول: الاعتداء في الدعاء لقول رسول الله ﷺ "يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت فلا - أو فلم - يستجب لي" أخرجه مسلم عن أبي هريرة ت.

يقول الله ﷻ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦]..

الثاني: التعجل في الاستجابة .

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»^(١).

الثالث: أن يدعو بإثم، أو بقطيعه رحم.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»^(٢).

الرابع: تعاطي الحرام لبسًا وشربًا وأكلًا .

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ،

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٥).

وَمَطْعُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذْيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ
لِذَلِكَ؟^(١).

الخامس: الدعاء من قلب غافل لاه ساهٍ.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»^(٢).

ثم قال رحمه الله: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

سَمِعْتُ عَبَّاسًا الْعَنْبَرِيَّ يَقُولُ: أَكْتُبُوا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِيِّ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ.

• **تنبيه:** لا يلزم من استجابة الدعاء حصول المطلوب بل إن له ثلاث حالات:

الأول: حصول المطلوب .

الثاني: دفع مثله من المرهوب .

الثالث: إيدار الأجر إلى يوم القيامة فعن أبي سعيد الخدري ت قال قال النبي

ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى

ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من

السوء مثلها» أخرجه الترمذي .



(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان تعين النطق بالذكر

١٥٥٢ - (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن النطق شرط في الذكر .

ويغني عن هذا الحديث ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(٢).

قوله: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى» أي: في الحديث القدسي .

وفيه: إثبات أن الله ﷻ يتكلم بحرف وبصوت .

قوله: «أَنَا مَعَ عَبْدِي» المراد به: المؤمن، والعبودية هنا: عبودية تشريف .

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٨١٥)، بسند صحيح، وعلَّقه البخاري قبل حديث (٣٧٩٢)

بصيغة الجزم. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في سنن ابن ماجه (٣٧٩٢)، وفي صحيح الترغيب والترهيب

(١٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

بيان تعين النطق بالذكر

قوله: «مَا ذَكَّرَنِي»: سواء كان ذكره في نفسه أو في العامة يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفجار، كما تقدم .

فإن كان الذاكر لله ﷻ في نفسه؛ فإن الله ﷻ يذكره في نفسه المقدسة .

وإن كان الذاكر لله ﷻ في ملا؛ فإن الله ﷻ يذكر عبده ويشني عليه عند الملائكة .

قوله: «وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَا» فيه: أن الذكر لا يكون إلا بالنطق بالشفيتين واللسان .

وأما الذاكر بقلبه؛ فإنه لا يثاب على ذلك، كما يثاب من ذكر الله ﷻ بلسانه .

وبعض أهل العلم: يشترط أن يسمع الذاكر نفسه .

ومعية الله ﷻ لعبده المؤمن معية خاصة به، يوفقه إلى الخير، ويحفظه، وينصره،

ويكلؤه، ويرعاه، ويؤيده .

بيان أقسام معية الله ﷻ لعباده:

وتنقسم المعية إلى قسمين:

الأول: معية خاصة .

وهي معية الله ﷻ مع عباده المؤمنين، كما سبق بيانه .

يقول الله ﷻ: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٤٦) .

الثاني: معية عامة .

وهي معية الله ﷻ مع جميع خلقه .

وهي معية العلم، والإحاطة، والاطلاع والقهر وغير ذلك من خصائص الربوبية .

يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا



بيان تعيين النطق بالذكر



يُلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٤﴾



بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله ﷻ

١٥٥٣ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان أن ذكر الله ﷻ مما ينجي صاحبه يوم القيامة من عذاب الله ﷻ.

قوله: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا»: أي من الأعمال: القلبية، والبدنية، والقولية، وهذا بعد التوحيد والفرائض الواجبات .

قوله: «أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ»: أي: من أسباب السلامة من عذاب الله ﷻ .

قوله: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»: أي: أن ذكر الله ﷻ هو أكثر الأعمال التي تنجي صاحبها من عذاب الله ﷻ يوم القيامة .

والمعنى: أن الذكر من أسباب النجاة .

ومن أرجى الأعمال التي تنجي صاحبها يوم القيامة من عذاب الله ﷻ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٤٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ١٦٦ / ١٦٧) بسند ضعيف، فقال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن طاووس، عن معاذ، به. وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، وطاووس لم يسمع من معاذ كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم، وربما أخطأ فيه أبو خالد الأحمر، فقد أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٠٩) من طريقه، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن جابر، به!.

لأنه مشتمل على توحيد الله ﷻ من قوله: (لا إله إلا الله) ونحوها.
ومشتمل على تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعيب وعن كل ما لا يليق به، من قوله:
(سبحان الله) ونحوها .
ومشتمل على تعظيم الله ﷻ وتكبيره وتمجيده والثناء عليه، وذلك من قوله: (الله أكبر)، (والحمد لله رب العالمين)، ونحو ذلك.
ومشتمل على طلب المغفرة وطلب ستر الذنوب، وذلك من قوله: (استغفر الله)،
وقوله: (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الرحيم)، ونحو ذلك .
ومشتمل على طلب الإعانة من الله ﷻ على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وذلك
من قوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ونحو ذلك .
فإن الله ﷻ إذا ذكر عبده سلمه وعافاه واصطفاه واجتباها، وأعطاه ما يريد من أمور
الدنيا، والآخرة.

وقد كان النبي ﷺ أرفع الناس منزلة، وأعظمهم قدراً عند الله ﷻ؛ لكثرة ذكره لله
ﷻ فعن عائشة، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» متفق عليه.

وربنا ﷻ يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ويقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول: ﴿وَالذِّكْرُ لِلَّهِ كَثِيرًا
وَالذِّكْرُ لِلَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ:

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةِ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١).
والإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم،
قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةِ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ
عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ
أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ
مِائَةِ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١. ٢٦٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

بيان فضل ذكر الله ﷻ

١٥٥٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل الذكر.

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»^(٢).

وجاء عنده: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

قوله: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ»: وبشرط البعد عن مجالس المبتدعة، وطريقتهم، وإنما على طريقة النبي ﷺ، وطريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم: من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، إذ أن الصوفية والرافضة قد أحدثوا في دين الله ﷺ في هذا الباب، وفي غيره من الأبواب ما لم يأذن به الله ﷻ.

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ -رضي الله عنه- عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "مَا أَجَلَسَكُم؟" قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُم؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُم إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»^(١).

قوله: «مَجْلِسًا»: وهذا عام في المساجد وغيرها.

قوله: «يَذْكُرُونَ اللَّهَ» أي: بلسان الحال والمقال وذكر الله ﷻ لفظ عام: فيدخل في ذلك من سبح، وحمد، وكبر، وهلل، وقرأ القرآن، وطلب العلم، واستمع للموعظة، وخطب، وحاضر، وفعل أي فعل فيه ذكر الله ﷻ بل من أعظم ذكر الله ﷻ: معرفة الحلال، والحرام، والتفقه في دين الله ﷻ.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠١).

فليس الذكر مخصوصاً: بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير .
ولذلك كانت مجالس أهل الحديث مجالس ذكر كما هو تفسير غير واحد من
السلف .

قوله: «إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ» أي: أحاطت بهم.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: عن صفوان بن عَسَّالٍ المُرَادِيِّ - رحمه الله -، قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ» .

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رحمه الله -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضِّلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَحِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَحِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩).

بيان فضل ذكر الله

وفي الصحيحين أيضاً: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(١).

قوله: «وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ» أي: رحمة الله ﷻ تنزل عليهم وتغشاهم، فيرجى لهم مغفرة الذنوب، وستر العيوب.

بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:

إذا اجتمعتا افترقتا في المعنى، وإذا افترقا اجتمعا .

فالمغفرة إذا اجتمعت مع الرحمة كان معنى المغفرة: التجاوز عما مضى من الذنوب .

ومعنى الرحمة: التوفيق فيما يأتي على الإنسان .

وإذا افترقتا كانت المغفرة بمعنى الرحمة، وكانت الرحمة بمعنى المغفرة.

قوله: «وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»: وهذا شيء عظيم أن يذكر الله ﷻ عباده الذاكرين له في الملا، عند ملا خير منهم، وهم الملائكة، ويثني عليهم، ولو لم يكن من فضيلة الذكر إلا هذه الخصلة لكفى بها شرفاً ومنزلة.



(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

ذم مجالس الغفلة

١٥٥٥ - (وَعَنْهُ - رحمته - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلوات الله عليه: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - صلوات الله عليه - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَسَنٌ».

شرح:

ساق المصنف رحمته الحديث لبيان ذم الغفلة عن ذكر الله، وذلك أن المجالس التي لا يذكر فيها الله تعالى، ولا يصلى فيها على النبي صلوات الله عليه أنها تكون يوم القيامة حسرة على أهلها.

ولفظه في الترمذي أيضا: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ».

ثم قال رحمته: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه."

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "تَرَةٌ": "يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً".

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْعَرَبِيَّةِ: "التَّرَةُ هُوَ الثَّأْرُ".

قوله: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ»: عام في الرجال، والنساء، ويشترط أن يكون الذكر بعيداً عن الطرق المبتدعة، التي اخترعها الصوفية ومن إليهم.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٠) لكن بلفظ: «ما جلس قوم مجلساً»، واللفظ الذي ذكره الحافظ لأحمد

(٩٩٦٥). وصححه الإمام الألباني رحمته في الصحيحة (٧٦، ٧٧، ٧٨).

ذم مجالس الغفلة

مثل الذكر الجماعي، وضرب الدفوف على ذلك، وهز الرؤوس، وربما حصل الاختلاط بين الرجال والنساء في المولد، ونحوه.

بل وصل الحد ببعضهم أنه يعتقد أن النبي ﷺ يخرج من قبره، ويحضر معهم الذكر، والمولد.

ولهذا تجد أن بعضهم يفرشون الفراش الأبيض، ويزعمونه للنبي ﷺ، وهذا هو الكفر بعينه.

ويقولون:

هذا النبي مع الأحباب قد حضرا
وسامح الكل في ما مضى وجرى
ويقول بعضهم:

مرحباً يا نور عيني مرحباً
مرحباً جد الحسين مرحباً
قوله: «مَقْعَدًا» أي: مجلساً من المجالس، سواء كان ذلك في الليل، أو النهار، واللفظ عام في كل ما كان من ذكر الله ﷻ، وذكر القعود لأنه أكثر حالات الذكر.

قوله: «لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ» أي: في مجلسهم سواء بلسان الحال أو المآل، وإنما أضاعوه في الكلام الذي لا ينفعهم.

بل ربما فيها يضرهم: من الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، والسب، والشتم، واللعن، ونحو ذلك من الكبائر والعظائم والعياذ بالله ﷻ من ذلك.

وتعاطي المحرمات: من الدخان، والخمر، والمسكرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﷻ.

وربما في مشاهدة المحرمات: من الأفلام، والمسلسلات، وسماع المعازف،

والأغاني، ورؤية النساء الكاسيات العاريات إلى غير ذلك من بلاء المجالس.

قوله: «وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ -» فيه: فضيلة الصلاة على النبي ﷺ وقد

جاء في ذم تاركها.

في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١).

وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبٌ لَصَلَاةِ اللَّهِ ﷻ عَلَى الْعَبْدِ عَشْرَةَ مَرَّاتٍ.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه -، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

بيان معنى صلاة الله ﷻ على عبده:

وأصح ما جاء في تفسير ذلك.

ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١٢٠ / ٦): يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣)

[الأحزاب: ٥٦].

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي. وصححه الإمام

الألباني رحمه الله في المشكاة (٩٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: "صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ".
وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: "الدُّعَاءُ".

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يُبْرِكُونَ. اهـ.

قوله: «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: ولعل هذا التحسر يكون والله اعلم قبل أن يدخلوا الجنة؛ لأن من دخلها فلا يحزن، ولا يتحسر، ولا ييأس، ولا يحصل له ما يكدر صفوه أبداً.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ رحمه الله: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) [الأعراف: ٤٣] ^(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧).

ذم مجالس الغفلة

فالله ﷻ ينزع من قلوبهم كل غل، وحسرة، وندامة، وما يكدر صفوهم، ويجعلهم لا يتنعمون فيما أعد لهم في الجنة.

قوله: «يقوم القيامة»: هو يوم الجزاء على العمل، قال الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وكم من الأوقات التي نضيعها في غير ما ينفعنا من ذكر الله ﷻ ونحوه .

وكم هي المجالس التي نجلسها ولا نصلي فيها على النبي ﷺ .

وما نزل البلاء بالناس؛ إلا بسبب البعد عن ذكر الله ﷻ، وعن الصلاة على النبي

ﷺ .

وبسبب الذنوب، والمعاصي .

فإذا ذكرك الله ﷻ وصلك، وكنت محفوظاً بإذن الله ﷻ .



بيان فضل التهليل

١٥٥٦ - (وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات.

والحديث في مسلم: من طريق عمرو بن ميمون، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». وَقَالَ سُلَيْمَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رِبْعِ بْنِ خُثَيْمٍ، بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ فَأَتَيْتُ عَمْرًا بِنَ مَيْمُونٍ فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ مِنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ فَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

قوله: «مَنْ قَالَ» أي: من الرجال، أو النساء، من المسلمين.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: كلمة التوحيد، والإخلاص، وكلمة التقوى والعروة

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) وعنده زيادة: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ»، وساقه مختصراً البخاري بلفظ: «مَنْ قَالَ عَشْرًا، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

الوثقى .

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ .

والدليل: قول الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ

الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) .

قوله: «وَحْدَهُ»: تأكيد للتوحيد، وتأكيد لكلمة الإخلاص .

قوله: «لَا شَرِيكَ لَهُ»: تأكيد للنفي .

قوله: «لَهُ الْمُلْكُ» أي: الملك المطلق العام الشامل لكل المخلوقات في الدنيا،

والآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]

ويقول الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) .

قوله: «وَلَهُ الْحَمْدُ»: المستغرق لكل أنواع المحامد .

فالله ﷻ يحمد على جماله، وكماله، وإحسانه، وفضله سبحانه وتعالى .

والحمد: هو ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم .

وقيل بأن الحمد: الثناء على الله ﷻ على الجميل الاختياري .

بيان أن حمد الله ﷻ يكون على أمرين:

الأول: يحمد لأنه أهل للحمد لعظيم جلاله وحسن فعاله .

الثاني: يُحمد الله ﷻ على ما ينعم به على عباده من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى،

قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] .

قوله: «وهو على كل شيء قدير»: وهذا لفظ عام لا يخرج عنه شيء، فلا يعجزه شيء؛ لكمال علمه، وقدرته، وقوته، ولكماله في جميع أسمائه، وصفاته.

يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾.

قوله: «عَشْرَ مَرَّاتٍ»: وهذا الذكر مطلق يقول العبد في أي وقت شاء .

وما جاء بتقيدها بعد صلاة الصبح، والمغرب، فلا يثبت في ذلك شيء، وقد تكلم العلماء عن تلك الأحاديث .

قوله: «كأنما أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»: فالمحروم من حرم مثل هذه الأجور، وهي سيره العمل، وعظيمة الأجر، تعتبر غنيمة عظيمة يحرص عليها المؤمن أشد الحرص.

مع أن الذي يعتق رقبة له أجر عظيم عند الله ﷻ، فكيف بمن يعتق أربعة أنفس؛ بلا شك سيكون أجره أعظم.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُسْبًا مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ»^(١).

وذكر في الحديث ولد إسماعيل لفضلهم على غيرهم؛ لأمر:

الأول: أنهم من نسل إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء، و خليل الرحمن، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين بعد نبينا محمد ﷺ.

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩).

بيان فضل التهليل

الثاني: أن إسماعيل عليه السلام كان من الأنبياء والرسل، وهو من أجداد النبي

ﷺ.

الثالث: أن إسماعيل عليه السلام هو أول من تكلم العربية الفصحى من الأنبياء والرسل؛ لأنه عاش في مكة مع أمه هاجر عليه السلام عندما تركهم إبراهيم عليه السلام بأمر

الله ﷻ.

قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢٠٥): وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ اسْتِرْقَاقِ الْعَرَبِ خِلَافًا لِمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ قَالَ عِيَاضُ ذَكَرُ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمِائَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ لِلثَّوَابِ الْمَذْكُورِ. اهـ



بيان فضل التسبيح

١٥٥٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل ذكر الله تعالى بالتسبيح ومنه بقولنا: "سبحان الله وبحمده".

وما ساقه المصنف هو اللفظ المتفق عليه .

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٢).
ويقال هذا الذكر مطلقاً: في أي وقت، وله الأجر المترتب عليه بفضل الله تعالى.

ويقال مقيداً: في أذكار الصباح، والمساء.

بيان بعض الأذكار المطلقة:

الأول: التسبيح مائة مرة، أو أكثر من ذلك.

فمن قال: سبحان الله، كتب له من الأجر: عشر حسنات، ومن قال: سبحان الله مائة مرة، كتب له من الأجر: ألف حسنة، وهكذا كلما زاد في الذكر، زاد الله تعالى له

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١)، بزيادة: «في يوم».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

بفضله وبكرمه وبإحسانه الأجر.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -، قال: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيَعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيَكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يَحْطُ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»^(١).

وهكذا في رواية الإمام مسلم جاء الحديث بالتخير: يكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة.

وفي الترمذي بلفظ: «يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ تُكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَتُحْطُ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»^(٢).

قوله: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»: (سبحان الله): أي تنزيه الله ﷻ عن كل نقص وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

(الحمد لله): أي إثبات جميع المحامد لله ﷻ.

فيجمع بين تنزيه الله ﷻ وإثبات جميع محامده.

قوله: «مِائَةَ مَرَّةٍ» أي: يقول ذلك: ويكررها مائة مرة؛ حتى يتحصل على الأجر المذكور في الحديث.

قوله: «حُطَّتْ خَطَايَاهُ» أي: أن فضل هذا الذكر أن الخطايا تحط عن قائله، ويغفرها له.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

قوله: «وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»: (زبد البحر): أي ما يقذفه البحر .

 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٢٠٦): وَيَأْتِي فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ مِنْ أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مُتَوَالِيًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي أَوَّلِ اللَّيْلِ.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ الْكِنَايَةُ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَثَرَةِ.

قَالَ عِيَاضُ قَوْلُهُ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ مَعَ قَوْلِهِ فِي التَّهْلِيلِ مُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ قَدْ يُشْعِرُ بِأَفْضَلِيَّةِ التَّسْبِيحِ عَلَى التَّهْلِيلِ يَعْنِي لِأَنَّ عَدَدَ زَبَدِ الْبَحْرِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ الْمِائَةِ لَكِنْ تَقَدَّمَ فِي التَّهْلِيلِ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ التَّهْلِيلُ أَفْضَلَ وَأَنَّهُ بِمَا زِيدَ مِنْ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَكُتِبَ الْحَسَنَاتِ ثُمَّ مَا جُعِلَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ عِتْقِ الرِّقَابِ قَدْ يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَتَكْفِيرِهِ جَمِيعِ الْخَطَايَا لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ فَحَصَلَ بِهَذَا الْعِتْقِ تَكْفِيرُ جَمِيعِ الْخَطَايَا عُمُومًا بَعْدَ حَصْرِ مَا عَدَدَ مِنْهَا خُصُوصًا مَعَ زِيَادَةِ مِائَةِ دَرَجَةٍ وَمَا زَادَهُ عِتْقُ الرِّقَابِ الزِّيَادَةُ عَلَى الْوَاحِدَةِ وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ التَّهْلِيلُ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُوَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ وَقَدْ مَضَى شَرْحُ التَّسْبِيحِ وَأَنَّهُ التَّنْزِيهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَجَمِيعُ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي ضَمَنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ انْتَهَى مُلَخَّصًا.

قُلْتُ وَحَدِيثُ (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ بْنُ حَبَّانَ وَالْحَاكِمُ^(١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٨٣) وَالنَّسَائِيُّ (١٠٥٩٩) وَالْحَاكِمُ (١٨٣٤) وَابْنُ حَبَّانَ (٨٤٦).

وَيُعَارِضُهُ فِي الظَّاهِرِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ قَالَ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ قَالَ مَا اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَقَالَ الطَّبِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ فِيهِ تَلْمِيحٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مُخْتَصَرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لِأَنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيَهُ لَهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَتَقْدِيسٌ لِصِفَاتِهِ مِنَ النَّقَائِصِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَقَوْلُهُ وَبِحَمْدِهِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْحَمْدِ وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَعْنَى اللَّهِ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْأَفْضَالِ لِلَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَكْبَرَ مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ التَّسْبِيحُ أَفْضَلَ مِنَ التَّهْلِيلِ لِأَنَّ التَّهْلِيلَ صَرِيحٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّسْبِيحُ مُتَضَمِّنٌ لَهُ وَلِأَنَّ نَفْيَ الْآلِهَةِ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ نَفْيٌ لِمُضْمَنِهَا مِنْ فِعْلِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِثَابَةِ وَالْعُقُوبَةِ وَقَوْلُ إِلَّا اللَّهُ إِبْتَاتٌ لِذَلِكَ وَيَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ مَا يَصَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ مِنَ النَّقَائِصِ فَمَنْطُوقُ سُبْحَانَ اللَّهِ تَنْزِيَهُ وَمَفْهُومُهُ تَوْحِيدٌ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَوْحِيدٌ وَمَفْهُومُهُ تَنْزِيَهُ يَعْنِي فَيَكُونُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَفْضَلَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلُ وَالتَّزْنِيَهُ يَنْشَأُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بِمَا حَاصِلُهُ إِنَّ هَذِهِ الْأَذْكَارَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى بَعْضِهَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَوْ أَحَبُّهُ إِلَى اللَّهِ فَالْمُرَادُ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى أَخَوَاتِهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ سَمُرَةَ عِنْدَ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

بيان فضل التسبيح

مُسْلِمٌ^(١) (أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْنَى فَيَكُونُ مِنْ اقْتِصَارٍ عَلَى بَعْضِهَا كَفَى لِأَنَّ حَاصِلَهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّنْزِيهِ وَمَنْ نَزَّهَهُ فَقَدْ عَظَّمَهُ وَمَنْ عَظَّمَهُ فَقَدْ نَزَّهَهُ انْتَهَى وَقَالَ النَّوَوِيُّ هَذَا الْإِطْلَاقُ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ مَحْمُولٌ عَلَى كَلَامِ الْأَدَمِيِّ وَإِلَّا فَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ.

وَقَالَ الْبَيْضاوِيُّ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْكَلَامِ كَلَامُ الْبَشَرِ فَانْ لِّلثَلَاثِ الْأَوَّلَ وَإِنْ وُجِدَتْ فِي الْقُرْآنِ لَكِنَّ الرَّابِعَةَ لَمْ تُوجَدْ فِيهِ وَلَا يُفْضَلُ مَا لَيْسَ فِيهِ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ مُضْمَرَةٍ فِي قَوْلِهِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَوْلِهِ أَحَبُّ الْكَلَامِ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ لَفْظَ أَفْضَلٍ وَأَحَبُّ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْمَعْنَى لَكِنْ يَظْهَرُ مَعَ ذَلِكَ تَفْضِيلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّهَا ذُكِرَتْ بِالتَّنْصِيصِ عَلَيْهَا بِالْأَفْضَلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَذُكِرَتْ مَعَ أَخَوَاتِهَا بِالْأَحْيَةِ فَحَصَلَ لَهَا التَّفْضِيلُ تَنْصِيصًا وَانْضِمَامًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ^(٢) مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا حَتَّى يَقُولَهَا وَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَهِيَ كَلِمَةُ الشُّكْرِ الَّتِي لَمْ يَشْكُرِ اللَّهُ عَبْدٌ حَتَّى يَقُولَهَا وَمِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ بَنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَقُلْ عَلَى أَثَرِهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . اهـ



(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه في التفسير (١٧ / ٤٥٦).

بيان فضل ذكر الله ﷻ المضاعف

١٥٥٨ - (وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتُهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل ذكر الله ﷻ المضاعف.

والحديث في مسلم: عن حديث جُوَيْرِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَصْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعْدِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتُهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمَدَادَ كَلِمَاتٍ».

قوله: «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ»: هي أم المؤمنين رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ.

كانت من سبي غزوة بني المصطلق، أعتقها النبي ﷺ، وتزوجها، وكانت رضي الله عنها ذات بركة على أهلها.

فعن عائشة، قالت: وَقَعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ، أَوْ ابْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مُلَاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فِي كِتَابَتِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦).

البابِ فرأيتها كرهتُ مكانها، وعرفتُ أن رسولَ الله - ﷺ - سيري منها مثلَ الذي رأيتُ، فقالت: يا رسول الله - ﷺ -، أنا جويرية بنتُ الحارثِ، وأنا كان من أمري ما لا يخفى عليك، وإني وقعتُ في سهمِ ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شماس، وإني كاتبْتُ على نفسي، فجئتُك أسألك في كتابتي، فقال رسولُ الله - ﷺ -: «**فهل لك إلى ما هو خيرٌ منه؟**»، قالت: وما هو يا رسولَ الله؟ قال: «**أودِّيَ عَنْكَ كتابُك وأُتَزَوَّجُكَ**» قالت: قد فعلتُ، قالت: فتسامع - تعني الناس - أن رسولَ الله - ﷺ - قد تزَوَّجَ جويريةَ، فأرسلوا ما في أيديهم من السَّبي، فاعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله - ﷺ -، فما رأينا امرأةً كانت أعظمَ بركةً على قومها منها، أعتق في سببها مئةَ أهلِ بيتٍ من بني المُصْطَلِقِ» أخرجه أبو داود .

قوله: «**قَدْ قُلْتُ بِعَدِّكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ**» أي: ثلاث مرات .

قوله: «**لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ**»: وهذا دليل على فضلهن، وبركتهن، وعلى عظيم الأجر فيهن، وعظيم شأنهن .
وقد عد أهل العلم هذا الذكر من أذكار الصباح، ومع ذلك لو قال الإنسان في أي وقت جاز، وكتب الله ﷻ له الأجر العظيم .

وقد جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رحمه الله: من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ صدي بن عجلان - رحمه الله -: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ فَقَالَ: «مَادَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» قَالَ: أَذْكُرُ رَبِّي قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، سُبْحَانَ اللَّهِ**

مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

قوله: «لو وزنت» فيه: دليل على وزن الأعمال.

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ»: كلمة عظيمة متضمنة لتزويه الله ﷻ عن كل النقائص،
والمعائب، ومستلزمة لإثبات جميع المحامد.
وبحمده: هي كلمة عظيمة لإثبات جميع الكمال لله ﷻ، وهي مستلزمة لنفي
جميع النقائص والمعائب.

قوله: «عَدَدَ خَلْقِهِ»: ومخلوقات الله ﷻ لا يعلم عددها إلا هو .

قوله: «وَرِضًا نَفْسِهِ»: وهي صفة عظيمة تتضمن ما يرضي الله ﷻ عن عبده.

قوله: «وَزَنَةَ عَرْشِهِ»: وهذا مما يستدل به على أن أعظم مخلوقات الله ﷻ
العرش.

يقول الله ﷻ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

فهذه الآية صريحة في أن الكرسي أعظم خلقاً، وأوسع خلقاً، من خلق السموات
السبع، ومن خلق الأراضين السبع.

وقد جاء في العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي رحمه الله برقم (٤٥): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -
رضي الله عنه- قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدَّرُ أَحَدُ قَدْرِهِ".

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٩٩٢١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (٢٥٧٨)، وفي صحيح الترغيب
والترهيب (١٥٧٥).

بيان فضل ذكر الله المضاعف

فالله ﷻ هو رب العرش العظيم الواسع المجيد.

ويقول الله ﷻ في وصفه: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ

﴿١١٦﴾﴾.

قوله: «وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ»: يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

نَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَبْحُرٍ مَا نَفَذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

فهذا دليل على عظيم هذا الذكر .

📖 قال النووي في شرح مسلم (١٧ / ٤٤): قَالَ الْعُلَمَاءُ وَاسْتِعْمَالُهُ هُنَا مَجَازٌ

لِأَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُحْصَرُ بَعْدَ وَلَا غَيْرِهِ وَالْمُرَادُ الْمُبَالِغَةُ بِهِ فِي الْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ

أَوَّلًا مَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ الْكَثِيرُ مِنْ عَدَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ زِنَةَ الْعَرْشِ ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ

مِنْ ذَلِكَ وَعَبَّرَ عَنْهُ بِهَذَا أَيْ مَا لَا يَحْصِيهِ عَدُّ كَمَا لَا تُحْصَى) اهـ



بيان الباقيات الصالحات

١٥٥٩ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان الباقيات الصالحات.

وحديث الباب فيه ضعف، ويشهد.

وله ما في سنن الإمام النسائي الكبرى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا جُتَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُتَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقَّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٢).

يقول الله ﷻ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَحَيْرًا مَلَأَ﴾^(٤٦).

والباقيات الصالحات: هي ذكر الله ﷻ.

(١) أخرجه أحمد (١٧١٣)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١٨٨٩)، وهو ضعيف؛ من رواية دارج، عن أبي

الهيثم، ودراج ضعيف، وروايته عن أبي الفتح أشد ضعفاً. وأخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٦١٧) من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣٢٦٤).

(٢) أخرجه النسائي (١٠٦١٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٧).

قوله: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»: سميت بالباقيات، لأنها باقيات في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: وهي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص .
وهي الكلمة التي تفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل الإسلام والكفر، وبين أهل الإيمان والنفاق، وبين أهل الصدق والكذب والفجور .
وهي أفضل الذكر .

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه -، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» ^(١) .
وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي أول ما يدخل بها العبد الإسلام، وآخر ما يخرج بها من الأرض .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عُثْمَانَ رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٢) .
وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ»: وهي كلمة تنزيه لله ﷻ عن كل نقص، وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى .

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وفي صحيح

الترغيب والترهيب (١٥٢٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦) .

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمة.

فمنها ما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»^(١).

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، عن النبي ﷺ قال: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢).

ويؤتى بها للتعجب وللتنزيه، وغير ذلك.

كما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أم سلمة رضي الله عنها -، قالت: استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَرَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحَجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»^(٣).

وفي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه -، أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جُبُّ، فأنخست منه، فذهب فاغتسل ثم جاء، فقال: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» قال: كُنْتُ جُبًّا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة، فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (١١٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٣)، ومسلم (٣٧١).

قوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» فيه: تكبير الله، وتعظيمه، وبيان أن الله ﷻ هو الكبير العظيم الواسع، الذي لا يعجزه شيء، ولا يكرثه شيء، ولم يأت في القرآن إلا بمعناها، كما قال تعالى: ﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] .

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ» فيه: حمد الله ﷻ لأنه يستحق الحمد لذاته، ولكماله، ولعظيم سلطانه.

ويستحق الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى آلائه، ومننه العظيمة الواسعة على خلقه أجمعين.

قوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ومعنى ذلك: أنه لا حول لنا، ولا حيلة، ولا تحول، ولا قوة على أداء ما أوجب الله علينا، وعلى ترك ما نهى الله عنه، إلا بقوة من الله، ومعونة، وتوفيق منه ﷻ.

وهي كنز من كنوز الجنة.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كُنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤).

بيان الباقيات الصالحات

وهذه الكلمات التي ذكرت في حديث الباب يقولها العبد إذا استيقظ من نومه.
ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ - رضي الله عنه -، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»^(٢).

والله أعلم .



(٢) أخرجه البخاري (١١٥٤).

بيان أحب الكلام إلى الله ﷻ

١٥٦٠ - (وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أحب الكلام إلى الله ﷻ.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ عَشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٣).
وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله بلفظ آخر: من حديث أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٨٠١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٤١٨، ١٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنْ أَحَبَّ الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ».

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله أيضًا: من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: "خَبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فَتُح مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]»^(١).

قوله: «وَعَنْ سُمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رضي الله عنه -»: بن هلال بن حريج الفزاري .

قوله: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ» فيه: إثبات صفة المحبة لله ﷻ .

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وهو أَبُو سُلَيْمٍ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَخٍ بَخٍ، لَخْمُسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ " وَقَالَ: " بَخٍ بَخٍ لَخْمُسٍ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيَقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ»^(٢).

قوله: «لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» أي: لا يلزم الترتيب في قولهن .

(١) أخرجه مسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٦٦٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٢٢٩).

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ»: وموطن هذه الكلمات في أدبار الصلوات، والركوع، والسجود.

وعند النزيل في السفر .

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»^(١).

وتقال عند التنزيه، والتعظيم، والتعجب.

وفي كفارة المجلس، وفي أذكار الصباح والمساء والنوم، وغيرها من المواطن.

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ»: ومواطنها كثيرة.

فتقال: عند النوم، والاستيقاظ، وفي دبر الصلاة المفروضة، وعند الرفع من الركوع، وبعد الفراغ من الطعام والشراب، وعند الركوب، وغير ذلك من المواطن.

قوله: «وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في الصحيحين: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - رحمه الله - أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَمُعَاذٌ رضي الله عنه - رحمه الله - رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أَخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِمًا^(٢).

وأيضًا في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - رحمه الله - أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١).

قوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ». وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٢).

وهذه الأذكار يستطيع أن يقولها الإنسان على أي حال، سواء كان راكبًا، أو ماشيًا، أو قاعدًا، أو مضطجعًا.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].
والله الموفق.



(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٥٥٠).

بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة

١٥٦١ - (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، زَادَ النَّسَائِيُّ: «وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»^(٢).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة.

قوله: «وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: عبد الله بن قيس الأشعري، وكان حسن الصوت بالقرآن ففي الصحيحين: من حديث أبي موسى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»^(٣).

فيه: وصية النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، واهتمامه بهم.

قوله: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ» فيه: النداء لمن يتكلم معه باسمه، أو بكنيته؛ حتى يحصل له الانتباه للكلام.

قوله: «أَلَا أَدُلُّكَ» أي: ألا أدلك، وأرشدك، وأبين لك، كنز من كنوز الجنة.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٦) والسياق للنسائي.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي هريرة (٣٥٨)، وضعفها الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة (٦٦٢٢)، وقال فيه: منكر بزيادة: "لا ملجأ..."

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٨)، ومسلم (٧٩٣).

قوله: « عَلَى كَنْزٍ »: الشيء المكنوز: من ذهب، أو فضة، ونحوه .

قوله: « مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ »: وهذا الكنز بلا شك أنه أعظم من الدنيا وما فيها .

قوله: « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » ومعناها: لا حيلة لنا في طاعة الله ﷻ، وفي إقامة ما

أمر الله ﷻ به، وترك ما نهى الله ﷻ عنه؛ إلا بقوة ومعونة وتوفيق من الله.

وقيل: لا تحول لنا من معصية الله ﷻ إلى طاعة الله ﷻ إلا بمعونة وتوفيق من الله

ﷻ.

وقيل: كلمة استرجاع، وهذا القول ضعيف؛ لأن كلمة الاسترجاع: (إنا لله وإنا إليه

راجعون) .

يقول الله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦ ﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ

صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧] .

ففي هذه الكلمة نفي الحول والقوة عن المخلوق إلا إذا أعانه الله ﷻ على ذلك.

ولهذا جاء في السنن: من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا

غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَظْمَايَ وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ»^(١)، والله

الموفق.



(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف السنن.

وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله (٥٨).

الدعاء هو العبادة

١٥٦٢ - (وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ).

١٥٦٣ - (وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَلْفَظٍ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(٢)).

١٥٦٤ - (وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ الدُّعَاءِ»^(٣). وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان منزلة الدعاء، وأنه هو العبادة.

وكان الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به، ولأن الله ﷻ على كل شيء قدير.

يقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤).

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٠)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وزادوا ثم قرأ: «{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}» [غافر: ٦٠]. وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٣٢٩)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١١٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧١) وفيه عبد الله ابن لهيعة ضعيف. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الترغيب والترهيب (١٠١٦)، وشيخنا الحجوري حفظه الله في الصبح الشارق (ص ٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (٨٧٤٨)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن حبان (٨٧٠) والحاكم (١٨٠١)، وفي سننه عمران القطان ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٢٩).

﴿ بيان حكم صرف الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله: ﴾

وصرف الدعاء لغير الله ﷻ في شيء لا يقدر عليه إلا الله ﷻ يعتبر شركاً أكبراً مخرجاً لصاحبه من الملة.

لأن الله ﷻ هو الخالق، القوي، العزيز، ويده تصريف الأمور، ويد فعل كل شيء، وهو على كل شيء قدير، والعالم بكل شيء، ويده الخير كله. وغير الله ﷻ مخلوق عاجز ضعيف، ليس له من الأمر شيء، ولا يقدر على شيء إلا على ما قدره الله ﷻ، ولا يعلم إلا ما علمه الله ﷻ.

ولهذا تجد أن كثيراً من القصص القرآني قد تضمن الحث والترغيب في الدعاء.

قوله: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»: لما سبق معنا بيانه، فقد سمي الله ﷻ الدعاء عبادة، وبين أن من يستكبر عن عبادته ودعائه سيكون من أهل النار المعذبين بها.

قوله: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»: الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ وفي سننه ابن لهيعة، ويغني عنه حديث النعمان .

قوله: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»: يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦).

ويقول الله ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (١٠٠).

ويقول الله ﷻ : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا ۚ وَمَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَاحِقٌ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ رَبًّا ۚ ﴿٦٢﴾

وجاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ»^(١).



(١) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي. وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٩).

بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد

١٥٦٥ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان بعض الأوقات استجابة الدعاء.

ومنها: بين الأذان والإقامة.

وهذا من فضل الله ﷻ، وقد تقدم في أول الباب بيان أوقات الاستجابة فلا داعي للتكرار.

قوله: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ» الأذان: وهو الإعلام بحضور وقت الصلاة.

قوله: «وَالْإِقَامَةُ»: وهي الإعلام بالصلاة، وتعتبر أذاناً ثانياً.

قوله: «لَا يُرَدُّ»: وهذا على الغالب وقد توجد بعض الموانع: من أكل الحرام، أو شربه، أو لبسه، أو الاعتداء في الدعاء كما سبق بيان ذلك.

والله أعلم.



(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٧)، وابن حبان

(١٦٩٦)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٥٣٤).

بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء

١٥٦٦ - (وَعَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَجِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفَرًا»^(١). أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان استحباب رفع اليدين في الدعاء.

وحديث الباب الراجح فيه الوقف، وهو مأخوذ من التوراة، فلا يقال له حكم الرفع.

وسلمان رحمه الله كان فارسياً مجوسياً، ثم أصبح نصرانياً، والتوراة عند النصارى تسمى بالعهد القديم، فكانوا يعظمونها، ويقرأون فيها.

كما أن الإنجيل عندهم يسمى بالعهد الجديد.

قوله: «عَنْ سَلْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو سلمان الفارسي رحمه الله.

قوله: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ»: فهذا الإخبار عن الله ﷻ بأن من أسمائه: الحيي.

والحيي: هو المتضمن لصفة الحياء على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم (١ / ٤٩٧)، وفي سننه

جعفر بن ميمون الأنماطي قال الحافظ: صدوق يخطئ. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب

والترهيب (١٦٣٥)، وفي صحيح أبي داود (١٣٣٧)، وفي المشكاة (٢٢٤٤).

قوله: «كريم»: والكريم، والأكرم من أسماء الله ﷻ الحسنى الثابتة له في القرآن أيضاً.

يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦).

ويقول الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (٣).

📖 قال السعدي (ص: ٩٤٦): الكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآية. اهـ

قوله: «يستحي من عبده»: فيه إثبات صفة الحياء على ما يليق بجلاله . وهذا من تفضل الله ﷻ على عباده.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٦٦).

وفي الصحيحين: من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: "جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا

بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء

اِحْتَلَمْتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرَبَّتْ يَدَاكِ، فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا»^(١).

بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:

قوله: «إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا».

فيه: دليل على أن من أسباب استجابة الدعاء رفع اليدين عند الدعاء.

وهذا الحديث وإن كان لا يثبت عن النبي ﷺ مرفوعاً.

فقد جاء ما يغني عنه في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»^(٢).

والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (٦٠٩١)، ومسلم (٣١٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

١٥٦٧ - (وَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ»^(١)). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ).

وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْهَا:

١٥٦٨ - (٢) حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: عَنْ أَبِي دَاوُدَ^(٣). وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ^(٤)).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء.

وأحاديث الباب منكراً ضعيفة، لم تثبت عن النبي ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٦) وفيه حماد بن عيسى تفرد به، وهو ضعيف، قال أبو داود: «ضعيف، روى

أحاديث منكير». وضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء (٤٣٣).

(٢) في المخطوط زيادة "من".

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٨٥) وضعفه بسند فيه مبهم بلفظ: «سلوا الله بيطون أكفكم»، ولا تسألوه بظهورها، فإذا

فرغتم فامسحوا بها وجوهكم». وقال أبو داود: "روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب، كلها

واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف - أيضاً -". وقال أبو حاتم في: «العلل» (٢ / ٣٥١): "هذا حديث

منكر".

(٤) قال البيهقي في «الكبرى» (٢ / ٢١٢): فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء، فلست أحفظه عن

أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة، وقد روي فيه عن

النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث فيه ضعف، وقد أنكره الإمام مالك - أي: مسح الوجه - وكرهه

سفيان، ولم يسمع أحمد فيه بشيء.

بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء

وقد جاءت في الباب بعض الآثار؛ ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى مشروعية مسح الوجه باليدين بعد الانتهاء من الدعاء.

والصحيح أن فعل مثل هذا من البدع المحدثه التي ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان .

بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:

ومثل هذا الفعل تقبيل المصحف بعد الانتهاء من القراءة، فهذا أيضًا من البدع المحدثه؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم .

ولو كان مستحبًا، أو مندوبًا ؛ لفعله النبي ﷺ .

والصحابه رضي الله عنهم من بعده، والله الموفق .



بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ

١٥٦٩ - (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(١). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان فضل الصلاة على النبي ﷺ.

وحديث الباب ضعيف في اسناده موسى بن يعقوب وهو ضعيف وعبدالله بن كيسان مجهول ويغني عنه الأحاديث الصحيحة .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنَزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١)، وفي سنده عبد الله بن كيسان مجهول، وموسى بن يعقوب

سئى الحفظ. وقد كان ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في ضعيف الترمذي (٤٨٤)، وفي ضعيف الجامع (١٨٢١)،

ثم رجع إلى تحسينه كما في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٨).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عَنْدهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ»^(١).

قال الترمذي: وَيُرَوَّى عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ: "إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً فِي الْمَجْلِسِ أَجَزَّ عَنْهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ".

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث حسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٢).

وأما ما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من طريق الطفيل بن أبي كعب، عَنْ أَبِيهِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرَّبْعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالْثُلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلْ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذَا

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي (١٢٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة

تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»^(١).

ثم قال ﷺ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

فالحديث في إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف .

والصلاة على النبي ﷺ من أسباب صلاة الله ﷻ على العبد، وإذا ﷻ على أحد من عباده غفر له، ورحمه.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»^(٢).

فالصلاة من الملائكة: هي الدعاء للمسلم بالمغفرة، وبالرحمة، وبالتوفيق للتوبة.

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه: "جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام".

وللإمام أسماعيل القاضي أحد أحفاد حماد بن زيد كتابًا في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

وقد نقل منه الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه العظيم: "تفسير القرآن" عند قول الله ﷻ:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

٥٦

والله الموفق.



بيان سيد الاستغفار

١٥٧٠ - (وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان سيد الاستغفار .

والحديث بطوله في البخاري: من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ" قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمِيسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

قوله: «وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رضي الله عنه -»: وليس لشداد بن أوس رضي الله عنه في صحيح

(١) زيادة عن المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) وليس عنده لفظ: "العبد"، وإن كان عند غيره، وزاد: «من قالها من النهار، موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، و«أَبُوءُ»: أعترف.

الإمام البخاري رحمه الله إلا هذا الحديث.

وكما أنه ليس له في صحيح الإمام مسلم رحمه الله إلا حديثاً واحداً فقط: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^(١).

وحديث سيد الاستغفار من أذكار الصباح والمساء.

📖 قال الحافظ في الفتح (١١ / ٩٩): **قَوْلُهُ** سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ قَالَ الطَّبِيُّ لَمَّا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ جَامِعًا لِمَعَانِي التَّوْبَةِ كُلِّهَا اسْتُعِيرَ لَهُ اسْمُ السَّيِّدِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الرَّئِيسُ الَّذِي يُقْصَدُ فِي الْحَوَائِجِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ.

قَوْلُهُ أَنْ يَقُولَ أَيُّ الْعَبْدِ وَتَبَتْ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيَّ (إِنَّ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ) وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ) وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ (تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ).

قَوْلُهُ (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي) كَذَا فِي نُسْخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ بِتَكْرِيرٍ أَنْتَ وَسَقَطَتِ الثَّانِيَّةُ مِنْ مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) وَالْبَاقِي نَحْوُ حَدِيثِ شَدَّادٍ وَزَادَ فِيهِ (آمَنْتُ لَكَ مُخْلِصًا لَكَ دِينِي).

قَوْلُهُ: (وَأَنَا عَبْدُكَ) قَالَ الطَّبِيُّ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُؤَكَّدَةً وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّرَةً أَيْ أَنَا عَابِدٌ لَكَ وَيُؤَيِّدُهُ عَطْفُ.

قَوْلُهُ (وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ) سَقَطَتِ الْوَاوُ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ قَالَ الْخَطَّابِيُّ يُرِيدُ أَنَا عَلَى

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

مَا عَهْدْتُكَ عَلَيْهِ وَوَعَدْتُكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَكَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَا مُقِيمٌ عَلَى مَا عَهْدْتُ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِكَ وَتَمَسَّكَ بِهِ وَتُنْتَجِزُ وَعْدُكَ فِي الْمَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ وَاشْتِرَاطُ الْإِسْطِطَاعَةِ فِي ذَلِكَ مَعْنَاهُ الْإِعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِ تَعَالَى وَقَالَ بَن بَطَّالٍ **قَوْلُهُ** وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ يُرِيدُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ حَيْثُ أَخْرَجَهُمْ أَمْثَالَ الذَّرِّ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَاقْرَأُوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَذْعُنُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَبِالْوَعْدِ مَا قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ إِنْ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ **وَقَوْلُهُ** وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُرَادَ بِالْعَهْدِ الْإِثْبَاقَ الْمَأْخُوذَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ وَهُوَ التَّوْحِيدُ خَاصَّةً فَالْوَعْدُ هُوَ إِدْخَالُ مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ قَالَ وَفِي **قَوْلِهِ** مَا اسْتَطَعْتُ إِعْلَامٌ لِأُمْتِهِ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِثْبَانِ بِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلَا الْوَفَاءِ بِكَمَالِ الطَّاعَاتِ وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ فَرَفَقَ اللَّهُ بِعِبَادِهِ فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَسْعَهُمْ وَقَالَ الطَّبِّيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ مَا فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ كَذَا قَالَ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَوْضَحُ.

قَوْلُهُ: (أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ) سَقَطَ لَفْظُ لَكَ مِنْ رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَأَبُوءُ بِالْمُوحَدَةِ وَالْهَمْزِ مَمْدُودٌ مَعْنَاهُ اعْتَرَفُ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رِبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ وَاعْتَرَفُ بِذُنُوبِي وَأَصْلُهُ الْبُوءُ وَمَعْنَاهُ الزُّرُومُ وَمِنْهُ بَوَّاهُ اللَّهُ مَنْزِلًا إِذَا أَسْكَنَهُ فَكَأَنَّهُ أَلْزَمَهُ بِهِ.

قَوْلُهُ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي أَيُّ اعْتَرَفُ أَيْضًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَحْمِلُهُ بِرَغْمِي لَا أَسْتَطِيعُ صَرْفَهُ عَنِّي وَقَالَ الطَّبِّيُّ اعْتَرَفَ أَوَّلًا بِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَقْيِدْهُ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ ثُمَّ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِأَدَاءِ شُكْرِهَا ثُمَّ بَالِغَ فَعْدِهِ ذَنْبًا مُبَالِغَةً فِي التَّقْصِيرِ وَهَضَمَ

النَّفْسِ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ **قَوْلُهُ** أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي اعْتَرَفُ بِوُقُوعِ الذَّنْبِ مُطْلَقًا لِيَصَحَّ
الِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ لَا أَنَّهُ عَدَّ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ ذَنْبًا.

قَوْلُهُ: (فَاعْغِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ غُفِرَ
لَهُ وَقَدْ وَقَعَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ الطَّوِيلِ وَفِيهِ الْعَبْدُ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ
اللَّهُ عَلَيْهِ، **قَوْلُهُ:** (مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا أَيْ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ مُصَدِّقًا بِثَوَابِهَا) وَقَالَ الدَّأُودِيُّ
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ إِنْ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ وَمِثْلُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي
الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ لِأَنَّهُ بُشِّرَ بِالثَّوَابِ ثُمَّ بُشِّرَ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ فَثَبَتَ الْأَوَّلُ وَمَا زِيدَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ
يُبَشِّرُ بِالشَّيْءِ ثُمَّ يُبَشِّرُ بِأَقْلٍ مِنْهُ مَعَ ارْتِفَاعِ الْأَوَّلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَاسِخًا وَأَنْ
يَكُونَ هَذَا فِيمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَغْفِرُ لَهُ بِهِ ذُنُوبُهُ أَوْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ مِنَ
الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ لَمْ يَنْتَقِلْ مِنْهُ بِوَجْهِ مَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَذَا حَكَاهُ بْنُ
التِّينِ عَنْهُ وَبَعْضُهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَأَمُّلٍ **قَوْلُهُ** وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فَإِنْ
قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ وَفِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ لَا يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ
قَدْرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ أَوْ حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدْرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ **قَوْلُهُ** فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَنَّةِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ
قَالَ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ جَمَعَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي وَحُسْنِ الْأَلْفَاظِ مَا
يَحِقُّ لَهُ أَنَّهُ يُسَمَّى سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ فِيهِ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ وَحُدَّةُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالِاعْتِرَافُ
بِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَالْإِقْرَارُ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ
مَا جَنَى الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِضَافَةُ النِّعَمَاءِ إِلَى مُوجِدِهَا وَإِضَافَةُ الذَّنْبِ إِلَى نَفْسِهِ وَرَغْبَتُهُ
فِي الْمَغْفِرَةِ وَاعْتِرَافُهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى

بيان سيد الاستغفار

الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَإِنَّ تَكَالِيفَ الشَّرِيعَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذَا الْقَدَرُ الَّذِي يُكْنَى عَنْهُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَوْ اتَّفَقَ أَنَّ الْعَبْدَ خَالَفَ حَتَّى يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا قُدِّرَ عَلَيْهِ وَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ بَيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ إمَّا الْعُقُوبَةُ بِمُقْتَضَى الْعَدْلِ أَوْ الْعَفْوُ بِمُقْتَضَى الْفَضْلِ انْتَهَى مُلَخَصًا وَقَالَ أَيْضًا مِنْ شُرُوطِ الْإِسْتِغْفَارِ صِحَّةُ النِّيَّةِ وَالتَّوَجُّهُ وَالْأَدَبُ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا حَصَلَ الشُّرُوطُ وَاسْتَغْفَرَ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ وَاسْتَغْفَرَ آخَرَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ لَكِنْ أَخْلَ الشُّرُوطِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ فَالْجَوَابُ أَنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ اللَّفْظَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا يَكُونُ سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ إِذَا جَمَعَ الشُّرُوطَ الْمَذْكُورَةَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ



بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار

١٥٧١ - (وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»^(١). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان فضل هذا الذكر والدعاء في الصباح، وفي المساء.

وكان المصنف رحمه الله ساق هذا الحديث والذي قبله للدلالة وللإرشاد إلى تعلم أذكار الصباح، والمساء.

بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:

١ - منها حديث ابن عمر ت المذكور في الباب .

٢ - ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله:

من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِذَا أَمْسَى قَالَ:

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٦)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والحاكم

(١٩٠٢). وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٣٨٧١)، وفي صحيح

الترغيب والترهيب (٦٥٩)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (٧٦٥).

«أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^(١).

٣- وما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقَرٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»^(٢).

٤- وما جاء في السنن: من طريق أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عن عُثْمَانَ ابْنِ عَفَانَ - رضي الله عنه -، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجَاءَةٌ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ».

وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنُ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

- النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا»^(١).
- ٥- جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أَتُنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).
- ٦- جاء في السنن: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»^(٣).
- ٧- ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةً مَرَّةً، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدًا قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»^(٤).
- ٨- ما جاء شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رحمه الله: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في

صحيح السنن، وحسنه في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٣١)، وحسنه الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٣٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي في سننه (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله

في صحيح السنن.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ "قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

٩- ما جاء من حديث أبي هريرة، أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله -ﷺ-، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: "قُل: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ" أخرجه أحمد .

١٠- ما جاء عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ " متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم.

قوله: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ» أي: أنه كان ﷺ يداوم عليهما، لعظيم نفعهما،

قوله: «حِينَ يُمْسِي» أي: حين أن يأتي عليه المساء، وهو من بعد الظهر إلى الغروب.

وقيل: من بعد أذان العصر إلى غروب الشمس.

قوله: «وَحِينَ يُصْبِحُ» أي: من بعد طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ» أي: كان النبي ﷺ يسأل الله ﷻ العافية، ونحن ينبغي لنا أن نفعل ما فعله النبي ﷺ.

فهذا من الأدعية المباركة، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه يشمل العافية في كل أمور الدين، والدنيا، والآخرة.

قوله: «فِي دِينِي» أي: يسأل الله ﷻ العافية في دينه؛ فيسلم من الذنوب: من الشرك والكفر بالله ﷻ، ويسلم من البدع، والخرافات، والكبائر، وغيرها.

قوله: «وَدُنْيَايَ»: وسأل النبي ﷺ ربه العافية في دنياه. حتى يسلمه من الآفات، ومن المصائب، والأحزان، والأمراض، والأسقام، وكل شيء يؤذي الإنسان في هذه الدنيا.

قوله: «وَأَهْلِي»: فيسلم من معرتهم، ومن آذاهم، وما يلحق بسببهم. **قوله: «وَمَالِي»**: حتى يسلم من السرقة، والضياع، والفساد، والكسب الحرام، وكل الآفات التي تصيب المال: من الربا، وغير ذلك.

قوله: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي»: وسأل النبي ﷺ ربه أن يستر عوراته. سواء كانت العورات الحسية: من القبل، والدبر، والآفات التي تلحق بهما. أو العورات المعنوية: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر، وغير ذلك. **قوله: «وَأَمِنْ رَوْعَاتِي»** أي: آمن مخاوفي؛ فيشمل كل ما يخافه الإنسان: من أمر دينه، أو دنياه، أو آخرته.

يقول الله ﷻ: ﴿إِذَا تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٩١٠]..

قوله: «وَأَحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ» أي: من أمامي.

قوله: «وَمِنْ خَلْفِي» أي: أن يأتيني عدوي من خلفي على غرة مني.

قوله: «وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي» أي: واحفظني من جهة يميني، ومن جهة شمالي.

قوله: «وَمِنْ فَوْقِي» أي: من جهة فوق، وإن يأتيني أمر لا أحتمله، ولا أطيعه، ويكون فوق قدرتي، وصبري.

ويكون الحفظ من الفوق: أي من الصواعق، والبرق، ومطر العذاب، وغير ذلك. ويشمل جميع الأسلحة التي تأتي من الفوق: كالتائرات، والصواريخ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

قوله: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» أي: ويتعوذ مما قد يحصل له من ضرر وغيلة من تحته: كالألغام، وما يكون في الأرض: من لدغ الحيات، والعقارب، والثعابين، وذوات السموم الأخرى، وغيرها مما يؤذي الإنسان. فهذا الحديث عظيم، فمن دعا الله ﷻ بهذا الدعاء العظيم، واستجاب الله ﷻ له دعائه هذا.

فإن الله ﷻ سيسلمه من جميع الآفات والمصائب والمعائب الدينية، والدنيوية؛ التي قد تصيب الإنسان، من كل الجهات المحيطة به،

وسؤال العافية من المتعينات على كل إنسان، في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه-، قال:

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ ﷻ، قَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، فَمَكْتُتُ أَيَّامًا ثُمَّ

جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

وفي الصحيحين: من طريق سالم أبي النضر، مولى عمر بن عبيد الله، وكان كاتباً له، قال: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه، فَقَرَأْتُهُ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، أَنْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْنَاهُمْ وَانْصِرْنَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من طريق معاذ بن رفاعه، أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رضي الله عنه -، عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ الْأَوَّلِ عَلَى الْمِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٣).

والله أعلم.



(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سنته (٣٥٥٨)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم

١٥٧٢ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» ^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم.

وقد أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في الدعاء، والخطابة، والموعظة، وجميع شأنه.

قال أبو الطيب في عون المعبود (٤ / ٤٠٥):

(وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ) : أَي نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَمِنْحَةِ الْإِحْسَانِ وَالْعِرْفَانِ بِضَمِّ
الْوَاوِ الْمُشَدَّدَةِ أَيِ انْتِقَالِهَا مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ .
(مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ)

فَإِنْ قُلْتَ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّوَالِ وَالتَّحَوُّلِ ؟ قُلْتَ : الزَّوَالُ يُقَالُ فِي شَيْءٍ كَانَ ثَابِتًا
فِي شَيْءٍ ثُمَّ فَارَقَهُ ، وَالتَّحَوُّلُ تَغْيِيرُ الشَّيْءِ وَانْفِصَالُهُ عَنْ غَيْرِهِ ، فَمَعْنَى زَوَالِ النِّعْمَةِ
ذَهَابُهَا مِنْ غَيْرِ بَدَلٍ ، وَتَحَوُّلُ الْعَافِيَةِ إِبْدَالُ الصِّحَّةِ بِالْمَرَضِ وَالْغِنَى بِالْفَقْرِ ، وَفِي بَعْضِ
نُسَخِ الْكِتَابِ وَتَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى
مَفْعُولِهِ

(وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ) : بِضَمِّ الْفَاءِ وَالْمَدِّ ، وَفِي نُسْخَةٍ بَفَتْحِ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).



بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم



بِمَعْنَى الْبَغْتَةِ ، وَالنِّقْمَةِ بِكَسْرِ النُّونِ وَبِفَتْحِ مَعَ سُكُونِ الْقَافِ وَكَفَرَحَةِ الْمُكَافَأَةِ بِالْعُقُوبَةِ
وَالِإِنْتِقَامِ بِالْغَضَبِ وَالْعَذَابِ ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ
(وَجَمِيعِ سَخَطِكَ) : أَيُّ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَوْ جَمِيعِ آثَارِ غَضَبِكَ . اهـ
والحمد لله رب العالمين .



الاستعاذة من غلبة الدين

١٥٧٣ - (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»^(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

شرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان الاستعاذة من غلبة الدين وما في بابه.

وللحديث شواهد:

منها: ما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ - رضي الله عنه -: «الْتِمَسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَى خَيْرٍ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ - رضي الله عنه - مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»^(٢).

ومنها: ما في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه -: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»^(٣).

قَالَ سُفْيَانُ: «الْحَدِيثُ ثَلَاثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لَا أَذْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ».

(١) أخرجه أحمد (٦٦١٨)، والنسائي (٥٤٧٥)، والحاكم (١٩٤٥)، بسند صحيح، وله شواهد في

الصحيحين. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٥٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧).

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ»: لأن الرجل إذا زاد دينه، وعجز عن قضائه: حدث فكذب، ووعد فأخلف.

ففي الصحيحين: من حديث عائشة، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ " فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(١).

وقد قيل: "لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين".

وقال بعضهم: "الدين هم في الليل، ومذلة في النهار".

قوله: «وَعَلَبَةُ الْعَدُوِّ».

وغلبة العدو: هو بمعنى قهر الرجال، وغلبة الرجال .

ففي لفظ الإمام الترمذي رحمه الله في سننه: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»^(٢).

وفي سنن أبي داود رحمه الله: من حديث أبي موسى الأشعري - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٧، ٥٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٨٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

شُرُورِهِمْ»^(١).

قوله: «وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» فيه: الاستعاذة من شماتة الأعداء.

وقد قال الله ﷻ مخبراً عن هارون عليه السلام وهو يخاطب أخاه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشِمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.



(١) أخرجه أبو داود (١٥٣٧)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف أبي داود ﷺ، وذكره الإمام الوادعي ﷺ تعالى في كتابه أحاديث معلقة ظاهرها الصحة (٢٨٩).

الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم من أسباب الاستجابة

١٥٧٤ - (وَعَنْ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»،^(١) الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(٢). أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان أن الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم من أسباب الاستجابة.

وفي الحديث أن أسماء الله ﷻ تتفاضل مع أن كلها حسنى .

واختلف أهل العلم في بيان الاسم الأعظم على أقوالاً كثيرة:

📖 قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٢٢٤-٢٢٥): وَقَدْ أَنْكَرَهُ قَوْمٌ

كَأَبِي جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمَا كَأَبِي حَاتِمِ بْنِ حَبَّانٍ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ.

فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ بَعْضِ الْأَسْمَاءِ عَلَى بَعْضٍ.

وَنَسَبَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِمَالِكٍ؛ لِكِرَاهِيَّتِهِ أَنْ تُعَادَ سُورَةُ أَوْ تُرَدَّدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ

(١) في المخطوط زيادة "أنت".

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦١٩)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)،

وابن حبان (٢٣٨٣)، وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٣٤١).

السُّور؛ لَيْتَلَا يُظَنَّ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَيُؤْذَنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ نُقْصَانِ الْمَفْضُولِ عَنِ الْأَفْضَلِ.

وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ: عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْظَمِ الْعَظِيمُ، وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ.

وَعِبَارَةُ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ: اخْتَلَفَتِ الْأَثَارُ فِي تَعْيِينِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ؛ إِذْ لَمْ يَرِدْ فِي خَيْرٍ مِنْهَا أَنَّهُ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ، وَلَا شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْهُ.

فَكَانَهُ يَقُولُ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى يَجُوزُ وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ أَعْظَمَ فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى عَظِيمٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ بَن حَبَّانَ: الْأَعْظَمِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَخْبَارِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَزِيدُ ثَوَابِ الدَّاعِي بِذَلِكَ، كَمَا أُطْلِقَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِهِ مَزِيدُ ثَوَابِ الْقَارِئِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِسْمِ الْأَعْظَمِ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى دَعَا الْعَبْدُ بِهِ مُسْتَعْرِقًا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِي فِكْرِهِ حَالْتِيذٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنْ مَنْ تَأْتَى لَهُ ذَلِكَ اسْتُجِيبَ لَهُ.

وَنُقِلَ مَعْنَى هَذَا عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَعَنِ الْجُنَيْدِ وَعَنْ غَيْرِهِمَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ وَلَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَثْبَتَهُ آخَرُونَ مُعَيَّنًا وَاضْطَرَبُوا فِي ذَلِكَ وَجُمَلُهُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ

قَوْلًا:

الْأَوَّلُ: الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ هُوَ.

نَقَلَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكَشْفِ.

وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْبِرَ عَنْ كَلَامٍ مُعْظَمٍ بِحَضْرَتِهِ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَنْتَ قُلْتَ كَذَا، وَإِنَّمَا يَقُولُ هُوَ يَقُولُ تَأْذُبًا مَعَهُ.

الثاني: الله.

لِأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمِنْ ثَمَّ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

الثالث: الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَلَعَلَّ مُسْتَنَدَهُ مَا أَخْرَجَهُ بَنُ مَاجَهَ: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: "أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَصَلَّتْ وَدَعَتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللَّهُ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا». قُلْتُ: وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ وَفِي الْإِسْتِدْلَالِ بِهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى^(١).

الرابع: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

لِمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٣)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»، أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي نُسْخَةٍ صَحِيحَةٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ شَهْرِ بْنِ

(١) في «الزوائد»: في إسناده مقال، وعبدالله بن عكيم وثقه الخطيب وعده من الصحابة، ولا يصح له سماع، وأبو شيبه لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات. انتهى قلت: أبو شيبه كذبه أبو حاتم وقال البخاري في حديثه عن ابن عكيم نظر.

حَوْشِبِ.

الخامس: الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

أَخْرَجَ بَن مَاجَه: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ - رضي الله عنه -: «الاسْمُ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُورٍ: الْبَقْرَةَ وَالْإِمْرَانَ وَطه»، قَالَ الْقَاسِمُ الرَّازِي عَنْ أَبِي أَمَامَةَ التَّمَسُّتُهُ مِنْهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَقَوَاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُمَا يَدُلَّانِ مِنْ صِفَاتِ الْعَظَمَةِ بِالرَّبُوبِيَةِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُهُمَا كَدَلَالَتِهِمَا.

السادس: الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

وَرَدَ ذَلِكَ مَجْمُوعًا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ - رضي الله عنه - عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَصَحَّحَهُ بَن حِبَّانَ.

السابع: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى: مِنْ طَرِيقِ السَّرِيِّ بَن يَحْيَى عَنْ رَجُلٍ مِنْ طِي وَأَثْنَى عَلَيْهِ قَالَ: "كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِينِي الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَأَرَيْتُهُ مَكْتُوبًا فِي الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ. الثَّامِنُ: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَ لِلتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بَن جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيَّ صلی الله علیه وسلم رَجُلًا يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ».

وَاحْتَجَّ لَهُ الْفَخْرُ بِأَنَّهُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ.

لِأَنَّ فِي الْجَلَالِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ السُّلُوبِ.

وَفِي الْإِكْرَامِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ الْإِضَافَاتِ.

التَّاسِعُ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَبْنُ مَاجَةَ وَبْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ أَرْجَحُ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

الْعَاشِرُ: رَبِّ رَبِّ.

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَبْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِلَفْظٍ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ رَبِّ رَبِّ».

وَأَخْرَجَ بَنُ أَبِي الدُّنْيَا: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَبَّيْكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَ»، رَوَاهُ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا.

الْحَادِي عَشَرَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ.

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُيَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - رَفَعَهُ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ».

الثَّانِي عَشَرَ: نَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْإِسْمَ الْأَعْظَمَ فَرَأَى فِي النَّوْمِ: «هُوَ اللَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

الثَّالِثَ عَشَرَ: هُوَ مَخْفِيٌّ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الْمُتَقَدِّمُ لَمَّا دَعَتْ بَعْضَ الْأَسْمَاءِ وَبِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَقَالَ لَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا».

الرَّابِعَ عَشَرَ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

نقله عياض . اهـ

❁ فالراجع من هذه الأقوال: أن الاسم الأعظم لله ﷻ هو اسم الله؛ لأنه اسم مختص بالله ﷻ، ولم يتسم به غيره، ولأنه تضاف إليه جميع الأسماء .

فنقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس وهكذا.

ولا نقول: الرحمن الرحيم الله.

ولأنه الاسم الدال على ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وذلك بالمطابقة، والتضمن، والالتزام.

وفي حديث بريدة، وحديث أنس بن مالك، - ﷺ - .

وقال النبي ﷺ: «لقد سأل الله ﷻ باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

قوله: «سَمِعَ النَّبِيُّ - ﷺ - رَجُلًا»: لم يذكر اسم الرجل؛ فهو مبهم ولكن لا يضر ذلك؛ لأنه من الصحابة ﷺ، وكلهم عدول ثقات.

والإبهام في المتن لا يضر.

قوله: «يَقُولُ» أي: يقول هذا الدعاء في آخر صلاته.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ»: اللهم: معناه يا الله.

قوله: «بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ» أي: أقر وأعترف وأتقاد بأنك أنت الله الإله الذي يستحق أن يعبد .

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أي: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وغير الله ﷻ إن عبد لعبادته باطلة.

كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ

وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١٢).

قوله: «الْأَحَدُ»: الأحد والواحد: كلاهما من أسماء الله ﷻ.

ومعناها: المنفرد فيما يختص به: من ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات.

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

(٣)﴾ [الإخلاص: ١-٣]..

ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (١٥).

قوله: «الصَّمَدُ»: من أسماء الله ﷻ الحسنى.

ومعناه: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، فهم محتاجون ومفتقرون إليه.

وقيل: هو الذي لم يلد، ولم يولد، فسر.

وقيل: هو الذي لا جوف له.

وقيل: هو السيد الذي كمل في سؤدده، وكمل في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

قوله: «الَّذِي لَمْ يَلِدْ»: لكماله، ولغناه، عن خلقه سبحانه وتعالى، يقول الله ﷻ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ

مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ

وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ

عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

فحصول الولد للمخلوق يعتبر من الكمال في حقه؛ للمحافظة على الجنس

البشري.

وأما حصول الولد في حق الخالق سبحانه وتعالى، فهو ممتنع.

فالله ﷻ هو الحي الذي لا يموت، والغني الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يلحقه نقص بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى.

قوله: «وَلَمْ يُولَدْ»: لأن الله ﷻ الخالق وما سواه مخلوق.

قوله: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» الكفاء: هو الشبيه، والمثيل، والند، والسمي.

فالله ﷻ لا مثيل، ولا شبيه، ولا ند، ولا سمي له؛ لا في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه، وصفاته.

قوله: "فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»"

أي: لقد سأل الله ﷻ باسمه الأعظم كما جاء مصرحاً به.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّ - رحمه الله -، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله: من حديث أَنَسٍ - رحمه الله -، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهُ؟

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن، وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله.

دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمَ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ^(١).

والتوسل بأسماء الله ﷻ الحسنى، وصفاته العلا، من أسباب استجابة الدعاء، والله
الموفق .



(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٤)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح السنن. وهو في

الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٠١).

بعض أذكار الصباح

١٥٧٥ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا أَصْبَحَ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أُمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». وَإِذَا أُمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(١). أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان ما يقال في أذكار الصباح وفي أذكار المساء.

وقد تقدم معنا ذكر بعض الأحاديث في أحاديث سابقة.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -»: كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «إِذَا أَصْبَحَ» أي: من بعد الفجر إلى أن تطلع الشمس.

قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا»»: أي: أن صباحنا بك، أنت الذي أحيتنا في هذا الوقت، وأنت الذي سخرت لنا ما نحن فيه.

قوله: «وَبِكَ أُمْسَيْنَا» أي: أن مساءنا بك، فأنت الذي تعين، وتحفظ.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٤)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨). وعند أبي داود: «وإليك النشور» في دعاء الصباح والمساء، وأما النسائي فعنده في دعاء المساء: «وإليك النشور». قال ومرة أخرى: «وإليك المصير». وأما ابن ماجه والترمذي فروايتهما للحديث من أمره - صلى الله عليه وسلم - «إِذَا أَصْبَحْتُمْ فَقُولُوا...»، أو: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فليقل: ...»، وعند الترمذي في دعاء الصباح: «وإليك المصير». وفي دعاء المساء: «وإليك النشور»! وأما ابن ماجه ففي دعاء المساء كما قال الحافظ، إلا أنه في دعاء الصباح ليس عنده: «وإليك النشور». وهو حديث صحيح، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٦٢، ٢٦٣)، والإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند (١٤٠١).

بعض أذكار الصباح

قوله: «وَبِكَ نَحْيَا» أي: أنت الذي خلقتنا وأوجدتنا من العدم بعد أن لم نكن شيئاً مذكوراً.

فحياتنا كانت بك، فأنت الذي أحييتنا، وموتنا كذلك يكون بك، فأنت الذي تميتنا بأجلك الذي قدرته علينا.

يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]..

قوله: «وَبِكَ نَمُوتُ» أي: بأجلك الذي قدرته لنا للموت.

قوله: «وَالَيْكَ النُّشُورُ» أي: وإليك بعثنا ونشورنا من قبورنا يوم القيامة.

يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُعْثِيَنَّ لَكُمْ لَنْبَنُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْتُمْ أَيَّامًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٨١﴾﴾.

قوله: "وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَالَيْكَ الْمَصِيرُ»".

وكثيراً من أذكار الصباح والمساء تجتمع، ويقع الخلاف في بعضها.

وقال بعض أهل العلم: فيها دققة.

وهي لما كان الليل محل إيواء، ونوم، ورجوع، وتقع فيه الوفاة الصغرى، جاء

النبي ﷺ بقوله: «وَالَيْكَ الْمَصِيرُ».

بعض أذكار الصباح

والمصير والنشور بمعنى واحد: وهو أن المرجع والمآل يوم القيامة إلى الله ﷻ، فيجازي كل عامل بعمله سبحانه وتعالى.

ولهذا ينبغي على كل مؤمن، وعاقل، وبالأخص طالب العلم أن لا يترك أذكار الصباح، والمساء، والنوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج: من البيت، والمسجد، والحمام، وكل ما ثبت عن النبي ﷺ في الأذكار.

وكذلك الأذكار التي تقال عقب الصلوات المكتوبة؛ لما فيها من الأجور العظيمة، ولما فيها من الخير، والبركة، والدفع والحفظ للإنسان من الشرور، والبليات: من ذوات السموم، وشياطين الإنس، والجن، ثم إن فيها التأسى بالنبي ﷺ.

بيان معنى قول الله ﷻ: (الذاكرين الله كثيراً والذاكرات):

قال بعض أهل العلم: أن من حافظ على الأذكار الثابتة عن النبي ﷺ: في الصباح، المساء، وأدبار الصلوات المكتوبة، والنوم، وعند الاستيقاظ، وعند الدخول والخروج: من المسجد، والبيت، والحمام، وغيرها من الأذكار، أنه يعتبر من الذاكرين الله ﷻ كثيراً ومن الذاكرات.

فإذا عجزنا عن ذكر الله ﷻ وشكره في كل وقت، كما كان النبي ﷺ يذكر الله ﷻ على كل أحيانه، فلا أقل من أن نذكر الله ﷻ في الأوقات التي شرعت لنا.

يقول الله ﷻ: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُمُوسُ وَحِينَ نَتَّهِيُونَ ۖ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (١٨) [الروم: ١٧١٨].

ولقد رأينا بركة الدعاء، وما أصابنا ما أصابنا، ووقع بنا ما وقع من النقص العلمي والعملية، أو المالي، أو الديني، إلا حين فرطنا في الدعاء.

بعض أذكار الصباح

حيث يقسو القلب، وتزداد الهموم والغموم، وتقل البركات؛ لأن المرء إذا ذكر الله ﷻ ذكره الله ﷻ، وإذا ذكره الله ﷻ: أعانه، وغفر له، ووفقه لكل خير، ووقاه من كل شر وضير، وكان منصوراً على أعدائه، وكان محفوظاً من كل من يريد أن يوقع به الشر، وكان معاناً على كل أمر يريده من أمور: الدين، أو الدنيا، أو الآخرة.

فمن ذكر الله ﷻ في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن جمع بين

ذكر الله في نفسه، وعند الملائكة؛ كان ذكر الله له في نفسه، وعند ملائكته.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَرٍّ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

ففي سنن الإمام ابن ماجه رضي الله عنه: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعُطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، تَذْكُرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٩)، وصححه الإمام الألباني رضي الله عنه في صحيح وضعيف ابن ماجه.

بيان جوامع الدعاء

١٥٧٦ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان عظم وبركة هذا الدعاء؛ لأنه اشتمل على خيرى الدنيا والآخرة.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجَّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تَطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ، فَشَفَّاهُ»^(٢).

قوله: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ» وهذا معناه: أن النبي ﷺ كان له أدعية غير هذا الدعاء، ولكن كان النبي ﷺ أكثر ما يلزم هذا الدعاء؛ لما اشتمل عليه من خيرى: الدنيا، والآخرة.

قوله: «رَبَّنَا» أي: يا ربنا، وأغلب أدعية القرآن أكثرها بهذا الاسم العظيم، وهو

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٨٨).

الرب.

ومما استنكر في حديث سرد الأسماء الحسنی في سنن الإمام الترمذي، الذي جاء من طريق الوليد بن مسلم، أن هذا الاسم مذكورًا فيه.

قوله: «آتَا» أي: اعطنا.

قوله: «فِي الدُّنْيَا» أي: في الحياة الدنيا.

قوله: «حَسَنَةً».

قيل: التوحيد.

وقيل: العلم.

وقيل: العمل بالعلم.

والدعاء بقولنا: ربنا آتانا في الدنيا حسنة، يشمل كل خير في الدنيا، والدين.

قوله: «وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً».

قيل: الجنة.

وقيل: النظر إلى وجه الله ﷻ.

وقيل: رضوان الله ﷻ.

وهذا الدعاء أيضًا يشمل كل خير في الآخرة: من دخول الجنة، ومن رضوان الله،

والنظر إلى وجهه الكريم.

قوله: «وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ»: فإذا صرف الله ﷻ عن العبد عذاب النار، وسخطه،

وعقابه، فقد وقاه شر الدنيا، وشر الآخرة.

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

الله ﷻ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦]..

فالنار أعظم مصيبة على أهلها الخالدين فيها: فهم لا يهنئون فيها بشراب، ولا بطعام، ولا بنوم، ولا لباس، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾^(٧٤) لَا يُفْرَغُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَاوُا يَمَلِكُ لِيَفْضَعْ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ حَسَنَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨]..

وزادهم على ذلك أن الله ﷻ يقول لهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ انشُرُوا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٧٢)، والنسائي (٥٥٢١)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في

صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي ﷺ (١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٥٨٨).

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١١١]..

ويقول الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَيْنَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ١-٧]..

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابَا ﴿٢٢﴾ لِيَبْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبا: ٢١٣٠]..

نسأل الله السلامة والعافية من عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن سحق الله ﷻ، وعقابه، وعذابه.



بيان بعض أدعية النبي ﷺ التي فيها جوامع الكلم

١٥٧٧ - (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

شرح الشرح:

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان بركة هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو

به .

قوله: «أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -»: هو عبد الله بن عيس الأشعري اليماني، وقد تقدم معا بيان ذلك.

قوله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - يَدْعُو»: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي» أي: اغفر لي وتجاوز عن ذنوبي.

وطلب المغفرة: هو ستر ما مضى، والتوفيق لما سيأتي.

يقول الله ﷻ: ﴿وَلِي لَغَفَارٍ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث أبي ذر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٨١٩).

عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(١).

قوله: «وَجَهْلِي»: يشمل كل ما فعله الإنسان عن جهل.

• وقد يراد بالجهل أمرين:

الأول: ما كان من غير علم بالحكم الشرعي.

الثاني: وقد يراد بالجهل ما كان فيه الخروج عن الطبيعة من الغضب وغير ذلك.

والنبي ﷺ بعيد عن هذه الأمور .

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ

فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ١٧ ۝ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ [النساء: ١٧-١٨] .

قوله: «وَأِسْرَافِي فِي أَمْرِي»: وهذا يشمل الإسراف في كل شيء .

والإسراف: هو مجاوزة الحد الشرعي الذي أباحه الله ﷻ إلى غيره مما حرمه الله

ﷻ .

وقد يكون الإسراف في الكلام، وإضاعة الوقت؛ إذا حصل التجاوز من العبد للحد

الشرعي .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "ذَكَرَ رَجُلًا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ - قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَرِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا - فَسَرَهَا قِتَادَةً: لَمْ يَدَّخِرْ - وَإِنْ يَقْدَمَ عَلَى اللَّهِ يُعَذِّبُهُ، فَاَنْظُرُوا فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ - وَرَبِّي - فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَفَاهُ أَنْ ﷺ، فَحَدَّثْتُ أَبَا عَثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ»^(١).

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»: وهذا الدعاء هام جدًا؛ فإن العبد لا يقتصر بالتوبة والاستغفار على ما يعلمه من الذنوب، والخطايا، والآثام. فقد يكون عنده من الذنوب، والخطايا، والآثام، ما الله ﷻ به عليم، وهو لا يعلم بذلك.

وقد يقع العبد في الذنوب، والمعاصي، وهو لا يعلم. ولهذا جاء في صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث عائشة - رضي الله عنها - عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللَّهَ، قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»^(٢).

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي»: فأعاد النبي ﷺ طلب المغفرة من الله ﷻ؛ لأن الله

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٦).

ﷺ يحب الإلحاح في الدعاء، ويحب من عبده التضرع بين يديه.

والجد: هو ما يفعله الإنسان عن عمد، وقصد .

قوله: «وَهَزَلِي» **الهزل:** ما يفعله في المزاح، ونحو ذلك.

قوله: «وَحَطَّيْ» **أي:** وما فعلته عن خطأ مني.

قوله: «وَعَمْدِي» **أي:** وما فعله الإنسان عن تعمد وقصد، وهو بمعنى الجد.

قوله: «وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي»: فعم النبي ﷺ بعد ما خص بعض الأدعية، وهذا يفيد أن التكرار في الدعاء، مرغبا فيه سواء كان بلفظه أو معناه .

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» **أي:** اغفر لي ما قدمت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام فيما مضى من عمري.

قوله: «وَمَا أَخَّرْتُ» **أي:** واغفر لي ما أخرت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام، فيما بقي لي من عمري.

قوله: «وَمَا أَسْرَرْتُ» **أي:** وما أسررت من الذنوب في خلوتي، ونفسي.

قوله: «وَمَا أَعْلَنْتُ» **أي:** في جلوتي .

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي»: كرر الدعاء بهذا حتى يفيدنا الإلحاح، وأن العبد ينبغي له أن يكرر مثل هذا الدعاء، الذي فيه التفويض لله ﷻ فيما يعلمه من ذنوب العبد، ومعاصيه؛ لأن العبد قد يذنب ويكثر من الذنوب وينسى ذلك.

قوله: «أَنْتَ الْمُقَدِّمُ»: يتوسل إلى الله ﷻ باسمه المقدم؛ فالله ﷻ يقدم من شاء من عباده: بالأعمال الصالحة، والتوفيق لها، والعلم، والجاه، والمنصب، والمال، وفق

حكيمته البالغة.

قوله: «وَالْمُؤَخَّرُ»: ويتوسل إلى الله ﷻ باسمه المؤخر.

إذ أنه يؤخر من يشاء من عباده بمعصيته.

فطاعة الله ﷻ والحرص عليها، والمسابقة إليها، والمصارعة، والمبادرة سبب من

أسباب تقديم الله ﷻ للعبد في الدين، والدنيا، والآخرة.

ومعصية الله ﷻ، والذنوب، من أسباب تأخير الله ﷻ لعبده في الدين، والدنيا،

والآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧).

فالتقدم من العبد: يكون بطاعة الله ﷻ: بفعل أو امره، واجتناب نواهيه .

والتأخر: يكون بمعصية الله ﷻ، والتساهل في ذلك .

قوله: «وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»: وذلك لكمال علمه وقدرته، يقول الله ﷻ :

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤).



الدعاء بصلاح الدين والدنيا

١٥٧٨ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلَحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلَحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلَحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

شرح الشرح:

والحديث أخرجه البزار رضي الله عنه: من حديث الزبير - رضي الله عنه -، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَفِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرِي وَفِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا بَلَاغِي، وَاجْعَلْ حَيَاتِي زِيَادَةً فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(٢).

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٧١٦): تَضَمَّنَ الدُّعَاءُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ بَلْ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى سُؤَالِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ فِي قَضَائِهِ عَلَيْهِ وَنُزُولِهِ بِهِ رَاحَةً مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ شُرُورِ الْقَبْرِ لِعُمُومِ كُلِّ شَرٍّ أَيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ. اهـ

قوله: «وَأَصْلَحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي» أي: وأصلح آخرتي التي إليها معادي يوم القيامة.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٠).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (٩٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رضي الله عنه (٣٣٨).

يقول الله ﷻ: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

ولا تصلح الدنيا، والآخرة؛ بمثل تقوى الله ﷻ.

يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى

عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ

بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قوله: «وَأَجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِّي فِي كُلِّ خَيْرٍ»: لأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً،

فكل يوم له في أجور عظيمة، وحسنات كثيرة، وحتى يأتيه الأجل.

وقد نهى النبي ﷺ أن يدعو المرء على نفسه بالموت.

ففي صحيح الإمام مسلم ﷺ: من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا»^(١).

وفي سنن الإمام الترمذي ﷺ: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ -رضي الله عنه-، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ»^(٢).

قوله: «وَأَجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِّي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٩)، وصححه الإمام الألباني ﷺ في صحيح وضعيف الترمذي.

الدعاء بصلاح الدين والدنيا

كما جاء في الصحيحين: من حديث أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»^(١).
والله أعلم.



(١) أخرجه البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠).

الدعاء بالعلم النافع

١٥٧٩ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي»^(١). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ).
١٥٨٠ - (وَلِلتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَرِزْقِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»^(٢). وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ).

شرح الشرح:

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -»: كان: تفيد اللزوم والاستمرار.
قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي»»: أي: اجعل علمي ينفعني من حيث العمل به.

وهذا كقوله ﷺ: "اللهم إني أسألك علماً نافعاً".
ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:
إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»^(٣).

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٧٨١٩)، والحاكم (١٨٧٩)، ويشهد له ما بعده. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٣٣)، وفي سنده محمد بن ثابت مجهول، وموسى بن عبيدة الربذي متروك. وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٣٥٩٩): "صحيح دون قوله: "والحمد لله...".

(٣) أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله: من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - رضي الله عنه -، قَالَ: "لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(١).

فالعلم النافع: هو العلم الذي يورث لصاحبه العمل: بالكتاب، وبالسنة النبوية. **والعلم الذي لا ينفع:** هو العلم الذي لا يعمل به أو المأخوذ من غير الكتاب والسنة على فهم السلف رضوان الله عليهم .

﴿بيان العلم الذي لا ينفع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة:

قوله: «وَعَلَّمَنِي مَا يَنْفَعُنِي»: لأن من العلم ما لا ينفع .

فمن العلوم التي لا تنفع صاحبها، بل تضره، وربما أوصلته إلى الكفر والردة عن دينه: كعلم السحر، وعلم الشعوذة، وعلم الكهانة، والكلام، وغير ذلك من العلوم التي تتسبب لصاحبها الضرر العظيم في دينه.

﴿بيان العلم النافع لصاحبه:

وهناك علوم تنفع صاحبها في الدنيا، والآخرة: وعلى رأسها علم التوحيد، وعلم ما يضاد التوحيد وينقصه: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر؛ حتى يحذرهما.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

وعلم الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي ﷺ، هو أصل العلوم، وهو النافع لصاحبه في الدنيا، والآخرة.

﴿بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا:

كعلم الطب، والهندسة، والحساب، وغير ذلك من العلوم التي قد ينال بها العبد في الدنيا المنفعة، وهي في أصلها ليست مخالفة للكتاب، والسنة. وربما انتفع بها في الآخرة؛ إذا احتسب فيها الأجر، وقصد منفعة الإسلام والمسلمين.

قوله: «وَأَرْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي» فيه: أن العلم النافع رزقاً من الله ﷻ يعطيه من شاء، يقول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وقد أحسن من قال:

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل
قوله: «وَلِلتَّرمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

بل الحديث ضعيف جداً؛ في إسناده موسى بن عبيدة الربذي شديد الضعف، وشيخه محمد بن ثابت مجهول.

قوله: «وزدني علماً»: على ما تقدم.

قوله: «الحمد لله على كل حال»: إذ أن الله ﷻ يحمد على عدله وفضله، فالإنسان المؤمن يحمد الله ﷻ على كل حال من أحواله.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما - رحمهما الله -، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَأَوَانِي، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله: من حديث عائشة رضي الله عنها - رحمها الله -، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢).

وحين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يحمد ربنا ﷻ.

كما قال ﷻ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

قوله: «وأعوذ بك من حال أهل النار»: فهو بئس الأحوال، عذاب مستمر ولا ينقطع، وكلما مر عليهم وقتاً زادهم الله ﷻ عذاباً إلى عذابهم.

كما قال الله ﷻ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٤)، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٥).
[النساء: ٥٦].



(١) أخرجه أبو داود (٥٠٥٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف ابن ماجه.

الدعاء بخيري الدنيا والآخرة

١٥٨١ - (وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»^(١). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

شرح الشرح:

هذا الحديث عظيم، وهو من جوامع أدعية النبي ﷺ.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»: إذ أنه دعاء عام يشمل كل خير: في أمور الدين، والدنيا والآخرة. وسواء كان الخير في الأمور الحسية، أو المعنوية.

فالخير كله بيد الله ﷻ؛ لأنه هو صاحب الفضل، والكرم، والعطاء، والإحسان. فالخير كله بيد الله ﷻ يعطيه من شاء، ويوفق له من شاء من عباده، سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، وخير الرازقين، وأرحم الراحمين.

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦) بسند صحيح، وابن حبان (٨٦٩)، والحاكم (١٩١٤)، وفي سند ابن حبان

سقط. وصححه الإمام الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٥٤٢).

زد على ذلك أن النبي ﷺ علم عائشة رضي الله عنها أن تقول: "ما علمت منه، وما لم أعلم".
فالخير قد يعلمه بعض الناس، وبعضه قد لا يعلم، ولكن الله ﷻ بكل شيء عليم.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ».

وهذا أيضًا يشمل كل الشرور والآثام الحسية، والمعنوية.

سواء كانت في أمور الدين، أو الدنيا، أو الآخرة، فينبغي للمؤمن أن يستعين بالله ﷻ من جميع الشرور.

ويدخل فيه أيضًا الاستعاذة من الأمراض، والأسقام، والابتلاءات، الحسية، والمعنوية.

سواء ما كان منها بالشبهات، أو بالشهوات.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ»: وهذا تمام لما تقدم.

وفيه: دليل على أن الإنسان إذا عجز عن الدعاء بما ثبت عن النبي ﷺ.

فيشرع له أن يدعو بما دعاه به النبي ﷺ على الإجمال.

ويشرع له أن يدعو بما دعا به الصالحون من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإن في دعائهم الخير، والبركة، لما فيه من البعد عن البدع والمحدثات.

وفيه: دليل على أن النبي ﷺ عبد لا يعبد، ونبي لا يكذب.

وفيه: رد على الغلاة في نبينا محمد ﷺ من الصوفية، ومن نحا نحوهم.

وفيه: رد على الجفاة في نبينا ﷺ: من اليهود، والنصارى، وسائر الكفار

والمشركين والملحدين والمجوس وغيرهم.

الذي كفروا بنبوة نبينا ﷺ، ولم يسلموا، أو ينقادوا لهذا الدين العظيم.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ».

فيه: تكرار للسؤال من الله ﷻ، وفيه الإلحاح على الله ﷻ بالدعاء.

فالجنة هي المقصد الذي يريده كل عبد صالح مؤمن بالله ﷻ، وبرسوله ﷺ.

قوله: «وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أي: وأسألك ما قرب إلى الجنة من

الأعمال الصالحة، سواء كانت بالقلب، أو اللسان، أو الجوارح.

فالعبادات المتعلقة باللسان: كالذكر، والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن

المنكر، وتعليم العلم الشرعي، والموعظة، والتذكير، والنصح، والإرشاد، وغير ذلك من العبادات القولية.

والعبادات المتعلقة بالجوارح: كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله

ﷻ، والزكاة، والصدقة، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وبذل المعروف لكل مسلم، وغير ذلك من الأعمال المتعلقة بالجوارح.

والعبادات المتعلقة بالقلب: كالإخلاص، والرجاء، والخوف، والتوكل،

والخشية، والرغبة، والخضوع، والاستكانة، والتذلل، والحب، والرغبة، وغير ذلك من العبادات القلبية.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ» فيه: الاستعاذة من النار، ومن عذاب جهنم، لشدته،

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

قوله: «وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ» أي: واستعيذ بك من الأعمال السيئة،

والذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام التي تقرب من النار وتكون سببا في دخولها.

وعلى رأسها الشرك، والكفر بالله ﷻ، والردة عن دين الإسلام؛ فإن هذه الأعمال تخلد صاحبها في نار جهنم .

قوله: «وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

إذ أنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، سبحانه وتعالى.

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (٣٦).

ويقول الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨).

❦ مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟

📖 قال الطيبي في شرح المشكاة (٥ / ١٧٠٩):

القضاء الأمر المقدر، في تأويل الحديث وجهان:

أحدهما: أن يراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه، ويتوقاه، فإذا وفق

للدعاء دفع الله عنه، فتكون تسميته بالقضاء علي المجاز، ويزيد توضيحه ما سئل ﷺ

((أرأيت رقى نسترقها- إلي قوله: قال ((هي من قدر الله)) فقد أمر الله تعالى بالدعاء

والتداوي، مع علم الخلق بأن المقدور كائن؛ لأن حقيقة المقدور وجودا أو عدما

مخفية عنهم،

وثانيهما: أن يراد به الحقيقة، فيكون معنى رد الدعاء القضاء، تهوينه وتيسير الأمر فيه حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل به، ويؤيده الحديث التالي: ((إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل)) أما نفعه مما نزل عليه، فصبره عليه، وتحمله له، رضاه به، حتى لا يكون في نزوله متمنياً خلاف ما كان، وأما نفعه مما لم ينزل، فهو أن يصرفه عنه، أو يمدد قبل النزول بتأييد من عنده، حتى تخف معه أعباء ذلك إذا نزل به.

قال أبو حامد الغزالي: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، كذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾. فقدّر الله تعالى الأمر وقدر سببه، وفي الدعاء من الفوائد ما ذكرنا من حضور القلب، والافتقار، وهما نهاية العبادة والمعرفة. اهـ



كفارة المجلس

١٥٨٢ - (وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١)).

شرح:

ختم المصنف رحمه الله الكتاب الجليل بهذا الحديث العظيم، كما ختم الإمام البخاري رحمه الله كتابه الصحيح الجامع بهذا الحديث.

وقد جاء في معناه حديث عائشة، وأبي ברزة الأسلمي وأبي هريرة رضي الله عنه، في بيان كفارة المجلس وفي بعضها كلام لأهل العلم رحمهم الله تعالى.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنه -، أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسٍ خَيْرٍ وَمَجْلِسٍ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله: من حديث أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه -، قَالَ: كَانَ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٥٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود: صحيح دون قوله:

"ثلاث مرات".

كفارة المجلس

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: بِأَخْرَجَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»^(١).

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله: من حديث عائشة - رضي الله عنها -، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وخرج طرق هذه الأحاديث مع ذكر شواهدا الإمام ابن كثير رحمه الله في آخر تفسير سورة الصافات.

وهكذا الحافظ ابن حجر رحمه الله في آخر شرح على صحيح البخاري .

والأحاديث المتقدمة تدل على مشروعية المجيء بكفارة المجلس .

قوله: «كَلِمَتَانِ» أي: جملتان؛ لأن الكلمة تأتي بمعنى الجملة المفيدة.

يقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا

تَرَكْتُ ۚ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ويقال أفضل كلمة هي: لا إله إلا الله؛ لأنها كلمة التوحيد لله ﷻ.

ويقال: أصدق كلمة قالها شاعر:

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٥٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف أبي داود.

(٢) أخرجه النسائي (١٣٤٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف النسائي، وهو في الصحيح

المسند للإمام الوادعي رحمه الله (١٥٩٨).

ألا كل شيء ما خلق الله باطل.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ ... وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ»^(١).

قوله: «حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ» فيه: إثبات صفة المحبة لله صلى الله عليه وسلم، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله صلى الله عليه وسلم.

فثبت ذلك على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

يقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١١).
فالله يُحِبُّ من عباده المؤمنين، ويُحِبُّ عباده المؤمنين، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قوله: «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ» أي: عند النطق بهما في اللسان.

قوله: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ» أي: عند وزن صحائف الأعمال يوم القيامة تكون في الميزان ثقيلة.

وبهذا الحديث وغيره من الأدلة احتج أهل العلم على وزن الأعمال يوم القيامة. وقد تقدم أن الميزان حقيقي توزن به الأعمال، ويوزن به العامل، وتوزن به صحائف الأعمال.

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

وله كفتان، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في قصة البطاقة .

قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» أي: تنزيهه لله ﷻ عن كل نقص، و عيب، وما لا يليق به سبحانه وتعالى .

وبحمده: لكماله المقدس من كل وجه .

العظيم: الذي بلغ في العظمة منتهاها، فهو سبحانه وتعالى لا أعظم منه، ولا أكبر منه، ولا أجل منه، ولا أحد يوصف بصفاته سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

﴿٩٩﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩] ..

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢) ..

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ..

ويقول الله ﷻ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) ..

ويقول الله ﷻ: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) ..

ويقول الله ﷻ: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (١٧) ..

ويقول الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) ..

ويقول الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ (١) ..

ويقول الله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ .

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله: من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه - قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيحَانٌ مَزْرُورَةٌ بِالْدِّيْبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ " ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوْحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: أَمْرُكَ بِائْتِنِينَ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَمْرُكَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، فَصَمَتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ " قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبَرُ؟ قَالَ: الْكِبَرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لِهَمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: " لَا " قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: الْكِبَرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: " لَا " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبَرُ؟ قَالَ: " سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ »

(١)

وفي مسلم: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٣)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله (١٣٤)، وهو في الصحيح المسند للإمام

كفارة المجلس

«الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا»^(١).

فسبحان الله: كلمة للتنزيه وبحمده: كلمة للإثبات، فيجمع في وصف الله ﷻ بين النفي، والإثبات، تنفي عن الله ﷻ كل العيوب والنقائص، وتثبت له كمال.

قال ابن رجب في الفتح (٣/ ٣٤٥): وقد كان النبي - ﷺ - يختتم مجالسه بكفارة المجلس، وأمر أن تختتم المجالس به، وأخبر أنه إن كان المجلس لغوا كانت كفارة له، وروي ذلك عن جماعة من الصحابة، فإذا وقع اللغو في المساجد ثم ختم المجلس بكفارته، فهو شبيه بالبصاق في المسجد ودفنها بعده. اهـ

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

وسبحانك اللهم وخمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .
وكان الانتهاء من التعليق على هذا الكتاب
في السادس والعشرين من شهر شعبان
لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة
في مسجد الصحابة مدينة الغيضة
فنسأل الله ﷻ القبول والسداد
والحمد لله رب العالمين^(١)



(١) وكانت الانتهاء من المراجعة المفرغة في ليلة الجمعة ١ / صفر / ١٤٤٢ هـ

وكان الانتهاء من مراجعة كتاب هبة السلام شرح بلوغ المرام ليلة الثلاثاء ١٨ / ربيع الآخر ١٤٤٣ و الله الحمد
والمنة.

إجازة كل من حضر أو تابع درس بلوغ المرام

✽ قال أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الجبوري الزعمري:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

• فقد أجزت كل من حضر هذا المجلس، أو تابع هذا الدرس في مروياتي عن الحافظ ابن حجر شهاب الدين: "أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ابن حجر بن أحمد العسقلاني".

وكانت حياته: بين سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة وسنة اثنين وخمسين وثمانمائة

ﷺ الله.

أرويه عن شيخنا العلامة المحدث محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الأتيوبي الولولي ﷺ.

عن والده العلامة الجليل، والدرك النبيل، الفقيه الأصولي، علي بن آدم الأتيوبي، يرويه عنه قراءة لكثير منه، وإجازة لباقيه.

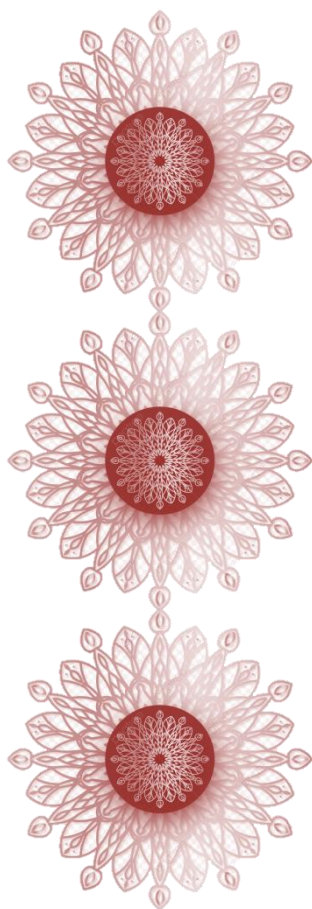
والعلامة محمد زين الثاني بن محمد ياسين، والشيخ عبد الباسط محمد بن حسن الأتيوبي البروني المناسي، والشيخ حياة بن علي الأتيوبي الدري، أربعتهم عن العلامة المقرئ المحدث محيي السنة، وقامع البدعة، الشيخ كبير أحمد بن عبد الرحمن الحسني العدّي أبا العقيلي الدوي بلدًا، المتوفى في التاسع من الشهر الأول لعام تسعين وثلثمائة وألف هجري، عن العلامة عبد الجليل بن يحيى الدلّتي، عن والده يحيى بن بشير الدلّتي، عن والده بشير الدلّتي، عن المفتي داود بن أبي بكر الدوّي،

عن شيخه السيد سليمان بن يحيى مقبول الأهدل، عن عبد القادر ابن الخليل المدني،
عن محمد بن أحمد بن سالم، عن عبد الغني وعبد الرحمن المجذ، عن النجم
الغزي، عن البدر، عن القاضي زكريا، وعن مؤلفها الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمهم الله.

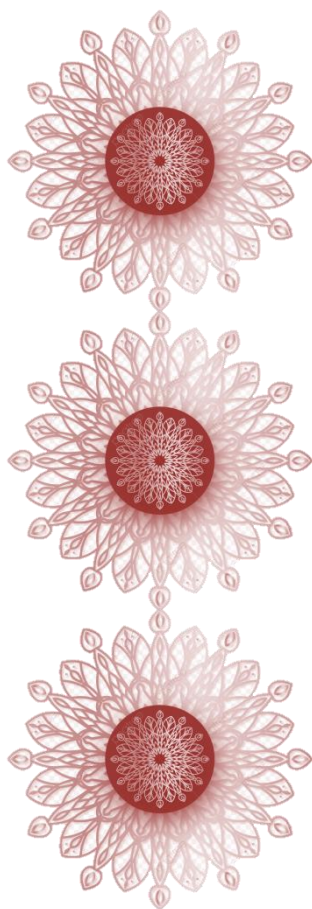
وبالله التوفيق^(١)



(١) وكان إملاء هذا السند والإجازة في ليلة السابع والعشرين من شعبان لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف،
بين مغرب وعشاء من يوم الأحد الذي صبيحتها يوم الاثنين، في مسجد الصحابة مدينة الغيضة في محافظة المهرة في
بلاد اليمن حرسها الله وجميع بلاد المسلمين .



الفهرس



الفهرس

١.....[كتاب الجامع] - [باب الأدب].....١

٣.....باب الآداب:.....٣

٤.....بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم.....٤

٤.....ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث لبيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم.....٤

٨.....بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم:.....٨

٨.....بيان أفضل صيغة للسلام:.....٨

٩.....بيان حكم زيادة: "ومغفرته"، على لفظ السلام:.....٩

١٠.....بيان أن السلام من أحد المارة يجزئ عنهم:.....١٠

١٠.....بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير:.....١٠

١٠.....بيان أن الراكب يسلم على الماشي:.....١٠

١٠.....بيان حكم إجابة الدعوة:.....١٠

١١.....بيان حكم النصيحة لمن طلبها:.....١١

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه ﷺ على النصيحة، ففي الصحيحين: من حديث

جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ،

وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^{١٠}.....١٢

١٣.....حكم تسميت العاطس.....١٣

١٣.....ويحب الله ﷻ العطاس ويكره التثاؤب:.....١٣

الفهرس

- بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت: ١٣
- بيان أن من عطس فلم يحمد الله ﷻ فلا يشمت: ١٤
- بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين: ١٤
- بيان حكم عيادة المريض: ١٥
- اتباع الجنائز: ١٧
- بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة الله عليه ١٨
- بيان البر والإثم ٢١
- بيان أقسام حسن الخلق: ٢٢
- بيان أن الصدق أساس البر ٢٣
- بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله ﷻ: ٢٣
- بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي ﷺ: ٢٤
- بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس: ٢٤
- بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق: ٢٤
- بيان أنه لا يتناجى اثنان دون الثالث ٢٧
- بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه ٣٠
- بيان بعض آداب الأكل ٣٢
- بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد: ٣٢
- والشاهد من الحديث: ٣٢
- بيان حكم الأطعمة التي تكون جافة: ٣٣

الفهرس

- بيان أن عادة النبي ﷺ أنه كان يأكل بثلاث أصابع: ٣٣
- بيان بعض آداب السلام ٣٦
- بيان حكم السلام حال الخطبة في الجمعة: ٣٩
- بيان حكم السلام على المشتغل بقراءة القرآن: ٤٠
- بيان حكم سلام من دخل بيتاً ليس فيه أحد: ٤٠
- بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام: ٤٠
- بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام ٤٢
- بيان أقسام أمة النبي ﷺ: ٤٦
- بيان بعض آداب العطاس ٤٩
- بيان حكم من عطس ولم يحمد الله: ٥١
- وهل يذكر من عطس ولم يحمد الله؟ ٥١
- بيان النهي عن الشرب قائماً ٥٣
- بيان حكم الشرب جالساً: ٥٣
- بيان بعض آداب اللبس ٥٥
- بيان حكم البدء باليمين في التنعل، وبالشمال عند خلع النعال: ٥٥
- بيان أن المتنعل كالراكب: ٥٦
- بيان أن من لبس الخف ونحوه يلبسه وهو جالس: ٥٦
- حكم الإسبال والخيلاء ٥٩
- بيان حكم الإسبال: ٥٩

الفهرس

- الرد على من استدل بحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ٦١
- بيان بعض آداب الأكل ٦٥
- بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة: ٦٦
- بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها. ٦٩
- بيان الفرق بين الإسراف والتبذير: ٧٠
- باب البر والصلة**..... ٧٣
- بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العمر: ٧٣
- بيان وأعظم البر: ٧٤
- بيان تحريم قطيعة الأرحام:..... ٧٤
- بيان عظم حق الوالدين: ٧٦
- بيان حق النبي ﷺ: ٧٧
- بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير معصية: ٧٧
- بيان فضيلة البر وصلة الأرحام..... ٨١
- بيان الجواب عن الإشكال: ٨٢
- بيان أن الواصل ليس بالمكافئ: ٨٥
- بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقه ٨٦
- بيان معنى الحديث: ٨٦
- بما تقع قطيعة الرحم ٨٨
- بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات ٩٠

الفهرس

- الفرق بين المحرم و المكروه في اصطلاح الأصوليين : ٩١
- بيان التشديد في إضاعة المال: ٩٧
- بيان أن رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد ١٠٠
- بيان حكم طاعة الوالد: ١٠٠
- بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأخيه ما يحب لنفسه ١٠٥
- بيان أعظم الحقوق ١٠٧
- باب الزهد والورع..... ١١٠**
- بيان أقسام العلم: ١١٣
- بيان أن تحريم ما أحل الله ﷺ ليس من الزهد: ١١٤
- بيان أن نبينا محمد ﷺ أعظم الناس زهدا وورعاً الزهاد: ١١٥
- بيان أن الأحوط اجتناب المشتبهات ١١٧
- بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم ١٢٣
- بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل ١٢٦
- بيان النهي عن التشبه بالكفار وبالمشركين ١٣١
- بيان وجوب مراقبة الله ﷻ في السر وفي العلن ١٣٥
- بيان جواز الاستعانة بالمخلوق: ١٣٩
- بيان فضل الزهد في الدنيا ١٤٢
- بيان بعض الذين يحبهم الله ﷻ ١٤٦
- بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ١٥٠

الفهرس

- بيان النهي عن كثرة الأكل ١٥٣
- بيان الحث على التوبة من كل ذنب ١٥٥
- بيان شروط التوبة النصوح: ١٥٧
- بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزيغ ومن الانحراف: ١٥٩
- بيان كيفية التوبة من النفاق: ١٥٩
- فتضمنت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي: ١٦٠
- بيان فضل الصمت ١٦١
- ومما يذكر عن لقمان الحكيم عليه السلام: ١٦٢
- وإذا لم يتبين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟ ١٦٣
- باب الرَّهْب من مساوئ الأخلاق** ١٦٦
- بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق: ١٦٧
- بيان بدء دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للناس: ١٦٧
- بيان أقسام الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق: ١٦٨
- بيان أنواع مساوئ الأخلاق: ١٧١
- بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر ١٧٢
- بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد: ١٧٥
- بيان أفضل علاج للحسد: ١٧٥
- بيان ذم الغضب ١٧٧
- بيان تحريم الظلم ١٧٩

الفهرس

١٨٠	بيان أنواع الظلم:
١٨٣	بيان خطر الرياء
١٨٦	بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله ﷻ لصاحبه؟
١٨٧	بيان علامات النفاق العملي الأصغر
١٨٧	بيان أقسام النفاق:
١٩٠	و وصف الله ﷻ بأنه: لا يخلف الميعاد.
١٩٣	بيان تحريم سباب المسلم
١٩٤	بيان أقسام الفسق:
١٩٤	بيان سبب تسمية القتل كفرًا:
١٩٧	بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين
١٩٨	بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله ﷻ:
٢٠١	بيان تحريم غش المسلمين
٢٠٥	بيان وجوب الرفق بالرعية
٢٠٧	بيان تحريم الضرب في الوجه
٢٠٧	وقد نهى النبي ﷺ عن الوسم في الوجه
٢٠٩	التحذير من الغضب
٢١١	بيان تحريم التخوض في مال الله ﷻ بغير حق
٢١٤	بيان تحريم الظلم
٢١٥	بيان معنى الظلم:

الفهرس

- ٢١٦ بيان هل يجوز لله ﷻ أن يعذب بغير ذنب؟
- ٢١٨ بيان أن دعوة المظلوم مستجابة:
- ٢١٩ والمظالم إن لم تؤد إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها ستؤدى إليه في الآخرة.
- ٢٢١ بيان تحريم الغيبة:
- ٢٢٢ بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:
- ٢٢٤ بيان حكم النيمة:
- ٢٢٥ والقتات: هو النمام.
- ٢٢٦ والنيمة من أسباب عذاب القبر:
- ٢٢٧ بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابير
- ٢٢٨ بيان حكم النجش:
- ٢٢٨ بيان الفرق بين التجسس والتجسس:
- ٢٢٨ بيان حكم التجسس والتجسس:
- ٢٢٩ بيان حكم التجسس على المسلمين للكفار وللمشركين:
- ٢٣٠ بيان حكم التنافس:
- ٢٣٦ الاستعاذة من منكرات الأخلاق
- ٢٤١ بيان النهي عن المراء والجدال وخلف الوعد
- ٢٤٢ بيان حكم المراء بين الأخوة:
- ٢٤٤ ذم البخل وسوء الخلق
- ٢٤٦ بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين

الفهرس

- بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين..... ٢٤٨
- بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن ٢٥١
- بيان حكم اللعن بالتعيين: ٢٥٤
- بيان حكم اللعن بالوصف: ٢٥٥
- بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي ٢٥٨
- بيان سب نبي النبي ﷺ عن سب الأموات: ٢٥٨
- بيان حكم السب: ٢٥٩
- بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، لا للأموات، ولا للأحياء: ... ٢٥٩
- بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر..... ٢٦١
- بيان أن الغيبة أهون من النميمة: ٢٦٢
- بيان فضل كف الغضب ٢٦٣
- بيان الزجر الشديد للخب، وللبلخل، ولسوء الملكة ٢٦٦
- بيان تحريم التجسس على المسلمين ٢٦٧
- بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره..... ٢٦٩
- بيان تحريم التعاضم، والاختيال..... ٢٧٢
- وقد أمر المؤمن بالتواضع ٢٧٢
- بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان ٢٧٥
- بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق..... ٢٧٨
- بيان الشؤم الحقيقي: ٢٧٨

الفهرس

٢٨٠	بيان النهي عن كثرة اللعن.....
٢٨٢	بيان النهي عن تعيير العاصي بذنبه.....
٢٨٣	بيان ما يقال عند رؤية المبتلى؟.....
٢٨٥	بيان النهي عن الكذب في المزاح.....
٢٨٥	بيان بعض ما جاء عن النبي ﷺ في مزاحه وهو حق.....
٢٨٩	بيان كفارة الغيبة.....
٢٩١	بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين.....
٢٩٣	باب الترغيب في مكارم الأخلاق.....
٢٩٤	الأمر بلزوم الصدق.....
٢٩٥	بيان أعظم الصدق:.....
٢٩٩	بيان أن سوء الظن أكذب الحديث.....
٣٠٠	بيان حق الطريق.....
٣٠٣	بيان فضيلة العلم ومرتلة الرفيعة.....
٣٠٦	بيان فضل حسن الخلق.....
٣٠٨	بيان الموزون يوم القيامة:.....
٣٠٩	بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط:.....
٣١٠	بيان من أنكر الميزان:.....
٣١١	بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان.....
٣١٤	بيان سوء قلة الحياء.....

الفهرس

- بيان قوي الإيمان من ضعيفه ٣١٦
- بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية: ٣١٦
- بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن: ٣١٨
- بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب: ٣١٩
- بيان طريقة معرفة زيادة الإيمان: ٣٢٠
- الحث على التواضع ٣٢٤
- بيان أنواع التواضع: ٣٢٥
- والتواضع سبب لرفعة العبد في الدنيا وفي الآخرة: ٣٢٦
- بيان أنجزاء من جنس العمل: ٣٢٦
- بيان معنى التواضع: ٣٢٧
- فضيلة من رد عن عرض المسلم ٣٣٠
- فضل الصدقة ٣٣٢
- بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين: ٣٣٢
- بيان أن العفو يزيد صاحبه عند الله ﷻ عزاً: ٣٣٣
- فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام ٣٣٥
- الدين النصيحة ٣٣٩
- بيان أن النصيحة لها عام، وخاص: ٣٤٠
- فضل التقوى وحسن الخلق ٣٤٥

الفهرس

- ٣٤٦ وحسن الخلق كما سبق قسمين:
- ٣٤٧ بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس
- ٣٤٩ بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن
- ٣٥٠ بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم
- ٣٥٣ الدعاء بحسن الخلق
- ٣٥٤ وكما كان النبي ﷺ في أحسن خلقه، فقد كان أيضًا أحسن الناس
- ٣٥٥ بيان مراتب خلقة الإنسان وخلقته:
- ٣٥٧ **باب الذكر والدعاء**
- ٣٥٧ بيان الفرق بين الذكر والدعاء:
- ٣٥٨ بيان أقسام الذكر:
- ٣٥٨ • الأول: الذكر والدعاء المطلق
- ٣٥٩ • الثاني: الذكر والدعاء المقيد
- ٣٦٠ بيان أوقات الاستجابة:
- ٣٦٥ بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:
- ٣٦٧ بيان بعض موانع استجابة الدعاء:
- ٣٦٩ بيان تعيين النطق بالذكر
- ٣٧٠ بيان أقسام معية الله ﷻ لعباده:
- ٣٧٢ بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله ﷻ
- ٣٧٥ بيان فضل ذكر الله ﷻ

الفهرس

- ٣٧٨ بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:
- ٣٧٩ ذم مجالس الغفلة
- ٣٨١ والصلاة على النبي ﷺ سبب لصلاة الله ﷻ على العبد عشرة مرات
- ٣٨١ بيان معنى صلاة الله ﷻ على عبده:
- ٣٨٤ بيان فضل التهليل
- ٣٨٥ بيان أن حمد الله ﷻ يكون على أمرين:
- ٣٨٨ بيان فضل التسبيح
- ٣٨٨ بيان بعض الأذكار المطلقة:
- ٣٩٣ بيان فضل ذكر الله ﷻ المضاعف
- ٣٩٧ بيان الباقيات الصالحات
- ٤٠٢ بيان أحب الكلام إلى الله ﷻ
- ٤٠٦ بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة
- ٤٠٨ الدعاء هو العبادة
- ٤٠٩ بيان حكم صرف الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله:
- ٤١١ بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد
- ٤١٢ بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء
- ٤١٤ بيان حكم رفع الدين عند الدعاء:
- ٤١٥ بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء
- ٤١٦ بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:

الفهرس

٤١٧	بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ
٤٢١	بيان سيد الاستغفار
٤٢٦	بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار
٤٢٦	بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:
٤٣٣	بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم
٤٣٥	الاستعاذة من غلبة الدين
٤٣٨	الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم من أسباب الاستجابة
٤٤٧	بعض أذكار الصباح
٤٤٩	بيان معنى قول الله ﷻ: (الذاكرين الله كثيراً والذاكرات):
٤٥١	بيان جوامع الدعاء
٤٥٥	بيان بعض أدعية النبي ﷺ التي فيها جوامع الكلم
٤٦٠	الدعاء بصلاح الدين والدنيا
٤٦٣	الدعاء بالعلم النافع
٤٦٤	بيان العلم الذي لا ينفع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة:
٤٦٤	بيان العلم النافع لصاحبه:
٤٦٥	بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا:
٤٦٧	الدعاء بخيري الدنيا والآخرة
٤٧٠	مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟
٤٧٢	كفارة المجلس



الفهرس



إجازة كل من حضر أو تابع درس بلوغ المرام..... ٤٧٩

الفهرس..... ٤٨٤